المنهج الدراسي المتسلسل
حسب الفنون والمستويات

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر

المنهج الدراسي

كتب العقيدة

المستوى الثاني

ويشمل ١٥ كتابًا متدرجة

من التعليق على شرح الأصول الثلاثة لابن باز

وحتى قواعد التوحيد ونواقض الإسلام

الجزء الأول من المستوى الثاني

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



معهد المنهج الدراسي الميسر

من المستـــوى الأول إلى الثـــاني عشـــر

المنهج الدراسي المتسلسل

حسب الفنون والمستويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذا مجموع كتب العقيدة التي ألفتها أو علقت عليها، مرتبة حسب التدرج العلمي لهذا الفن، وقد اشتمل هذا الجزء وهو المستوى الأول: (مفتاح العقيدة)، و (الملخص من الأصول الثلاثة والقواعد الأربع)، ثم (ملخص العقيدة) و (التعليق على تعليم الصبيان)، ثم (التعليق على اللامية)، ثم (التعليق على دلائل التوحيد)، (شرح الأصول الثلاثة).

والمستوى الثاني ويشمل جزئين: **الجزء الأول**: (شرح الجامع لعبادة الله وحده) (شرح الأصول الثلاثة لابن باز)، و(شرح الأصول الستة)، ثم (شرح القواعد الأربع)، (شرح معنى الطاغوت) و(التعليق على شرح القواعد الأربع للفوزان)، التعليق على (منظومة منهج الحق للسعدي) ثم (شرح القول المفيد).

والجزء الثاني: (تلخيص كتاب التوحيد) ثم (التعليق على الحائية) و(التعليق على منظومة في السنة والسيرة)، و(شرح تفسير كلمة التوحيد)، (مختصر قواعد التوحيد)، ثم (التعليق على الواجبات المتحتمات)، (التعليق على نواقض الإسلام).

والثالث وينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

وقد سبق الجزء الأول، وفيه: (شرح الرائية للزنجاني) ثم (شرح كشف الشبهات)، و(شرح تطهير الاعتقاد) ثم (شرح نواقض الإسلام).

وسبق الجزء الثاني واشتمل على: (شرح قصيدة الخزاعي في السنة) و(شرح السنة للحميدي) ثم (والمنتقى من نونية القحطاني)، و(المنتقى من سلم الوصول)، (والمنتقى من نونية ابن القيم)

ثم ثم (والقواعد الحسان من لامية شيخ الإسلام) و(شرح الحائية) (القواعد على الحائية).

وهذا الجزء الثالث وفيه: (شرح أصول السنة للرازيين)، و(منظومة الرد على الأشاعرة)، ثم (تعليق على هذه دعوتنا وعقيدتنا)، (تعقبات على زبد ابن رسلان)، (شرح قصيدة ابن القيم في الرد على النصارى) و(المنتقى من النهي عن البدع).

وهذا المستوى الرابع، وينقسم إلى أربعة:

الجزء الأول، وفيه: (شرح أصول السنة لابن أبي زمنين)، و(شرح هذه دعوتنا وعقيدتنا).

والجزء الثاني واشتمل على: (القواعد المثلى) و(شرح لمعة الاعتقاد) ثم (التعليق على الطحاوية).

والجزء الثالث وفيه: (الملخص في أصول أهل السنة)، و(والملخص في أصول الإسلام)، ثم (علامات أهل البدع)، (شرح قصيدة: ستعلو السنة الغراء) ثم (دراسات في الفرق والطوائف والنحل) (إقامة الحجة والدليل على خطأ من خلط الغبية بالجرح والتعديل).

والجزء الرابع: (شرح القوا المفيد الكبير) (شرح الطحاوية الكبير) (المختصر المفيد في أصول أهل السنة وأصول أهل البدع) و(المختصر المفيد في أصول الإسلام وأصول الملل والنحل) (المنتقى من أصول السنة للالكائي)، ولأن هذه الكتب كبار فيطبع كل كتاب بمفرده.

ونسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين في كل مكان، وأن يكتب لنا الأجر والثبات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى ١٤٤٦

****

التعليق على

الجامع لعبادة الله تعالى وحده

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى كتب رسائل كثيرة مختصرة؛ أرسلها إلى بعض الناس دعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونفع الله عز وجل بها نفعًا عظيمًا ومن ضمن هذه الرسائل رسالة بعنوان: (الجامع لعبادة الله وحده) بمعنى تفسير وتوضيح ما معنى العبادة التي لا يجوز أن تصرف إلا لله عز وجل وحده.

ونحن نعلق عليها بما تيسر[١]، والله المستعان.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى

١٤٤٧ هـ

دار الحديث بمدينة السلام شبوة

****

(١) وهو مجلس علمي تم تفريغه ونشره.

قال رحمه الله تعالى:

فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلتَ: طاعته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه .

هذا تعريف العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله عز وجل: فعل المأمور وترك المنهي. فما ورد في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أمر بفعله ففعله عبادة، وما ورد النهي عن فعله فتركه عبادة ، فكل ما يحبه الله جل وعلا فقد أمر به، وكل ما يكرهه فقد نهى عنه، ولا تختلف الطوائف أن العبادة حق لله عز وجل، وإنما اختلفوا في معنى العبادة وفي إفراد العبادة.

حتى كفار قريش لم يكونوا ينازعون في كون الله جل وعلا يستحق العبادة ، وإنما كانوا ينازعون في كون إفراد الله عز وجل بالعبادة هو الحق، فكانوا يريدون أن يعبدوا الله تعالى وأن يعبدوا غيره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ أي: يحبون الله تعالى ويحبون أندادهم معه.

فلو سئلت وقيل لك عرِّف العبادة فقل: هي طاعة الله جل وعلا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وعرفها شيخ الإسلام رحمه الله فقال: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ويبقى هنا سؤال آخر: كيف نعرف أن الله جل وعلا يحب هذا العمل ولا يحب هذا؟ نعرف بالنظر في الأوامر، فإذا أمر الله جل وعلا بشيء أمر وجوب أو استحباب عرفنا أن الله جل وعلا يحبه، سواء كان بلفظ الأمر ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، أو كان بالمعنى نحو كتب: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أو بالثناء ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ يثني على من يفي بالنذر، أو بما أشبه ذلك كما ذكرها ابن القيم أوصلها إلى صِيغ كثيرة يستفاد منها الأمر، أمر الاستحباب أو أمر الوجوب، حسب الدلالة.

فإن قيل: فما أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله ؟

قلت: من أنواعها، الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبح القربان، والنذر والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة والرهبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية.

(فإن قيل: فما أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله) أي: اضرب بعض الأمثلة.

(قلت: من أنواعها، الدعاء) الدعاء: هو سؤال الله جل وعلا في جلب خير أو دفع ضر.

قال الله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: اسألوني بالدعاء.

والدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة عبادة لا تصرف إلا لله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

والقاعدة: أن دعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر.

وهكذا تقول في الاستغاثة، الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر.

وكذلك في الاستعانة والاستعاذة.

والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والدعاء باب واحد، فكلها دعاء وإنما يختلف موضعها.

والدعاء عبادة عظيمة وهو أكثر ما وقع فيه الشرك في الأرض، فأكثر ما أشرك الناس في باب الدعاء، ولكن كان الشرك في الماضي حال الرخاء، وفي الشدة يخلصون الدعاء لله تعالى، فجاء الذين يدَّعون الإسلام من عُبَّاد القبور فدعوا غير الله تعالى في الشدة وفي الرخاء.

(والاستعانة، والاستغاثة) السين والتا تدل على الطلب، أي طلب العون، ما معنى الاستعانة؟ طلب العون في جلب خير أو دفع ضر.

والاستعانة والاستغاثة إذا كان إلى حي حاضر قادر فهذا جائز، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾. ومن القواعد العامة دعاء الأموات أو الاستعانة بهم أو الاستغاثة أو الاستعاذة شرك أكبر. وليس فيها تفصيل، لأن الميت لا يقدر على شيء،

والاستغاثة : الدعاء في وقت الشدة والكرب.

هي نوع من الدعاء لكنها تكون في وقت الشدة والكرب، قال الله جل وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾. وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، فمن استغاث بالأموات فقد كفر، ومن استغاث بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فقد كفر وأشرك، ومن استغاث بحي قادر حاضر في جائز فهذا جائز.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ غُلَامَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِالله، قَالَ: فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِرَسُولِ الله، فَتَرَكَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالله للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، قَالَ: فَأَعْتَقَهُ، الشاهد: أنه استغاث واستعاذ بالرسول عليه الصلاة والسلام حين رآه؛ لأنه قادر وحاضر يستطيع ينقذه من الضرب.

قوله: (وذبح القربان) الذبح على قسمين، القسم الأول مشروع، والثاني ممنوع، ثم المشروع على قسمين: ذبح عبادة وقربة، وذبح مباح. فذبح العبادة كالأضاحي، والمباح كالذبح للأكل، وكلها عبادة، لأنك إذا ذبحت للأكل تقول: بسم الله. امتثالًا لأمر الله جل وعلا.

والذبح الممنوع على قسمين: الأول: ذبح بدعة وحرام كالذبح في المولد، وكالذبح لله تعالى عند القبور فهذا من وسائل الشرك؛ وهو محرم. والثاني: الذبح لغير الله تقربًا بقصد طلب النفع أو دفع الضر وهو شرك أكبر.

الذي إذا بنى بيتًا جديداً يذبح قبل أن يدخل البيت للجن حتى لا يؤذوه، يريد أن يدفع شرهم بالتقرب إليهم بهذا الذبح، فهذا شرك أكبر وآخر يحتاج إلى شفاء مريض يأخذ كبشًا إلى صاحب القبر فهذا شرك أكبر.

ومما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: وانحر لربك، لا لغيره، فمن ذبح لغير الله تعالى فقد خرج من الإسلام.

قال: (والنذر) النذر: هو أن يلزم العبد نفسه بعباده ليست لازمة بأصل الشرع. وهو على قسمين نذر مطلق: لله تعالى علي أن نصلي ركعتين لله تعالى، لله تعالى علي نذر أن أتصدق في كل شهر بألف، هذا مستحب؛ لأنه من باب فعل الخير وشد النفس على فعل الخير، والدليل أن الله جل وعلا أثنى على أصحابه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ والثناء يدل على الاستحباب.

والنوع الثاني: النذر بقيد. نحو: لله تعالى عليّ نذر إن شفى مريضي. كأن المعنى: إن شفى مريضي وإلا ما سأفعل. ونحو: لله علي صدقه إن حصلت على كذا.

فهذا القيد حاله: افعل لي وافعل لك. أعطني وأنا سأنذر.

فهذا مكروه وهو الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام بقوله(إنما يُستخرج به من البخيل).

والنذرعبادة وصرف العبادة لغير لله تعالى شرك أكبر، ولو كان شيئًا يسيرًا، بعضهم يأخذ قليل من البخور أو عطر ويرميه بالقبر. حفرنا في أحد المرَّات أحد القبور التي تعبد من دون الله تعالى فكنا مع حفر التراب نجد العطور والبخور، وقِطع الخواتيم.

قوله: (الخوف والرجاء) الخوف والرجاء ركنا العبادة، وكلاهما عبادة قلبية.

والخوف على أقسام: خوف العبادة وهو أن يخاف الإنسان من الله جل وعلا ومن عذابه، قال الله جل وعلا: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

يعمل الواجب خوفًا من الله تعالى، ولا يرتكب الحرام خوفًا من الله تعالى. فهذا الخوف عبادة.

والخوف الطبيعي: الخوف من الأسباب المحسوسة بقدرها. فإذا زاد فهو خوف معصية.

والخوف الشركي، هو: أن يصرف خوف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

ويسمى خوف السر، أن يخاف من غير الله تعالى أن يضره لأنه قادر ويعلم سره.

فيخاف من الجن مثلًا ويذبح لهم ويصرف لهم العبادة، أو يخاف من صاحب القبر وأنه إذا لم يعطه النذر سيصيبه في نفسه أو في ولده...، فهذا الخوف شرك أكبر.

والرجاء: وهو الطمع في حصول الخير. وهو ركن من أركان العبادة، فإذا رجا مخلوقًا في جلب نفع وصرف له شيئًا من العبادة فقد أشرك.

مثال: يريد الولد ماذا يفعل؟ يأخذ ذبيحة أو مالًا أو بخورًا ويذهب يعطيه لصاحب القبر يريد الولد ويريد مثلًا وظيفة كذلك حتى ذكروا في بعض الأماكن أنهم يأخذون القهوة والتمر ويضعونها على القبر.

قال: (والتوكل): وهو اعتماد القلب على الله تعالى في جلب النفع ودفع الضر.

مع الأخذ بالأسباب، فالأسباب لها تأثيرها بإذن الله تعالى وقدرته.

فإن اعتمد على الله تعالى فهذه عبادة، ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وإن اعتمد على غير الله تعالى فهذا شرك أكبر، سواء اعتمد على سبب أو على مخلوق ميت أو غير ميت، ماذا عند هذا الميت لو كان يستطيع شيئًا لنفض التراب عن نفسه.

قال: (والإنابة) هي الرجوع إلى الله سبحانه برغبة.

وهو أوسع من معنى التوبة، لكن إذا أفردت فالإنابة تشمل التوبة والتوبة تشمل الإنابة.

قال: (والمحبة) ومعناها واضح في لفظها ولا تحتاج إلى تعريف، والمحبة تقوم على ثلاثة أركان: الطاعة والتعظيم والتذلل، فالمحب يطيع محبوبة ويتذلل إليه ويتقرب، فإذا كانت المحبة مشتملة على الذل والخضوع والطاعة المطلقة فهي عبادة ولا تصلح إلا لله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾، وتنقسم كالخوف، محبة عبادة ومحبة طبيعية ومحبة شركيه وزاد بعضهم محبة معصية: وهي حب المعاصي أو المحبة الطبيعية إذا تجاوزت حدها.

فمن صرف المحبة التي هي العبادة لغير الله عز وجل فقد أشرك الشرك الأكبر، كما قال المشركون وهم في النار لآلهتهم ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ذكر ابن القيم إنما سووهم بالمحبة. يعني: أحبوهم كحب الله حبًّا مطلقًا، حب ذل وخضوع وطاعة وانقياد، حب عبادة فسووهم بالله جل وعلا من هذا الوجه.

قال: (والخشية) الخشية: هي أعلى درجات الخوف، وغالبًا أن الخشية خوف بعلم تفصيلي، وإلا فالإنسان لا يخاف إلا بعد أن يعلم حالة المخوف منه، لكن الخشية خوف بعلم تفصيلي، فمن عرف الله جل وعلا بأسمائه وصفاته فإنه من أهل الخشية، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ لأن العالم عنده علم تفصيلي بالله سبحانه وتعالى، وتجد ممن ابتلي يخشى من صاحب القبر كما يخشى الله تعالى.

قال: (والرغبة) وهي الطمع في الخير ﴿ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ وتكون أحيانًا بمعنى التوبة، فمن رغب إلى الله تعالى فقد عبده ومن رغب إلى المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك بالله تعالى.

قال: (والرهبة) وهي نوع من الخوف وحكمها كحكم الخوف.

(والتأله) أي: التعبد فهو لله وحده، وإن صرف لغيره فشرك.

وقوله: (والركوع، والسجود) أي: عبادة لله تعالى وحده. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فالذين يسجدون على أعتاب القبور مشركون.

(الخشوع) سكينة القلب، ويأتي بمعنى الاطمئنان، ويأتي بمعنى: كمال التذلل القلبي، خشع في الصلاة بمعنى سكن، سكن في حركته واطمئن قلبه للعبادة كما في الحديث (ثم ارفع حتى تطمئن قائما) يعني تسكن تهدى الأعضاء. والخشوع الذي هو بمعناه العام يكون بمعنى التذلل والتعظيم لله سبحانه وتعالى والخوف منه ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: سكنت خوفًا ورهبة من الله سبحانه.

قال: (والتذلل): وهو بمعنى الخضوع فقد سبق

قال: (والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية) التعظيم الذي يكون على وجه التعبد، وعلى وجه اعتقاد الكمال، هذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، ومن أسمائه العظيم، قال الله جل وعلا: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ فمن تعظيم الله تعالى الإيمان بعلوه، ومن تعظيم الله جل وعلا الإقبال على عبادته، فمن عظم المخلوق حتى أعطاه بعض صفات الله تعالى هذا هو الشرك الأكبر في باب الربوبية.

❊❊❊❊

ودليل الدعاء، قوله تعالى: ﴿وأَنَّ المَساجِدَ لله فَلَا تَدْعُوا معَ الله أحدًا﴾، وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، ودليل الاستعانة ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ودليل الاستغاثة، قوله تعالى: ﴿إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، ودليل الذبح: ﴿قُلْ إنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، ودليل النذر قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)، ودليل الخوف قوله تعالى ﴿إنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، ودليل الرجاء قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: (ودليل الدعاء، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فَلَا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا﴾، وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾). الدعاء يكون بمعنى السؤال وبمعنى العبادة فلا دعاء ولا عبادة إلا لله جل وعلا وحده، والذين يدعون من دونه دعوتهم باطلة ومن دلائل بطلانها أن المدعوين لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء، شبَّه من يدعو غير الله تعالى في جلب المنافع أو دفع المضار كشخص وقف على بئر ثم بسط يديه ينتظر الماء أن يخرج من البئر إلى يده وهو في رأس البئر. بمعنى: أنه يتعلق بشيء خيالي، شيء لا صحة له، فهذا مثال الكافر الذي يدعو غير الله تعالى.

قال: (ودليل الاستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ودليل الاستغاثة، قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾)، نستعين: أي: نطلب عونك فلا عبادة إلا بعون الله جل وعلا، والاستغاثة الدعاء في وقت الكربة والاضطرار.

قال: (ودليل الذبح: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾).

صلاتي أي: الصلاة الفرض والنفل، ونسكي أي: ذبحي وقيل عموم العبادة ،كله لمن؟ لله رب العالمين لا شريك له.

قال: (ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)، أثنى الله جل وعلا على من يفي بالنذر، وهو دليل الاستحباب.

قال: (ودليل الخوف قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾)، إن أدى الخوف إلى تقرب للمخوف منه فهو عبادة.

قال: (ودليل الرجاء قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾)، العمل الصالح: على السُّنة، أصح الناس رجاء مَن هم؟ أهل التوحيد والسنة ثم ينقص بالبدعة ويزول بالشرك.

قال: (ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾) هذا دليل على أن التوكل عبادة.



ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، ودليل المحبة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾، ودليل الخشية ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾، ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، قال: (ودليل التألّه قوله تعالى ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، ودليل الركوع والسجود قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ودليل الخشوع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾،

قال: (ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾) إذا جمعت الإنابة مع التسليم فالتسليم بالقلب والإنابة بالقول والعمل، وأما إذا أفردت فتشمل القول والعمل والقلب.

(ودليل المحبة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾)، يحبونهم كحب الله تعالى في الكم والكيف في الكم يحبونهم مثلما يحبون الله تعالى، وفي الكيف يحبونهم محبة عبادة فهذا هو الشرك الأكبر

قال: (ودليل الخشية ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾، ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾) يعني من دلائل صدق الرغبة المسارعة في الخير ومن دلائل الرغبة الشركية المسارعة في الشرك في النذر لغير الله تعالى والذبح ...

قال: (ودليل التألُّه قوله تعالى ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾) أي: معبودكم الحق واحد وهو الله الرحمن الرحيم.

(ودليل الركوع والسجود قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾)، هذا دليل أنها عبادة.

(ودليل الخشوع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لله لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ الله ثَمَنًا قَلِيلاً﴾)، خاشعين لله، أي: متواضعين لله تعالى بعبادته، لا يترفعون عن شيء من العبادة، الكبر رد الحق والخشوع قبول الحق ، و الكفر ترك العبادة، والخشوع الإقبال على العبادة إلى جانب السكينة والوقار في العبادة.



ونحوها ؛ فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله ، فقد أشرك بالله غيره، فإن قيل : فما أجلُّ أمرٍ أمر الله به؟ قيل : توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه ، وأعظم نهي نهى الله عنه ، الشرك به ، وهو: أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك ، من أنواع العبادة، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذه ربّاً ، وإلهاً ، وأشرك مع الله غيره، وقد تقدم، من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك ، الذي نهى الله عنه ، وأنكره على المشركين، وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال: (ونحوها ؛ فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله، فقد أشرك بالله غيره) ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

قال: (فإن قيل : فما أجلُّ أمرٍ أمر الله به؟ قيل: توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه) أعظم العبادات التوحيد، أجل الأوامر التوحيد، أحسن الحسنات التوحيد، أوجب الواجبات التوحيد، وقد تقدم بيانه.

(وأعظم نهي نهى الله عنه، الشرك به، وهو: أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك، من أنواع العبادة) الشرك بالله أقبح القبائح، وأظلم الظلم الشرك، وأفجر الفجور الشرك، وأكبر المعاصي الشرك. والشرك في العبادة هو: أن يدعو ويعبد غير الله تعالى.

وأما معنى الشرك على العموم فهو مقابل للتوحيد.

التوحيد: إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

والشرك: أن يجعل لله ندٌ بالربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات.

وهو أكبر وأكبر.

فالأكبر: كل عمل أو قول أو اعتقاد وصفه الشرع بالشرك وأخرج من الملة.

والأصغر: كل قول أو عمل وصفه الشرع بالشرك ولم يخرج من الملة.

قال: (فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذه ربّاً، وإلهاً، وأشرك مع الله غيره) أيّ شيء يُعبد فصاحبه الذي يعبده اتخذه إلهًا كما قال كفار قريش للأصنام: ﴿أَجَعلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِدًا﴾ وقال أصحاب فرعون: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ أي: يذرك وعبادتك، فجعلوا فرعون إلها لأنهم عبدوه.

قال: (وقد تقدم، من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك، الذي نهى الله عنه، وأنكره على المشركين، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾) منذ زمن بعيد ظهرت الطوائف الكلامية المعتزلة والأشاعرة والصوفية وغيرهم الذين يقولون إن الشرك لا يكون إلا في الربوبية فقط أما من دعا غير الله تعالى أو نذر لغير الله تعالى، أو ذبح لغير الله تعالى هذا ليس بشرك حتى قال بعضهم: إن الصالحين الموحدين المستغيثين بالرسول ليسوا مشركين.

(وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) كل مشرك في النار، كل من مات على الشرك الأكبر والكفر الأكبر فهو في النار خالدا مخلداً فيها ولو كان يقول لا إله إلا الله، كما دلت عليه الآيات.

اليهود يقولون: لا إله إلا الله. وهم في النار، والنصارى يقولون: لا إله إلا الله. وهم في النار، الساحر يقول: لا إله إلا الله. ويصلي بالناس في بعض المناطق التي عمها الجهل، ويخطب بهم الجمعة ويعقد لهم النكاح وهو من أكفر الكفرة، إذا أُمسك يُقتل على كل حال.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

التَّعلِيقُ المُفِيدُ

على شرح

ثلاثة الأصول

لابن باز رحمه الله تعالى (ت١٤٢٠هـ)

والتعليق فيه من كلام

الألباني - العثيمين - الوادعي - الفوزان - صالح آل الشيخ

رحمهم الله تعالى

تعليق

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. **أما بعد:**

فهذه تعليقات على شرح ثلاثة الأصول[1] للإمام ابن باز رحمه الله تعالى جمعتها من كتب العلماء الأجلاء:

(العثيمين، الألباني، الوادعي، الفوزان، صالح آل الشيخ)[2].

زيادة في الفائدة وخدمة للكتاب والله الموفق للصواب.

وحققت الأحاديث - كالعادة - على كتب العلامة الألباني، والعلامة الوادعي رحمهما الله تعالى.

وأسأل الله الكريم المتعال أن ينفع به الإسلام والمسلمين... آمين.

كتبه/ أبو عبد الله المصنعي

دار الحديث بمعبر.

عام ١٤٢٨هـ.

❊❊❊❊

(١) والمتن مقابل على ثلاث مخطوطات: مخطوطة مكتبة عنيزة (أ)، ومخطوطة الشيخ عبد الله الشريان (ب)، والثالثة مخطوطة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن سلمان. خزانة طارق الحويطر (ج).

ولنا عليه شرح مسموع نسأل المولى تعالى أن ييسر بتفريغه وطبعه.

(٢) العثيمين من شرحه (ط. دار البصيرة)، وآل الشيخ (ملزمة)، والفوزان شرحه (ط. الرسالة)، والباقي من كتبهم.

متن ثلاثة الأصول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

[وبه نستعينُ(١)]

اعْلَمْ – رَحِمَكَ اللهُ تعالى(٢)– أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ. الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [سورة العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في هذه السُّورةِ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ».

اعْلَمْ – رَحِمَكَ اللهُ تعالى – أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

---

(١) هذه الزيادة من (ج)، وفي (أ) جعل البسملة من الناسخ (بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ...) والأصح أن الشيخ افتتح الكتاب بالبسملة كما في المخطوطتين الأخريين، وفي مخطوطة رابعة كما في (ج).

(٢) في (أ) زيادة: [اعلم رحمك الله تعالى أن طلب العلم فريضة، وأنه شفاء للقلوب المريضة، ومن أهم ما عليك معرفته دينك الذي هو سبب لدخول الجنة، والجهل به سبب لدخول النار، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك...]

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ[١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

– **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ الآية[٢].

– اعْلَمْ – أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ –: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ – مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ –: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ[٣]؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾.

---

(١) في (ب) و (ج) تقديم النبي على الملك.

(٢) ليس في المخطوطات تمام الآية.

(٣) في بعض النسخ المطبوعة زيادة [وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخلقهم لها] ولم أرها في المخطوطات.

[الأصل الأول : معرفة الله تعالى][(١)]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمَتِهِ[(٢)]، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢]. وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

- فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

- وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن

---

(١) العنوان من عندي.

(٢) (بنعمته) كذا في المخطوطات الأربع، وفي المطبوع (بنعمه).

قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالَى: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

- وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا - كُلُّهَا للهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

- فَمَنْ صَرَفَ [مِنْهَا شَيْئًا][1] لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

- وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

- وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

- وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

- ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعالَى: {وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾.

- وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِيۚ﴾.

---

(١) في المخطوطات (فمن صرف من هذه الأشياء)، والمثبت من نسخة القاسم.

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[(١)].

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾،

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾[(٢)].

- وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾.

- وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

- وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾.

---

(١) في (ب) ذكر الآية كلها.

(٢) زاد في المطبوع قبلها [﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾]، في المخطوطات التي لدي عدم ذكر سورة الفلق، وفي المطبوع ذكر الآية الأولى من الناس فقط.

[الأصل الثاني: معرفة العبد دينه][(١)]

- الْأَصْلَ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ وَحْدَهُ[(٢)].

«لا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

«إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ.

لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ

---

(١) العنوان من عندي.

(٢) في (ب) (ج) زيادة بعد هذا (النفي: لا إله...)

عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[(١)].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

- وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

- ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

- الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ؛ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾.

- الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ - رُكْنٌ وَاحِدٌ -، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ

---

(١) (ب) (ج) لم يكمل الآية واقتصر على أولها.

الْوُثْقَى﴾[١] الآية. وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٢]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الْآيَة.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ[٣]، عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ!

أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِسْلامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَـهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ - فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ -.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

---

(١) هذه الآية، وآية الطلاق ساقطة من النسخة (ب).

(٢) هذه الآية ليست في بعض المطبوع، وهي من المخطوطات الثلاث.

(٣) (م ٨)، وقوله «جلوس» ليست من الحديث في مسلم.

[قَالَ: صَدَقْتَ](١).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُم».

(١) هذه الزيادة في المخطوطات وليست في مسلم.

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

- وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً - مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

- نُبِّئَ بـ(اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بالْمُدَّثِّرْ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

- أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ.

- وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

- فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، [وَالأَذَانِ](١)، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، [وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ].

- أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

---

(١) سقطت من (أ) (ب).

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾.

وَأَكْمَلَ اللهُ لَهُ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾.

- وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾.

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

- وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾.

- وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام.

وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾.

- وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا - مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ

عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ(١)، وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ».

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾،

وَهَذَا مَعْنَى لا إله إلا اللهُ.

- وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ [تَمَّتْ ثَلاثَةُ الأُصُولِ](٢).



(١) في (ب) و (ج) أن يكفروا بالطاغوت، والمثبت من (أ).

(٢) ما بين المعكوفين مثبت من المخطوطات الثلاث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ(١).

[وبِهِ نَسْتَعِينُ]

ش: هذه رسالة مهمة في العقيدة، ألفها الشيخ أبو عبد الله الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي، الإمام المشهور المجدد لما اندرس من معالم الإسلام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر رحمه الله وأكرم مثواه.

وقد كان رحمه الله يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ولتستقر في قلوبهم؛ لكونها قاعدة في العقيدة.

وكانت وفاته سنة ست ومائتين وألف من الهجرة، وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة، فقد عمر إحدى وتسعين سنة، وقد كان عمرًا مليئًا بالخير، والدعوة إلى الله، والتعليم، والإرشاد، والصبر على ذلك.

وقد أنقذ الله تعالى به العباد والبلاد في زمانه في هذه الجزيرة وانتشرت دعوته في غير الجزيرة من الشام ومصر والعراق والهند وغيرها، بسبب الدعاة الذين حملوا عنه العلم وانتقلوا إلى تلك البلدان والدول، وبسبب المكاتيب والكتب التي انتشرت منه رحمه الله تعالى ومن أتباعه وأنصاره والدعاة التابعين له في الدعوة إلى الله.

****

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ابتدأ المؤلف كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله، فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداءً بالرسول ﷺ فإنه كان يبدأ كتبه بالبسملة [ص١١].

اعْلَمْ(١) - رَحِمَكَ اللهُ(٢) - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

ش: هذه المسائل يجب أن يتعلمها المؤمن والمؤمنة صغارًا وكبارًا(٣).

١ - فعلى الإنسان أن يتعلم ويتصبر حتى يكون على بينة، ويعرف دين الله الذي خلقه الله من أجله، وهذا العلم هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام(٤) بالأدلة(٥)؛ فهذا أول شيء.

أن يتبصر العبد من هو ربه؟ فيعرف أن ربه الخالق الذي خلقه، ورزقه، وأسدى إليه النعم، وخلق من قبله، ويخلق من بعده، هو رب العالمين وأنه الإله الحق المعبود الذي لا يستحق العبادة سواه أبدًا، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا جن، ولا إنس، ولا صنم، ولا غير ذلك، بل العبادة حق لله وحده، فهو المعبود بحق، وهو المستحق بأن يعبد، وهو رب العالمين، وهو ربك

---

(١) قال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى: «كلمة تشير إلى الاهتمام بالموضوع». (ص١٣)

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وصنيع المؤلف يدل على عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له». (ص١٢).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هذه المسائل التي ذكرها المؤلف تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظيم نفعها ...» (ص١٢).

(٤) الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الإسلام بالمعنى الخاص يختص بما بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم فصار من اتبعه مسلمًا ومن خالفه ليس بمسلم ..» ا.هـ بتصرف (صـ١٣).

(٥) قال الشيخ الفوزان غفر الله له: «قوله: (بالأدلة) لا بالتقليد وإنما الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة هذا هو العلم». (ص٢٣).

وخالقك وإلهك الحق سبحانه تعالى(١).

فتعرف هذه المسألة الأولى وهي أن تعرف ربك، ونبيك، ودينك بالأدلة. قال الله وقال الرسول، لا بالرأي، ولا بقول فلان، بل بالأدلة من الآيات والأحاديث، وذلك هو دين الإسلام الذي أنت مأمور بالدخول فيه، والالتزام به، وهو عبادة الله الذي قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦] هذه العبادة هي الإسلام، وهي طاعة الله ورسوله، والقيام بأمر الله، وترك محارمه.

هذه هي العبادة التي خلق الناس لأجلها وأمر الله بها الناس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١]، يعني اعبدوه بطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، وإسلام الوجه له، وتخصيصه بالعبادة سبحانه وتعالى.

ومن ذلك: أن تعرف نبيك؛ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ المطلب الهاشمي القرشي المكي ثم المدني عليه الصلاة والسلام.

فتعرف أنه نبيك، وأن الله أرسله إليك بدين الحق، يعلمك ويرشدك، فتؤمن بأنه رسول الله حقًا، وأن الله أرسله للعالمين جميعًا من الجن والإنس، وأن الواجب اتباعه، والسير على منهاجه.

وسيأتي تفصيل هذا في الأصل الثالث من الأصول الثلاثة.

****

---

(١) قال العلامة الوادعي رحمه الله تعالى: «والاهتمام بشأن العقيدة أمر مهم جدًا فالمسلم بدون عقيدة لا يستطيع أن يثبت أمام أعدائه ولا أن يتصرف تصرفًا إسلاميًا من أجل هذا فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدأ بالعقيدة وحياته كلها دعوة إلى العقيدة والأحكام متخللة لذلك. قمع المعاند (ص١٦)

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ. الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

- المسألة الثانية: وجوب العمل بهذا الدين، أي: أن تعمل بهذا الدين؛ من صلاة، وصوم، وجهاد، وحج، وإيمان، وتقوى؛ فتعمل بالإسلام لأنك مخلوق له، مخلوق لعبادة الله؛ فعليك أن تعلم وتعمل به فتعبد الله وحده، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه، وباليوم الأخر، وبالقدر خيره وشره، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتبر والديك، وتصل الأرحام، إلى غير ذلك فتعمل بما أمرك الله به، وتنتهي عما نهاك الله عنه، وتترك المعاصي التي أنت منهي عنها، وتفعل الواجبات التي أنت مأمور بها.

- المسألة الثالثة: الدعوة إليه، أي: أن تدعو إلى هذا الدين، فتنصح الناس بأن يستقيموا عليه، وترشدهم وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر.

هذه هي الدعوة إلى دين الإسلام؛ فعلى كل مسلم أن يدعو إلى الله حسب طاقته وعلمه[١]، فكل واحد - رجل أو امرأة - عليه قسط من هذا الواجب[٢]، من التبليغ والدعوة والإرشاد والنصيحة، وأن يدعو إلى توحيد الله، وإلى الصلاة والمحافظة عليها، وإلى الزكاة وأدائها، وإلى صوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة، وإلى بر الوالدين، وصلة الأرحام، وترك المعاصي كلها.

---

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله تعالى: «والدعوة إلى الله تعالى بالخطابة وإلقاء المحاضرات ومنها حلقات العلم والتأليف...» (ص١٥).

(٢) قال العلامة ابن باز رحمه الله تعالى: «قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى وأنها من الفرائض». الدعوة إلى الله وأخلاق الداعية (ص ١٩).

وعلى هذا أجمع العلماء؛ للأدلة القاطعة، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف:١٠٨]. راجع: منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله (١/ ٤٣ - ٥٠).

- المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه، أي: يصبر على الأذى في هذه الأشياء، فقد يحصل للإنسان أذى، قد يتعب من المدعو أو غيره، من أهله أو غيرهم، فالواجب الصبر واحتساب الأجر عند الله.

فالمؤمن يصبر على إيمانه بالله، ويصبر على العمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، ويصبر في الدعوة إلى الله، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلابد من الصبر في هذه الأمور كلها(١)؛ فالدين كله يحتاج إلى صبر، صبر على دعوة الله وحده، وصبر على أن تصلي، وتزكي، وتصوم، وتحج، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وصبر عن المحارم والسيئات؛ فتحذر من قربها، فالإنسان إذا لم يصبر وقع فيما حرم الله عليه، أو ترك ما أوجب الله عليه. ولهذا قال تعالى لرسوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [سورة الطور:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:١٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [سورة الزمر:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٤٦]، يعني: اصبروا على طاعة الله، وترك معصيته، واحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه.

****

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «الصبر أقسام ثلاثة:

١ - صبر على الطاعة.

٢ - صبر على المعصية.

٣ - صبر على أقدار الله التي تسر والتي تؤلم». (ص ٦).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

– وهذا هو الدليل على هذه المسائل الأربعة، ففي هذه السورة العظيمة الحجة لهذه الأمور.

وهذا هو الدين كله؛ فالدين كله إيمان، وعمل، ودعوة، وصبر، إيمان بالحق، وعمل به، ودعوة إليه، وصبر على الأذى فيه، والناس كلهم في خسارة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية.

أي: الذين استثناهم الله فجميع بني آدم في خسران وعلى طريق الهلاك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر:٣]؛ فهؤلاء هم الرابحون، وهم السعداء.

وقد أقسم الله على هذا بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [سورة العصر:١]، وهو الصادق سبحانه وتعالى وإن لم يقسم، ولكن أقسم لتأكيد المقام.

والله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من خلقه؛ فلا أحد يتحجر عليه، فأقسم بالسماء ذات البروج، وأقسم بالسماء والطارق، وبالضحى، وبالشمس وضحاها، وبالليل إذا يغشى، وبالنازعات، وغير ذلك؛ لأن المخلوقات تدل على عظمته، وعلى أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، ولبيان عظم شأن هذه المخلوقات التي تدل على وحدانيته وأنه المستحق للعبادة وحده.

وأما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بربه؛ فلا يقسم ولا يحلف إلا بالله، ولا يجوز له أن يحلف

بالأنبياء، ولا بالأصنام، ولا بالصالحين، ولا بالأمانة، ولا بالكعبة، ولا بغيرها[١]، هذا هو الواجب على المسلم لقول النبي ﷺ: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك» أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[٣].

فالواجب على كل مسلم ومسلمة الحذر من الحلف بغير الله، وأن تكون أيمانهم كلها بالله وحده سبحانه وتعالى.



(١) قال الشيخ مقبل رحمه الله تعالى: - بعد ذكر حديث: «إذا حلفتم فقولوا ورب الكعبة» -: «فعلم من هذا أن الحلف بغير الله شرك أصغر إلا أن يبلغ به التعظيم إلى أنه يعظمه مثل الله أو أعظم فيعتبر شركًا أكبر».
فتاوى العقيدة (ص٢٣).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «الحلف بغير الله شرك لفظي تحريمه من باب سد الذرائع، ولكن ينبغي أن يستثنى منه من يحلف بولي يخشى إذا حنث في حلفه به أن يصاب بمصيبة - أي: فهو شرك أكبر -».
التقريب لعلوم الألباني (ص٢٦).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٢)، والترمذي (١٥٣٥) وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنه، وفي سنده انقطاع، وله طرق أخرى، وصححه العلامة الألباني.

(٣) (خ ٦٦٤٦)، (م١٦٤٦/ ٣) عن ابن عمر رضي الله عنه.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله تَعَالَى في هذه السُّورةِ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»(١).

- الشافعي: هو الإمام المشهور، أحد العلماء الكبار، وأحد الأئمة الأربعة، وهو محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، المولود سنة خمسين ومائة وتوفي سنة أربعة ومائتين.

يقول رحمه الله تعالى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ» وفي رواية: «لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم». أي: لو نظروا فيها وتأملوا فيها لكانت كافية في إلزامهم الحق، وقيامهم بما أوجب الله عليهم، وترك ما حرمه عليهم، لأن الله بيَّن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر هم الرابحون، ومن سواهم خاسر، وهذه حجة قائمة على وجوب التواصي، والتناصح، والإيمان والصبر، والصدق، وأنه لا طريق للسعادة والربح إلا بهذه الصفات الأربع إيمان صادق بالله ورسوله، وعمل صالح، وتواصٍ بالحق، وتواصٍ بالصبر.

****

(١) اللفظ المشهور هو ما ذكره ابن القيم في الداء والدواء وهو: «لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم». ثم رأيته أيضًا في تفسير ابن كثير بلفظ: «لوسعتهم» مكان «لكفتهم». ولم أقف على سنده.

وَقَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله تَعَالَى: «بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»[١].

- البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري من بخارى في الشرق الأوسط، ولد سنة أربع وتسعين ومائة في آخر القرن الثاني، ومات سنة ست وخمسين ومائتين في وسط القرن الثالث، كان عمره اثنتين وستين سنة، وهو صاحب الصحيح، وله مؤلفات عظيمة نافعة رحمه الله تعالى.

يقول: «باب العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله سبحانه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد:١٩]؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل»؛ فالإنسان عليه أن يتعلم أولًا، ثم يعمل، فيتعلم دينه، ويعمل على بصيرة[٢]، والله أعلم.

****

(١) وجه الدلالة تقديم العلم على العمل وهو الاستغفار.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «ذكر الشيخ هذا لأن هذه الرسالة رسالة علم كلها شرح المسألة الأولى وهي العلم فينتبه طالب العلم على أن العلم مهم إلى الغاية حتى أنه يقدم على القول والعمل».

(ص٧).

(٢) قال الشيخ الفوزان رفع الله درجته: «لأن العمل لا ينفع إلا إذا كان مبنيًا على علم أما العمل المبني على جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل يكون وبالًا وضلالًا عليه يوم القيامة فلابد أن يقدم تعلم العلم قبل العمل».

(ص ٣٧)

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا(١)، وَرَزَقَنَا(٢)، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾.

ش: هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه:

أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه فلم يخلقهم هملاً، ولا سدىً، ولا عبثًا، لكنه خلقهم لأمر عظيم، ولحكمة عظيمة فيها سعادتهم، وفيها نجاتهم، وهي أن يعبدوا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦](٣)،

وهذه العبادة أمرهم الله بها في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، وفي قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]، وفي قوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة الزمر:٢]، وفي قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥]، في آيات كثيرة

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات:٩٦]، وقال سبحانه: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر:٦٢].

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات:٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت:١٧].

(٣) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «فمن أشرك مع الله إلهًا آخر فقد نقض الغاية العلمية من خلقه وإيجاده». (ص ١٠).

أمرهم فيها بالعبادة، وهي توحيده جل وعلا، وتخصيصه بالعبادة؛ من دعاء، وخوف، ورجاء، وتوكل، ورغبة، ورهبة، وصلاة، وصوم، وغير ذلك.

فهو المستحق للعبادة جل وعلا، دون كل ما سواه، ويدخل في ذلك فعل الأوامر، وترك النواهي، فأداء الأوامر التي أمرك الله بها ورسوله، وترك النواهي التي نهاك الله عنها ورسوله، كل هذا داخل في العبادة، وهذا هو الإسلام، وهو الدين، وهو الإيمان، وهو الهدى؛ فلا تصل إلا لله، ولا تركع إلا له، ولا تذبح إلا له، ولا تدع إلا إياه، ولا تتوكل إلا عليه، إلى غير هذا من العبادات.

أما الاستعانة بحاضر قادر فيما يقدر عليه فهذا ليس بعبادة كما قال سبحانه في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص:١٥]، فإن موسى قادر على أن يغيثه.

أما دعاء الميت، ودعاء الغائب الذي لا يسمع كلامك، أو دعاء الصنم، أو الجن، أو الأشجار، ونحوها فهذا شرك المشركين(١)، وهو الشرك الأكبر الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(١) قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: «ومن هنا يتبين أن قول بعض الدعاة الإسلاميين اليوم في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين : (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة) ليس صحيحًا على إطلاقه؛ لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري؛ إذ فيه شرك صريح، ولعل مثل هذا القول الذي يهون من أمر هذا الانحراف هو أحد الأسباب التي تدفع بالكثيرين إلى عدم البحث فيه وتحقيق الصواب في أمره مما يؤدي في نهاية المطاف إلى استمرار المبتدعين في بدعهم واستفحال خطرها بينهم ...». التوسل (ص١٣٥).

وقال (ص ١٢٥): «الاستغاثة بغير الله تعالى:

الضلالة الكبرى والمصيبة العظمى التي وقع فيها كثير من عامة المسلمين وبعض خاصتهم ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء والصالحين من دون الله تعالى في الشدائد والمصائب، حتى إنك لتسمع جماعات متعددة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة، كأن هؤلاء الأموات يسمعون ما يقال لهم، ويطلب منهم من الحاجات المختلفة بلغات متباينة، فهم عند المستغيثين بهم يعلمون مختلف لغات الدنيا.

عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء:٤٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [سورة الزمر:٦٥].

فالله خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملًا، بل أمرنا بتوحيده، وطاعته، وترك معصيته.

وأرسل إلينا رسولًا هو محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما تقدم، وأنزل عليه القرآن بذلك؛ لنستقيم على ما فيه من الهدى، ونعمل بما فيه من الأوامر، وننتهي عما فيه من النواهي، وعلى يد محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، جاء ليعلم الناس دينهم، فهو خاتم الأنبياء، وإمامهم، وأفضلهم.

فمن أطاع هذا الرسول واستقام على دينه فله الجنة، ومن عصى هذا الرسول وحاد عن دينه فله النار، كما قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: بأعمالكم ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ فهو مرسل عليه الصلاة والسلام، ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: أخذنا فرعون أخذًا وبيلاً في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار.



الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ (١)؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٢).

- هذه المسألة الثانية إنما هي تحقيق للمسألة الأولى: أن تعلم أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه أحد في عبادته، كما أنه الخالق الرازق المحي المميت، الذي خلقك وأعطاك النعم، فهو سبحانه لا يرضى أن يشرك معه أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب ولا غيرهما؛ لأن العبادة حق الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، وكما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]؛ لأن الإشراك به هو أعظم الذنوب.

وقد جاء في الآيات الكثيرة، الأمر بإخلاص العبادة لله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، فتجمع بين أمرين؛ فتؤمن بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، وتؤمن بأنه سبحانه هو المستحق للعبادة من ذبح وصلاة وصوم وغير ذلك من العبادات، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:١٨].

****

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: « إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب إلا لمحاربة الشرك والكفر والقضاء عليهما». (ص ٢٣).

(٢) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «ووجه الاستدلال أن (أحدًا) نكرة جاءت في سياق النفي، وقد تقرر أن النكرات في سياق النفي أو النهي فإنها تعم فيدخل في (أحدًا) الملائكة والأنبياء. (ص١٢).

- الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ[١]، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.

- وهذه هي المسألة الثالثة، وهي من أهم الواجبات: أن يعلم كل مسلم ومسلمة أنه لا يجوز له أن يوالي المشركين أو يحبهم، فكل من أطاع الله ورسوله، ووحد الله جل وعلا يلزمه أن يعادي الكفار، ويبغضهم في الله، ولا يجوز له موالاتهم ومحبتهم[٢]؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ [سورة المجادلة:٢٢]، أي لا تجد يا محمد قومًا أهل إيمان صادق يوادون من حاد الله ورسوله.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥١]، وقال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة:٤].

فلا بد من البغضاء والعداوة لأعداء الله، ومودة المؤمنين ومحبتهم، وهكذا المؤمن يحب أولياء الله،

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «وأصل المولاة في القلب وهي محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر فأصل الدين أن تحب التوحيد وأهله، وتبغض الكفر وأهله». (ص١٤).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الولاء والبراء أصل عظيم جاءت به النصوص الكثيرة ... فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ولو كان أقرب قريب إليه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق». (ص ٢٤- ٢٥).

ويتعاون معهم على الخير، ويكره أعداء الله ويبغضهم ويعاديهم في الله، وإن دعاهم إلى الله(١)، وإن أقرهم في بلاده وأخذ منهم الجزية كولي الأمر؛ لأن الرسول ﷺ أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس(٢)، وأخذ الجزية منهم فيه عون للمسلمين لا محبة لهم.

وتؤخذ الجزية منهم إذا لم يدخلوا في الإسلام، ولا يقاتلون، بل يقرون مع بغضهم في الله، وعدم موالاتهم.

فإن أبوا الإسلام والجزية قوتلوا مع القدرة، وهذا خاص بأهل الكتاب والمجوس، أما بقية الكفار فلا تقبل منهم الجزية، بل يقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام؛ كالوثنيين والشيوعيين وغيرهم من أصناف الكفرة مع القدرة على ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة الأنفال:٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة:٤١]، وقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟

---

(١) إنك لتعجب من قول بعض الناس: «إن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن حض على مصافحتهم ومصادقتهم ... إلخ» كما في كتاب: الإخوان أحداث صنعت التاريخ (١/ ٤٠٩ - ٤١٠).
سئل العلامة ابن باز عن هذه المقالة فأجاب: «هذه مقالة خبيثة، اليهود من أعدى الناس للمؤمنين، هم من شر الناس ... هذه المقالة مقالة خاطئة ظالمة قبيحة منكرة ... إلخ». راجع كتاب: العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم (٧٩-٨٢).
فأين الولاء والبراء لدى هؤلاء القوم الذين يتظاهرون بالتباكي على الإسلام والمسلمين؟؟!، ولو قرأت كتاب (الولاء والبراء عند الاخوان المسلمين) لهالك الأمر، سلمنا الله تعالى وإياكم من الضلال - آمين.
(٢) أما أخذها من الكتابيين فلقوله تعالى: (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وأما أخذها من المجوس فلحديث عبد الرحمن بن عوف في البخاري (٣١٥٦، ٣١٥٧)، وفي أخذها من غيرهم خلاف.

سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة التوبة:٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومراده سبحانه مع القدرة على ذلك؛ لقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، وقوله سبحانه: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [سورة التغابن:١٦] الآية، ولأنه ﷺ لم يقاتل المشركين حتى قوي على ذلك.

ثم قال تعالى في آخر الآية: قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ [سورة المجادلة:٢٢] أي: قواهم بقوة منه.

****

- اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ -: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ -: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ[١]. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ[٢].

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

ش: قال رحمه الله تعالى: «اعلم أرشدك الله لطاعته»، جمع رحمه الله تعالى بين التعليم والدعاء[٣].

«الحنيفية ملة إبراهيم»: وهي أن تعبد الله مخلصًا له الدين، وهي التي قال الله فيها لنبيه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [سورة النحل:١٢٣]، فالحنيفية هي الملة التي فيها الإخلاص لله وموالاته، وترك الإشراك به سبحانه، والحنيف هو: الذي أقبل على الله وأعرض عما سواه، وأخلص له العبادة، كإبراهيم وأتباعه وهكذا الأنبياء وأتباعهم.

---

(١) قال شيخنا رحمه الله تعالى: «أمر مهم جدًا أن نخلّص العبادة من الدنس الذي يلوثها ومن أقبح ذلك وأعظمه ألا وهو الشرك بالله ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء:٤٨]». قمع المعاند (ص١١).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «يعني أن التوحيد من معنى العبادة وإلا فقد سبق لك معنى العبادة وأنها أعم من مجرد التوحيد». (ص٢٦).

(٣) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «وفيه تلطف منه رحمه الله حيث دعا للمتعلمين وهذا هو الذي ينبغي أن يكون مع المتعلمين لأن التعامل والتلطف معهم بأحسن ما يجد المعلم يجعل قلب المتعلم قابلًا للعلم منخفضًا له مقبلًا عليه». (ص١٧).

قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا»، فأمرهم بالتوحيد والإخلاص، وخلقهم ليعبدوه، وأمرهم بأن يعبدوه وحده في صلاتهم وصومهم ودعائهم وخوفهم ورجائهم وذبحهم ونذرهم وغير ذلك من أنواع العبادة. كله لله كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة الزمر:٢]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١].

هذه العبادة هي التي خلق لها الناس، خلق لها الثقلين وهي توحيد الله، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، يعني: يوحدوني في العبادة ، ويخصوني بها، بفعل الأوامر وترك النواهي، إلى غير ذلك من الآيات.

«وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ»: وَهُوَ إفراد الله بالعبادة، فتقصده بالعبادة دون كل من سواه، فلا تعبد معه صنمًا، ولا نبيًّا، ولا ملكًا، ولا حجرًا، ولا جنيًّا، ولا غير ذلك(١).

«الشرك دعوة غيره معه»(٢)، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٦٥]، وفي الصحيحين(٣) أن النبي ﷺ سئل أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك».

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: « وهناك تعريف للتوحيد أعم، وهو: إفراد الله تعالى بما يختص به». (ص٢٧).

(٢) قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «المشرك هو: كل من أشرك مع الله شيئًا في ذاته أو في صفاته أو في عبادته». الصحيحة (٤/ ٨٧).

(٣) (خ٤٤٧٧)، (م٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فبيَّن ﷺ أن الشرك أعظم الذنوب وأشدها وأخطرها.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «الإشراك بالله...» الحديث متفق عليه(١).

فالتوحيد: إفراد الله بالعبادة(٢).

والشرك: هو دعوة غير الله مع الله، تدعوه، أو تخافه، أو ترجوه، أو تذبح له، أو تنذر له، أو غير ذلك من أنواع العبادة.

هذا الشرك الأكبر سواء كان المدعو نبيًّا، أو جنيًّا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو غير ذلك؛ ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]، فـ﴿شَيۡـٔٗا﴾ نكرة في سياق النهي، فتعم كل شيء.

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥].

فأعظم مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ الله بالعبادة، وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك بالله، كما تقدم.

ولهذا أكثر سبحانه وتعالى في القرآن من الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

****

---

(١) (خ٢٦٥٤)، (م٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «ومراد الشيخ رحمه الله تعالى: التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه؛ لأنه الذي حصل به الإخلال في أقوامهم». (ص٢٧).

[الأصل الأول : معرفة الله تعالى]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢]. وَكُلُّ مَا سِوَى الله عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

-هذه الأصول الثلاثة تجمع الدين كله: «من ربك؟»، و«ما دينك؟» و«من نبيك؟»، وهي التي يسأل عنها العبد في قبره(١).

قوله (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟...): فإذا سأل سائل فقال: «مَنْ رَبُّكَ؟»

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، هذا رب الجميع كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢].

والعالمون: جميع المخلوقات كلهم عالمون - الجن والإنس والبهائم والجبال والأشجار - كلها عالم.

قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

(١) كما في مسلم (٢٨٧١) عن البراء رضي الله عنه، وعن أنس رضي الله عنها في الصحيحين (خ ١٣٧٤)، (م ٢٨٧٠)، وعن أسماء رضي الله عنها أيضًا (خ١٠٥٣)، (م٩٠٥)، وجاء في حديث البراء الطويل في السنن والمسند وغيرها.

فهو رب الجميع له الخلق وله الأمر وهو المستحق بأن يعبد، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١] الآية.

قوله: «وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢]» يعني: الثناء كله لله، والعبادة من الثناء، ومن الحمد.

«وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ» من الجن والإنس والحيوانات والجبال، كلها عوالم.«وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ» الذي خلقه الله وأوجده وأوجب عليه طاعته.

فعلى جميع العالمين من المكلفين من الجن والإنس أن يطيعوا الله ورسوله ويوحدوه جل وعلا.

وهكذا الملائكة عليهم أن يعبدوا الله وحده، ولهذا قال تعالى عن الملائكة: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [سورة التحريم:٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٧-٢٨].

****

- فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ(١).

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

- إذا قيل لك أيها المسلم: بِمَ عرفت ربك الذي أنت تعبده؟

«فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ»: أي: بآياته الكثيرة(٢)، وبمخلوقاته العظيمة، التي تدل على أنه الرب العظيم، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يعبد، وأنه الذي يخلق ما يشاء، ويعطي ويمنع، وينفع ويضر، بيده كل شيء سبحانه وتعالى؛ فهو المستحق بأن نعبده بطاعته، ودعائه، واستغاثته، وسائر أعمالنا وعباداتنا؛ لأن الله خلقنا لهذا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «فرق الشيخ بين الآيات والمخلوقات؛ لأن الآية هي البينة الواضحة، والليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه في السماوات والأرض، لأنها متغيرة وتذهب وتجيء وأما السماء والأرض فهو يصبح وهو يراهما فقد ألف عليهما، فإلفه - أي العبد - يحجب عنه كونها آيات». (ص٢٣).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الآيات نوعان: كونية، وشرعية؛ فالكونية هي: المخلوقة، والشرعية هي: الوحي الذي أنزله الله على رسله..». (ص٣٣).

وهذه العبادة هي توحيده، وطاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه قولًا وعملًا.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [سورة فصلت:٣٧]: كل هذه تدل على أنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم.

يأتي الليل بظلامه، ويذهب النهار بضيائه، ثم يجيء النهار، ويذهب الليل، وهذه الشمس تطلع على الناس في الدنيا كلها، وينتفعون بها، وهذا القمر كذلك وغير هذه من الآيات العظيمة؛ كالأرض وما فيها من جبال، وأنهار، وبحار، وأشجار، وحيوانات، وهذه السموات التي يراها الناس، كلها من آياته الدالة على عظمته وأنه رب العالمين وأنه الخلاق العليم وأنه المستحق للعبادة

ولهذا قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت:٣٧]، يعني: لا تعبدوا هذه المخلوقات، بل اعبدوا الذي خلقها وأوجدها سبحانه وتعالى، فهو المستحق بأن يذل له العبد ويخضع له، ويطيع أوامره وينتهي عن نواهيه سبحانه وتعالى؛ تعظيمًا وتقديسًا له، وخوفًا منه، ورغبة فيما عنده.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤] يعني: إن ربكم أيها العباد من الجن والإنس هو الله تعالى. و﴿رَبَّكُمُ﴾ يعني: خالقكم، وهو معبودكم الحق وحده لا شريك له.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، أي: ثم ارتفع على العرش، وعلا فوقه سبحانه وتعالى، فعلمه في كل مكان وهو فوق العرش، فوق جميع المخلوقات، والعرش سقف المخلوقات وهو أعلى المخلوقات، والله فوقه جل وعلا.

استوى عليه استواءً يليق بجلاله لا يشابه خلقه في شيء من صفاته؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص:٤].

وقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، أي: يغطي هذا بهذا، وهذا بهذا.

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعًا، وكل واحد يطلب الآخر، إذا انتهى هذا دخل هذا، وهكذا، حتى تقوم الساعة. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، أي: وخلق الشمس والقمر ﴿وَٱلنُّجُومَ﴾ خلقها ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، ومطيعات مذللات لأمره سبحانه.

ثم قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، فالخلق له، والأمر له، هو الخلاق الذي لا يخالف أمره الكوني الذي هو نافذ في الناس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس:٨٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [سورة القمر:٥٠]؛ فأمر الله الكوني القدري لا راد له ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

فـ﴿تَبَارَكَ﴾ يعني: بلغ في البركة النهاية، وهي لا تصلح إلا لله؛ فلا يقال للعبد: تباركت يا فلان، هذا لا يصلح، وإنما هو خاص بالله كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك:١]، وإنما يقال للمخلوق: بارك الله في فلان، أو فلان مبارك، أما «تباركت» فإنها لا تصلح إلا لله وحده.

****

- وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ(١)؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله تَعَالَى(٢): «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ» .

- والرب هو المعبود، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: المخلوقات كلها من الجن، والإنس، والسماء، والأرض، وهو ربها سبحانه وتعالى، وهو رب الجميع، وخالق الجميع، وخالق الجميع جل وعلا.

قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١] خلق الجميع الذين قبلنا، والذين بعدنا، من آدم وما قبله، وما بعده.

ثم قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ الآية، فهو خلق الجميع ليتقوه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ثم بين سبحانه بعض أفعاله فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ فجعل الأرض فراشًا للناس، ومهادًا لهم، عليها يسكنون، وعليها يبنون ، وعليها ينامون، وعليها يمشون، وأرساها بالجبال.

ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ فجعلها بناءً وسقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون، وزينها بالنجوم والشمس والقمر.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «أي هو الذي يستحق أن يعبد». (ص٣٥).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الحافظ المشهور، وصاحب التفسير والتاريخ، من تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية، توفي سنة (٧٧٤ هـ)». (ص٣٧).

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: من السحاب، ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡ﴾ أنواع الأرزاق في كل مكان، ويحيي الله به الأرض بعد موتها.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أشباهًا ونظراء تعبدونها معه، لا صنمًا، ولا جنًّا، ولا ملكًا، ولا غير ذلك؛ فالعبادة حق الله وحده، ليس له نديد، ولا نظير، ولا مثيل، بل هو الإله الحق.

وكان المشركون يتخذون له الأنداد والنظائر والأمثال من الأصنام، والجن، والملائكة، ويعبدونهم من دون الله، ويستغيثون بهم؛ فأنكر الله عليهم ذلك، وبيّن أن هذه المخلوقات ليس لها حق في العبادة، ولا قدرة لها على شيء إلا بإذنه سبحانه وتقديره.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: «الخالق لهذه الأشياء» من سماء، وأرض، وثمار، وأشجار، ومطر، وغير ذلك «هو المستحق للعبادة» سبحانه وتعالى، وأن يطاع؛ لأنه رب الجميع، وخالق الجميع، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٣].

****

- وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا - كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(١).

- العبادة أنواع: فمنها الإسلام بأركانه. فكل ما أمر الله به من أعمال الإسلام عبادة، من صلاة وصوم وغير ذلك، وهكذا الإيمان بأعماله الباطنة، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وكذلك الخوف والمحبة والرجاء إلى غير ذلك. فكل ما يتعلق بالقلوب داخل في العبادة بل هو أعلى أنواع العبادة وأعظمها.

فالواجب على كل مكلف إخلاص العبادة لله وحده. فلا يدعو مع الله الأنبياءَ، ولا الأولياءَ، ولا الأصنام، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا النجوم؛ لأن العبادة حق لله وحده، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة

---

(١) قال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى: «يجب أن تكون هذه المساجد موطنًا لعبادة الله وحده، ولا يحدث فيها شيء لغير الله؛ فلا تبنى فيها القبور والأضرحة، فالمساجد يجب أن تطهر من آثار الشرك والوثنية ... وقوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ لا تستغيثوا بأحد مع الله، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صنم، ولا وثن، ولا قبر، ولا شيخ، ولا ولي، ولا حي، ولا ميت، كائنًا من كان» (ص٥٧ - ٥٩).

وقال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: «القبر والمسجد لا يجتمعان في دين الإسلام، وإن اجتماعهما معًا ينافي إخلاص التوحيد والعبادة لله ، هذا الإخلاص الذي من أجل تحقيقه تبنى المساجد كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:١٨]». تحذير الساجد (ص٩) ط. المعارف.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «يجب على المسلمين أن يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي قد تؤدي إلى الشرك مثل بناء المساجد على القبور». (تحذير الساجد ص١٦١).

يونس:١٠٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [سورة فاطر:١٣-١٤].

فسمى سبحانه دعاءهم شركًا.

فالواجب على جميع المكلفين إخلاص العبادة لله وحده، رجاء، وخوفًا، واستعانة، واستغاثة، وذبحًا، ونذرًا، وخشية لله، وصلاة، وصومًا، إلى غير ذلك، كله لله وحده؛ فمن تقرب لغير الله من ولي، أو نبي، أو صنم، أو شجر، أو حجر، بالدعاء، أو بالذبح، أو بالنذر، أو بالصلاة، أو بالصوم، ونحو ذلك؛ فهو مشرك كافر(١)، أشرك بالله، وعبد معه سواه، كفعل المشركين الأولين: من عباد القبور، وعباد الأشجار، والأحجار، والأصنام، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [سورة المائدة:٧٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٦٥-٦٦].

---

(١) قال شيخنا الوادعي رحمه الله تعالى: «الذي يدعو الأموات لرجاء نفع، أو دفع ضر، بُيِّن له أن هذا شرك كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧] ... فإن أصر على دعاء غير الله تعالى فهو مشرك حلال الدم والمال ...».
فتاوى العقيدة (ص٣٦).

- فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ الله؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .

- فكل هذه العبادات يجب إخلاصها لله، ومن صرف منها شيئاً لغير الله؛ من صنم، أو شجر، أو حجر، أو قبر؛ فهو مشرك بالله؛ لقوله تعَالَى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، ولغيرها من الآيات السابقات.

وهذا دليل على ما تقدم.

****

- وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»(١). وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

- وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»، وفي لفظ آخر: «الدعاء هو العبادة»(٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [سورة غافر:٦٠]؛ فسمى الدعاء عبادة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ يعني: عن دعائي.

فالدعاء هو: أن يضرع إلى الله يدعوه، ويسأله النجاة، ويسأله الرزق، كل هذا عبادة، فإذا صرفها للصنم أو للشجر أو للحجر أو لميت، صار مشركًا بالله ﻷ؛ فيجب الحذر من الشرك كله، دقيقه وجليله، وأن تكون العبادة لله وحده.

لكن دعاء الحي الحاضر القادر، والاستعانة به في الشيء المقدور عليه، لا بأس به ولا يعتبر داخلًا في الشرك فلو قلت لأخيك الحاضر: يا عبد الله! أعني على قطع هذه الشجرة، أو على حفر هذه البئر؛ فلا بأس بذلك، كما قال سبحانه في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [سورة القصص:١٥] الآية.

استغاثه الإسرائيلي على القطبي؛ لأن موسى قادر على إغاثته، يتكلم ويسمع.

أما إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله حاضرًا أو غائبًا أو ميتًا، واعتقد أنه ينفع من دعاه

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) عن أنس رضي الله عنه، وسنده ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني والشيخ الوادعي.

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وغيرهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وسنده صحيح، وصححه الشيخان الألباني والوادعي.

أو يضر لا بالأسباب الحسية فهذا من الشرك بالله.

كما قال تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨].

فيظنون أنهم يستطيعون بعبادتهم إياهم أن يشفعوا لهم عند الله في حصول مطالبهم أو أنهم يقربونهم إلى الله زلفى.

كما قال الله سبحانه عنهم في الآية الأخرى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]. وهذا من جهلهم، وضلالهم بالشافع والمشفوع إليه.

والله سبحانه له الشفاعة جميعًا، وهو الذي يتصرف في عباده كيف يشاء؛ فلا يأذن بالشفاعة إلا فيمن يرضى الله عمله، ولا يشفع أحد عنده إلا بعد إذنه. كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨].

فالشفاعة لا تكون إلا بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع فيه.

وهو سبحانه لا يرضى بالشفاعة إلا لأهل التوحيد، كما صح عنه ﷺ أنه قال لما سأله أبو هريرة قائلًا: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»، أخرجه البخاري في صحيحه(١).

ولا تكون الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله من أهل التوحيد والإيمان.



(١) (خ٩٩ / ٦٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]

- ومن ذلك: الخوف، وهو أقسام ثلاثة:

الأول: خوف السر[1]، وهذا خاص بالله؛ لأنه القادر على كل شيء، وهو الذي يُخاف ويُخشى. كما قال تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة التوبة:١٨]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [سورة المائدة:٤٤].

فالواجب خشية الله وخوفه؛ لأنه مصرف القلوب ومقلبها، والقادر على كل شيء، وهو الذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع، فالواجب تخصيصه بالخوف، وألا يخاف هذا الخوف إلا الله في كل الأمور. ولكن خوف السر يختص به سبحانه، وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصة سرية ليست حسب الحس؛ ولذلك يعتقد عباد القبور أن بعض الناس له القدرة على التصرف في الكون مع الله جل وعلا، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أن لهم القدرة على العطاء والمنع، وزيغ القلوب، وموت النفوس دون أسباب حسية.

الثاني: خوف الأسباب الحسية، كما قال تعالى في قصة أحد لما قيل للنبي ﷺ إن المشركين قد جمعوا لكم وسيرجعون إليكم، فأنزل الله في ذلك:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]، فالشيطان يخوف الناس من أوليائه، ويعظمهم في صدور الناس حتى يخافوهم، والله يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾، بل اعتمدوا عليّ، وأعدوا العدة ولا تبالوا بهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [سورة الأنفال:٦٠].

---

(١) سيأتي قريبًا توضيحه.

وهذا الخوف الحسي لا بأس به، لكن الخوف القلبي خوف السر هذا هو المنهي عنه، أما الخوف الحسي، مثل أن يخاف من اللص أو السارق أو العدو، فيعد العدة من السلاح اللازم كل هذا لابد منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [سورة النساء:٧١]، وقال سبحانه في قصة موسى لما خرج من مصر خائفًا من فرعون وقومه: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [سورة القصص:٢١].

فإن هذا الخوف خوف حسي لا بأس به، لكن لا يجوز خوف العدو خوفًا يمنع من جهاده، ونصر الحق، وإنما يحمله هذا الخوف على الإعداد للعدو، وأخذ الحذر.

الثالث: الخوف الطبيعي الذي جبل عليه الإنسان، وهذا لا حرج فيه، مثل خوف الإنسان الحية والعقرب والسبع، فيتباعد عنها ويقتلها، ويتباعد عن مظنة السباع حتى لا يتأذى بها. هذا أمر لا بد منه، والله جبل الناس على الخوف مما يؤذي حتى يتحرز منه، يخاف البرد فيلبس الثياب الغليظة، ويخاف من الجوع فيأكل، ويخاف العطش فيشرب، هذه أمور طبيعية لا بأس بها.



- وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

- ودَلِيلُ التَّوكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

- وهكذا الرجاء عبادة لله فيرجو الله ويحسن به الظن(١)، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف:١١٠]، فالرغبة إليه، ورجاء ما عنده، عبادة له سبحانه وتعالى.

قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

فالرغب: الرجاء، والرهب: الخوف، وكلاهما عبادة.

وعلى العبد أن يحسن ظنه بربه، ويعمل بالأسباب الشرعية.

وإن الظن الحسن مع الأخذ بالأسباب يعود على العبد بالخير، وبالرحمة، وبدخول الجنة، وبمغفرة الذنوب.

- وهكذا التوكل عبادة، وهو: التفويض إلى الله، والاعتماد عليه في كل الأمور مع الأخذ بالأسباب، فتعتمد على الله في السلامة من الشر، والعافية من الفتن، وحصول الرزق، وفي دخول الجنة، والنجاة من النار، مع الأخذ بالأسباب المشروعة قال تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣]، يعني كافيه.

---

(١) قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: «الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله , وصرفه لغير الله تعالى شرك». (ص٤١).

- وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾. وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾. وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

- وهكذا الرغبة والرهبة والخشية من الله[1] كل هذه عبادات، قال تعالى عن الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠]، يعني خائفين يخشون الله، ويخشعون لعظمته أي: يذلون.

- وهكذا الإنابة عبادة[2]؛ قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [سورة الزمر:٥٤].

والإنابة معناها: الرجوع إلى الله، والتوبة إليه، والاستقامة على طاعته، فهذه عبادة لله، يجب على الناس أن ينيبوا إلى الله، ويرجعوا إليه، ويتوبوا إليه، ويستقيموا على طاعته.

❊❊❊❊

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.
والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف منه.
والخشوع: الذل لعظمة الله تعالى بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.
والخشية: هي الخوف المبني على العلم بعظمة الله تعالى وكمال سلطانه». (ص٤٢ - ٤٣).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الإنابة: الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته». (ص٤٣).

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ[١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله»[٢].

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ[٣]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾.

- وهكذا الاستعانة عبادة؛ كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]. وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله». فيستعين العبد بالله فتقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك، اللهم أعني على طاعتك، اللهم أعني على كل خير، إلى غير هذا، تستعين بالله في كل المهمات.

- وهكذا الاستعاذة عبادة؛ أن تستعيذ بالله من الشرور، وتلجأ إليه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق:١]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس:١].

فالاستعاذة بالله من الشيطان، ومن كل مؤذ، ومن كل عدو، أمر مأمور به، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠].

****

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الاستعانة بالله المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه سبحانه». (ص٤٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو حسن وصحيحه الشيخان الألباني في السنن والوادعي في جامعه (١/ ٣١).

(٣) قال العلامة العثيمين رحمه الله تعالى: «وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به تعالى». (ص٤٥).

- وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

- وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله»[(١)].

- وهكذا الاستغاثة عبادة؛ أن تستغيث بالله في الشدائد من عدو، أو تطلبه إنزال الغيث المبارك، أو بكشف الضر[(٢)]، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩].

- وهكذا الذبح عبادة[(٣)]؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢].

****

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي رضي الله عنه.

(٢) قال شيخنا رحمه الله تعالى فيمن يشرك في الاستغاثة: «إذا كان يعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله فنعامله على أنه مشرك». فتاوى العقيدة (ص٣٥).

(٣) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «إراقة الدم لا يكون إلا بتعلق القلب، فإذا أراق الدم لله عز وجل تعلق القلب بالله، فالذبح عبادة ظاهرة، يتبعها عبادة باطنة قلبية فمن ذبح لغير الله فصار شركه من جهتين». (ص٣٨).

وقال شيخنا رحمه الله تعالى: «الذبح للمنصد (الهَجَر) قريب من الشرك إن لم يبلغه، وأما الذبح عند القبور فهذا شرك». فتاوى العقيدة (ص٦٥).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في (الهَجَر): «لا تجوز لوجوه: أولها: أنه من سنة الجاهلية ... وقد قال جماعة من العلماء: إن هذا يعتبر من الذبح لغير الله، وذلك لا يجوز، بل هو في الجملة من الشرك ...» ا.هـ المراد.

- وَدَلِيلُ النَّذْرِ(١): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

- وهكذا النذر عبادة؛ قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [سورة الإنسان:٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [سورة البقرة:٢٧٠]، الآية.

وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»(٢).

فالنذر عبادة وطاعة لله، إذا فعله الإنسان لزمه الوفاء، والنذر مكروه؛ لأن فيه التزامًا؛ وفيه مشقة، ولهذا نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «إن النذر لا يأتي بخير»(٣)، ولكن إذا نذر طاعة لزمه الوفاء؛ لقول الرسول ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه».

فإذا نذر عبادة؛ من صلاة، أو صوم، أو غيرهما، لزمه الوفاء؛ لما تقدم.

****

(١) والنذر: أن يلزم المسلم نفسه بعبادة أو مباح لم يلزم بأصل الشرع.

(٢) (خ٦٧٠٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) (خ٦٦٩٣)، (م١٦٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.

[الأصل الثاني : معرفة العبد دينه]

- الْأَصْلَ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ(١).

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَـهَ إِلّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨]

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ.

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

«إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ.

لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٤]

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «البراءة تشمل الخلوص من الشرك وزيادة، والبراءة أدل على المقصود. وأصلها : البغض للشرك في القلب والبغض لأهله، ويتبع بغضهم معاداتهم وتكفيرهم ومقاتلتهم، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت». (ص١٣، ٤٢- ٤٣).

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ(١).

- هذا هو الأصل الثاني، وهو دين الإسلام، وهو ثلاث مراتب بينها الرسول ﷺ، فأولها الإسلام وهو: الإخلاص لله وحده، يعني: الاستسلام لله بالعبادة، وتخصيصه بها دون كل ما سواه، والبراءة من الشرك وأهله، فإذا فعل ذلك فقد أسلم يعني: انقاد وذل وخضع لله وحده بالعبادة دون كل ما سواه، وتبرأ من الشرك وأهله.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

والكفر بالطاغوت معناه: البراءة من الشرك وأهله، وإنكار ذلك، واعتقاد بطلانه.

---

(١) هذا تفسير بمقتضى الشهادة ، وبعض أهل العلم يستعمله، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: معنى شهادة "أن محمداً رسول الله" هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - عز وجل - إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كما

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [سورة الفرقان، الآية: ١]

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو صلى الله عليه وسلم عبد لا يعبد ورسول لا يكذَّب.

وهناك مرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان، وكلها داخلة في دين الإسلام، الدين الذي شرعه الله لعباده وأرسل به الرسل جميعًا.

ومرتبة الإسلام تشمل الأعمال الظاهرة.

وأركانه خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في قوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(١).

فأول أركان الإسلام: شهادة أن لا اله إلا الله، وبها يدخل العبد في الإسلام، فيشهد أن لا إله إلا الله، أي: لا معبود حق إلا الله(٢).

وهي نفي واثبات، فـ«لا إله» نفي، و«إلا الله» إثبات، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البينة:٥] الآية، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [سورة الحج:٦٢].

أما قولها بدون العمل بها، فلا تنفع كأن يقول: لا اله إلا الله، ولا يخص الله بالعبادة فإن شهادته لا تنفع، كالمنافقين فإنهم يقولونها ولا يعتقدونها؛ فهم في الدرك الأسفل من النار.

---

(١) (خ ٨)، (م ١٦/ ٢١) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) ومن هنا تعلم خطأ من فسرها بقوله : (لا حاكمية إلا الله) كسيد قطب، وخطأ من فسرها بـ(لا معبود إلا الله) كالصوفية والإخوان والتبليغ، وغلط من فسرها بـ(لا خالق إلا الله)، وفسرها الزنداني في كتابه (التوحيد): أن تقتنع بأن لهذا الكون إلهًا خلقه.

ولمعرفة بطلان أو مقصود ذلك ارجع إلى كتابنا: "الجهل المبين بمعنى «لا إله إلا الله» ".

فالذي يقول: لا اله إلا الله ويعبد القبور والأصنام لا تنفعه، بل هي باطلة.

وأما الشهادة الثانية وهي: أن محمدًا رسول الله؛ فدليلها قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: محمدًا عليه الصلاة والسلام تعرفونه؛ لأنه من أنفسكم، وهو من أشرف قبائلكم من بني هاشم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي يشق عليه ما يشق عليكم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [سورة التوبة:١٢٨] يعني: على هدايتكم، وإنقاذكم من النار.

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

وبعد هذه الشهادة، على العبد أن يطيعه فيما أمر، وأن يصدقه فيما أخبر، وأن يجتنب ما عنه نهى وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

فلا بد من هذه الأمور الأربعة:

الأول: طاعته فيما أمر من الصلاة والزكاة وغيرها.

الثاني: تصديقه فيما أخبر عن الآخرة والجنة والنار وغير ذلك.

الثالث: واجتناب ما عنه نهى وزجر، كالزنا والربا وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله.

الرابع: وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فلا يبتدع في الدين مما لم يشرعه الله؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[١]، وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[٢] أي: هو مردود.

---

(١) (م ١٧١٨/١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢)(خ ٢٦٩٧)، (م ١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها أيضًا.

- وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة:١٨٣]

- وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة:٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة:١١].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [سورة التوبة:٥].

- ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة:١٨٣] إلى قوله سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

أي: أن الصيام واجب عليكم كل عام، في شهر رمضان.

****

- ودَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

- ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران:٩٧] الآية.

وهو مرة في العمر؛ لقول النبي ﷺ: «الحج مرة فمن زاد فهو تطوع»(١).

****

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنه، ورجاله ثقات إلا سليمان بن كثير، فصدوق يخطئ عن الزهري. وقد توبع عند ابن ماجة (٢٨٨٦) وغيره، والحديث صححه الشيخان الألباني في السنن، والوادعي في الصحيح المسند (٦٦٩).

- الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ(١)؛ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلِّهِ مِنَ الله.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾.

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾.

- الإيمان: هو ما يتعلق بالقلوب، من التصديق بالله، وأنه رب العالمين، وأنه هو المستحق للعبادة، والتصديق بالملائكة وبالكتب وبالرسل وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره.

كل هذا يتعلق بالقلوب؛ فهو أصل من الأصول التي لا بد منها؛ فلا إسلام إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بإسلام؛ فلا بد من هذا وهذا، لا بد من إسلام الجوارح، ولابد من إسلام القلوب وإيمانها.

ولهذا جمع الله بين الأمرين في كتابه العظيم، وهكذا الرسول ﷺ ذكرهما جميعًا.

فالإسلام هو: الانقياد الظاهر بطاعة الله وترك معصيته.

والإيمان يشمل الأعمال الباطنة مما يتعلق بالقلوب وتصديقها.

ويطلق الإسلام على الإيمان، ويطلق الإيمان على الإسلام؛ فإذا قيل الإيمان عم الجميع، وإذا قيل الإسلام عم الجميع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [سورة آل عمران:١٩].

---

(١) قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «وأما الإيمان في الشرع فهو كما فسره أهل السنة والجماعة: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية». (ص١٩٧).

فيعم ما يتعلق بالباطن والظاهر.

وهكذا الإيمان إذا أطلق عم الجميع؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح[١]: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذى عن الطريق»، فالإيمان هنا يعم الجميع، فيعم أركان الإسلام، ويعم جميع الأعمال الظاهرة، كما يعم الباطنة. كما أنه يشمل الإحسان.

****

(١) (م٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله في الصحيحين.

- الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ - رُكْنٌ وَاحِدٌ -، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ الآية. وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]،

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[2] الْآيَة.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ[3]، عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ!

أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَـهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ - فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ -.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟

---

(١) هذه الآية ليست في بعض المطبوع، وهي من المخطوطات الثلاث.

(٢) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «وجه الاستدلال في قوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الْآيَة. [سورة يونس:٦١]، وشهود الله جل وعلا لما يعمل العباد من معاينة رؤيته فالله عز وجل يرى أعمالكم على جميع تفصيلاتهم». (ص٥١).

(٣) (م ٨)، وقوله «جلوس» ليست في الحديث.

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ،

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

[قَالَ: صَدَقْتَ](١).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُم».

- أما الإحسان فهو: إكمال العبادة ظاهرًا وباطنًا(٢)، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فمن عبد الله على هذا الاستحضار فقد أدرك مرتبة الإحسان، واجتمع له الخير كله، كما قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [سورة النحل:١٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف:٥٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) هذه الزيادة ليست في مسلم.

(٢) أما الظاهر فهو المتابعة بحيث يكون العمل موافقًا للكتاب والسنة كما دل عليه قوله ﷺ: «كأنك تراه»، والباطن هو: الإخلاص لله تعالى كما دل عليه بقية الحديث؛ فالإحسان: هو الاخلاص والمتابعة.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم (١)

- وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ(٢).
وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً - مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

ش: هذا هو الأصل الثالث، وهو معرفة نبينا محمد ﷺ، فعلى الإنسان أن يعرف نبيه الذي أرسله الله إليه، وبلغه الرسالة، وبين له الشرائع التي أمره الله بها، وأوضح له العبادة التي خلقنا الله لها.

هذا النبي هو محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء، ورسول الله لهذه الأمة من الجن والإنس.

أرسله الله للناس جميعًا، قال تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

فاسمه محمد، واسمه أحمد، واسمه الحاشر، والماحي، والمقفي؛ لأنه خاتم الأنبياء، وهو نبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة(٣).

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «المراد بالمعرفة هنا: العلم به، وبحاله، ونسبه، وعمره، ونبوته؛ فحقيقة هذا الفصل العلم ببعض سيرته ﷺ، وهذا العلم يتعين؛ لتكون الشهادة بـ(أن محمدًا رسول الله) عن علم ومعرفة». (ص٥٢).

(٢) ونسبه كما ذكره البخاري رحمه الله تعالى: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

(٣) ومن أسمائه أيضًا: العاقب، الرسول، النبي، الصادق، الأمين، القاسم، وغيرها.

هذه كلها أسماؤه عليه الصلاة والسلام.

لكن أشهرها وأفضلها وأعظمها: (محمد) الذي سماه به أهله، وجاء به القرآن قال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

وهكذا (أحمد) كما بشر به عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف:٦].

فهو محمد، وأبوه عبد الله، وجده اسمه عبد المطلب، وعبد المطلب لقب، وإلا فاسمه شيبة، وأبو جده اسمه هاشم، وهو سيد من سادات قريش، كما أن عبد المطلب كذلك، وهاشم من قريش قبيلة عظيمة، وهي أفضل العرب.

والنبي ﷺ من خاصتهم من بني هاشم، وهم أفضل قريش، واسمه فهر بن مالك، وقيل: قريش هو النضر بن كنانة جد فهر بن مالك، وقريش من العرب المستعربة التي استعرب لسانها فصار لها لسان عربي واضح.

فهي أكثر عروبة من قحطان، ولهذا يقال لهم: العرب العاربة والعرب المستعربة، وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل.



- نُبِّئَ بـ(اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بالْمُدَّثِّرْ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ[1].

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

- وهذا النبي العظيم وهو محمد ﷺ نبئ بـ (اقرأ)، فأول ما نزل عليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١]، وصار بها نبيًا.

وقد أتاه جبريل وهو في الغار - غار حراء - فأقرأه هذه السورة[2].

ثم بعد مدة يسيرة جاءه بالمدثر[3]، فصار رسولًا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [سورة المدثر:١-٢].

والمدثر: الملتحف؛ لأنه بعد ما جاءه الوحي، اشتد عليه الأمر، وقال: «زملوني زملوني ... دثروني دثروني» من شدة ما أصابه من الخوف لما ضغط عليه جبرائيل عليه الصلاة السلام مرات.

---

(١) لآية تشمل جميع أنواع الطهارة، وسيأتي توجيه الشيخ بقوله (طهر أعمالك من الشرك؛ لأن تطهير الملابس غير مراد في هذه الآية؛ لأن الصلاة لم تفرض في ذلك الوقت، فالمراد هنا الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]؛ فالعمل يسمى لباسًا)، هذا حتى لا تتوهم أنه بعيد المعنى.

(٢) (خ٧)، (م ١٧٧٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) (خ٤)، (م١٦١) عن جابر رضي الله عنه.

ثم قال: اقرأ؛ تمهيدًا لأعباء الرسالة وعظمتها.

ثم قال الله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: قم فأنذر الناس، فصار رسولاً بأمره بالنذراة.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر أعمالك من الشرك؛ لأن تطهير الملابس غير مراد في هذه الآية؛ لأن الصلاة لم تفرض في ذلك الوقت، فالمراد هنا الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]؛ فالعمل يسمى لباسًا.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ فالرجز: الأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

❊❊❊❊

- أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ[(١)].

- أخذ على هذا الأمر عشر سنين، يدعو إلى التوحيد، ويحذر من الشرك، ويأمر بخلع عبادة ما سوى الله سبحانه، وترك عبادة الأصنام والأوثان، ويأمرهم أن يخصوا الله بالعبادة في دعائهم ونذرهم وذبائحهم وغير ذلك.

ثم بعد العشر عرج به ﷺ إلى السماء مع جبرائيل وفتحت له السموات إلى موضع رفيع فوق السماء السابعة، حتى سمع فيه صريف الأقلام، ثم ناداه الله جل وعلا وكلمه وفرض عليه الصلوات الخمس، فرضها خمسين صلاة ثم لم يزل يطلبه التخفيف حتى جعلها الله خمسًا.

فقال الله سبحانه: هي خمس في العدد، وهي خمسون في أم الكتاب[(٢)]؛ فمن حافظ على الصلوات الخمس وأداها، كتب الله له أجر خمسين، فالحسنة بعشر أمثالها.

فنزل بذلك عليه الصلاة والسلام، فاستقرت الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، صلاها في مكة ثلاث سنين قبل أن يهاجر.

---

(١) وكانت الصلاة مشروعة قبل المعراج بدلالة الحديث نفسه وفيه (فصلى بالأنبياء ركعتين) ببيت المقدس قبل العروج، ولأدلة أخرى، لكن تحديد الصلوات الخمس وأحكامها كان بعد المعراج.

(٢) حديث الإسراء (خ٧٥١٧)، (م١٩٢) عن أنس رضي الله عنه، وجاء عن جماعة من الصحابة، ولا دليل على من حدده بسنة معينة، أو بشهر معين.

- وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ(١).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾.

قَالَ الْبُغَوِيُّ رحمه الله تعالى(٢): «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»(٣).

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٤).

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر، فلا يتم إسلامه إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». (ص٩٧).

(٢) في تفسيره عند هذه الآية، والبغوي هو: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، وتفسيره مسمى: (معالم التنزيل).

(٣) (خ٤٥٩٦/ ٧٠٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد (٤ / ٦٢) وغيره عن جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه، وصححه الشيخان. الجامع الصحيح (٣/ ١٩١).

- ثم هاجر إلى المدينة بعد ما اشتد عليه أذى قريش له ولأصحابه، فأذن الله له بالهجرة من مكة؛ لأجل أذى وظلم قريش، إلى المدينة إلى الأنصار، وقد بايعوه في موسم الحج على أن ينتقل إليهم وينصروه رضي الله عنهم وأرضاهم، فلما تمت البيعة وأذن الله له بالهجرة هاجر إليهم.

وكان بعض أصحابه قد هاجر قبل ذلك إلى الحبشة، ومكثوا عند النجاشي مدة، ثم هاجر بقيتهم إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة جاء الذين في الحبشة إلى المدينة، واستقر الجميع في المدينة، والحمد لله!.



- فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

- فلما استقر في المدينة بعد الهجرة أمره الله ببقية شرائع الإسلام؛ من الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن المدينة صارت دار إسلام، وهي العاصمة الأولى للمسلمين، فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا من رحمه الله ¸ أن أجل هذه الواجبات إلى أن هاجر إلى المدينة.

وكان أصل الزكاة مشروعًا في مكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام - وهي مكية -:

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفاصيل أحكامها، كل هذا صار في المدينة.

وهكذا صيام رمضان شرع في السنة الثانية من الهجرة.

وهكذا الحج شرع في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة وأنزل الله فيه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [سورة آل عمران:٩٧]، في سورة آل عمران وهي مدنية.

وهكذا الجهاد أمر به في المدينة، وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده، ويكف عمن كف عنه، ثم أمر بأن يبدأهم بالقتال، وأن يجاهد الكفار وإن لم يبدأوا، فيدعوهم إلى الله يرشدهم إليه، فإن أجابوا وإلا قاتلهم؛ حتى يستجيبوا للحق إلا أهل الكتاب فإنه يقبل منهم الجزية.

وسن الله في المجوس سنة أهل الكتاب، إما إسلام وإما جزية.

وأما بقية الكفرة إما الإسلام، وإما السيف مع القدرة.

****

- أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.

وَأَكْمَلَ اللهُ لَهُ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾.

- وبعد ما أكمل الله به الدين توفاه الله إليه بعد عشر سنين من الهجرة قال الله تَعَالَى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة:٣].

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾

[سورة الزمر: ٣٠-٣١].

****

- وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ(١)؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾.

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

- والناس إذا ماتوا يبعثون، كما قال تَعالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [سورة نوح:١٧-١٨].

وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة التغابن:٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [سورة النجم:٣١].

فهم محاسبون ومجزيون يوم القيامة(٢)، ويعطون كتبهم بأيمانهم وشمائلهم؛ فالسعيد يعطى كتابه بيمينه، والشقي يعطى كتابه بشماله، السعيد يرجح ميزانه والكافر يخف ميزانه، وأصحاب المعاصي على خطر فقد يرجح ميزانهم بالتوبة، أو بعفو الله، أو بالحسنات، وقد يخف ميزانهم

---

(١) قال الشيخ صالح حفظه الله تعالى: «نص الشيخ على هذه المسألة؛ لأن كثيرًا من أهل البادية في عصره كانوا ينكرون البعث». (ص٥٨). وفي هذا نظر، والله أعلم.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وقد أبدى الله، وأعاد في إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيمانًا ويعملوا لهذا اليوم العظيم». (ص١٠٨).

فيكونوا من أهل النار، فيعذبون فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم الله من النار بسبب موتهم على الإسلام.

فالواجب على كل مكلف أن يحذر سيئات العمل، وأن يلزم التوبة والاستقامة؛ لأنه لا يدري متى يهجم عليه الأجل.

فالحزم كل الحزم أن يأخذ المسلم بالعزيمة، ويجاهد نفسه حتى يستقيم على الحق، والتوبة النصوح من جميع الذنوب، حتى إذا هجم عليه الأجل إذا هو على خير عمل وعلى استقامة فيفوز بالسعادة والنجاة يوم القيامة.



- وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

- والرسول ﷺ مرسل إلى جميع الناس إلى الجن والإنس، كما قال تَعالَى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

فهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي.

وهكذا الرسل جميعًا أرسلوا إلى أممهم مبشرين ومنذرين، من أولهم إلى آخرهم، فأولهم نوح بعثه الله لما وقع الشرك في قومه.

وقبله آدم فإنه نبي رسول مكلَّف، أرسله الله إلى ذريته؛ ليعبدوا الله بالشريعة التي جاء بها أبوهم آدم عليه الصلاة والسلام، واستمروا على الإسلام والاستقامة، حتى وقع الشرك في قوم نوح(١)، فلما وقع الشرك في قوم نوح، أرسل الله إليهم نوحًا عليه الصلاة والسلام، وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك.

---

(١) قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: «من الثابت في الشرع أن الناس منذ أول عهدهم كانوا أمة واحدة على التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك، والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢١٣].

وفيه رد على الفلاسفة الملاحدة الذين يزعمون أن الأصل في الإنسان الشرك، وأن التوحيد طارئ، ويُبطل هذا الآيةُ السابقةُ وحديثان صحيحان:

الأول: قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانًا». تحذير الساجد (ص١٣٥ - ١٣٦).

وكل أمة بعث الله إليهم رسولًا:

فعاد أرسل الله إليهم هودًا، ثم أرسل الله صالحًا إلى قومه ثمود، ثم أرسل إبراهيم ولوطًا وشعيبًا في زمان متقارب، ثم جاءت الرسل بعد ذلك تترى، ففيهم موسى وهارون وعيسى وأيوب وداود وسليمان، ثم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام.

****

- وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام.

وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

- ثم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام[1]، وهو خاتمهم وآخرهم وأفضلهم عليه الصلاة والسلام، قال الله جل وعلا: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة النساء:١٦٥].

فقوله: ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ يعني: يبشرون من أطاعهم بالجنة.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: يعني ينذرون الناس من الشرك بالله، ومن النار والعذاب الأليم، إذا خالفوا أمر الله.

وهكذا محمد ﷺ أرسله الله بشيراً ونذيراً، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:٤٥-٤٦]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

فالواجب على جميع الأمم اتباع رسلهم؛ فكل أمة يجب عليها أن تتبع رسولها، وتنقاد لما جاء به من الهدى، وقد وعدها الله على ذلك السعادة في الدنيا والآخرة، وأكثر الخلق قد عصوا رسلهم وخالفوا ما جاءت به الرسل قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٣].

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ، فلا نبي بعده، ومن ادعى النبوة فهو كافر مرتد عن الإسلام». (ص١١٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الأنعام:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة سبأ:٢٠].

****

- وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا - مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ - يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾.

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِالله.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تعالى: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»(١).

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا الله(٢).

- وكل رسول يدعو أمته إلى توحيد الله، وطاعته، وترك الشرك به ومعصيته، قال تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل:٣٦].

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: أطيعوه ووحدوه واستقيموا على دينه، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

والطاغوت هو: كل ما عبد من دون الله وهو راض، وكل من حكم بغير ما أنزل الله أو دعا ذلك.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع: غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا بطواغيت». (ص١١٣). كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:١٠١]..

(٢) أي: الكفر بالطاغوت.

والطاغوت هو: الذي يتجاوز الحد إما بشركه وكفره، وإما بدعوته إلى ذلك، وشرهم ورأسهم إبليس لعنه الله.

وهكذا كل من دعا إلى عبادة نفسه(١)، أو رضي أن يعبد من دون الله، كفرعون والنمرود، أو ادعى شيئًا من علم الغيب(٢)، كالكهنة والعرافين والسحرة في الجاهلية وفي الإسلام، وكذلك من حكم بغير ما أنزل الله متعمداً، فهؤلاء رؤوس الطواغيت.

وكل من جاوز الحد، وخرج عن طاعته الله، يسمى طاغوت. قال تَعَالَى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾. فالرشد: الإسلام وما جاء به النبي ﷺ.

والغي: الكفر بالله والضلال.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

فـ﴿يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ يعني: يتبرأ منه، ويعتقد بطلانه، فيتبرأ من الشرك.

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعني: يصدق أن الله معبوده، وإلهه الحق، ويؤمن بالشريعة وبمحمد عليه الصلاة والسلام وينقاد لذلك. هذا هو المؤمن.

ثم قال: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ يعني: استعصم.

---

(١) قال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى: « مثل غلاة الصوفية الذين يدعون الناس إلى عبادتهم، حتى إنهم يوصون الناس أن يعبدوهم بعد موتهم؛ فيقول: إذا أعيتكم الأمور فأتوا إلى قبري ...» (ص٣٠٢).

وقال: «مثال ذلك مشايخ الطرق الصوفية يتبعهم مريدوهم وعبيدهم في غير طاعة الرسول ﷺ... لا شك أن هؤلاء هم رؤوس الطواغيت، والعياذ بالله». (ص٢٩٧).

(٢) كالسحرة والمنجمين والكهنة والرمالين وكل من ادعى علم الغيب. شرح الفوزان (ص٣٠٣).

﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ وهي: لا إله إلا الله كلمة التوحيد. يعني: فقد استمسك بالعروة التي لا انقطاع لها، بل من استمسك بها صادقاً، واستقام عليها، وصل إلى الجنة والكرامة، لأن لها حقوقًا، وهي توحيد الله، وطاعته واتباع شريعته.

ومحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو رسول الله إلى جميع أهل الأرض، من الجن والإنس؛ فيجب على جميع المكلفين، طاعته واتباع شريعته، ولا يجوز لأحد الخروج عنها، وجميع الشرائع الماضية كلها نسخت بشريعته عليه الصلاة والسلام، كما قال الله ¸: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، الآية، وقال قبلها سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾ [سورة هود:١٧].

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»، أخرجه مسلم في صحيحه(١).

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقد أجمع أهل العلم رحمهم الله على أنه لا يسع أحدًا من هذه الأمة الخروج على شريعة محمد ﷺ، وأن من اعتقد ذلك فهو كافر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة(٢).

****

(١) (م١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما هو حال بعض غلاة الصوفية.

- وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَاللهُ أَعْلَمُ.

ش: فعلى جميع المكلفين أن يوحدوا الله، ويعبدوه دون كل ما سواه، وأن يكفروا بالطاغوت، وينكروا عبادته، ويلتزموا بالتوحيد، واتباع شريعته سبحانه وتعالى، وتعظيم أمره ونهيه.

و«رأس الأمر» يعني: رأس الدين هو الإسلام.

يعني: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ محمداً رسول الله، فمن التزم بها دخل الإسلام.

«وعموده الصلاة» وهي الركن الثاني، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين.

ثم يلي ذلك الزكاة، والصيام، والحج، وبقية أوامر الله.

«وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»؛ لأن به صيانة الدين وحمايته، وبه دعوة الناس إلى دين الله وإلزامهم بالحق.

فهو ذروة سنامه، من جهة ما تضمنه من حماية الدين، والدعوة إلى الحق.

والله أعلم.

****

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) عن معاذ رضي الله عنه، وسنده منقطع بين أبي وائل ومعاذ لكن له شاهد عن عبادة عند الحاكم (٤/ ٢٨٦) وسنده صحيح.

❍ تم ولله الحمد والمنة والثناء الحسن ❍

دار الحديث بمعبر .

الفوائد والمسائل

على

الأصول الستة

للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي

رحمه الله تعالى

يحتوي على ٤٦ مسألة مع فوائد أخرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الكريم المنَّان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فهذا شرحٌ لرسالة (الأصول الستة).

وشرحته بأسلوب يختلف عن أسلوب شرح القواعد الأربع؛ تنويعاً للفائدة، وترسيخاً للمعلومة، وتمريناً للطلبة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

اليمن - دار الحديث معبر

١٤٣٢هـ

****

متن الأصول الستة

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمُلِكِ الْغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُوْلٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَـالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّوْنَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِيْ آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيْلِ.

****

الأصل الأول

إِخْلَاصُ الدِّيْنِ لله تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الذِيْ هُوَ الشِّرْكُ بِالله، وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُوْرَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِيْنَ وَالتَّقْصِيْرِ فِي حُقُوْقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِالله فِي صُوْرَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِيْنَ وأَتْبَاعِهِم.

****

الأصل الثاني

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُوْنَ كَالذِيْنَ تَفَرَّقُوْا وَاخْتَلَفُوْا قَبْلَنَا فَهَلَكُوْا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِيْنَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيْهِ، وَيَزِيْدُهُ وُضُوْحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الافْتِرَاقَ فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ وَفُرُوْعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّيْنِ، وَصَارَ الْأَمْرُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ لَا يَقُوْلُهُ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ.



الأصل الثالث

أَنَّ مِنْ تَمَامِ الاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كافِيًا بِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِيْ الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهْ؟!



الأصل الرابع

بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْأَصْلَ فِيْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [البقرة:٤٠]، إِلَى قَوْلِهِ قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية [البقرة:٤٧]. وَيَزِيْدُهُ وُضُوْحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِيْ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيْرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيْدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَصَارَ الْعِلْمُ الذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِيْ التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيْهُ الْعَالِمُ.

****

الأصل الخامس

بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِيْنَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَالْفُجَّارِ، وَيَكْفِيْ فِيْ هَذَا آيَةٌ فِيْ آلِ عُمْرَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [آل عمران:٣١]، وَآيَةٌ فِيْ الْمَائِدَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [المائدة:٥٤]، وَآيَةٌ فِيْ يُونُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِيْ الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ ، إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيْهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى! فَمَنْ تَقَيَّدَ بِالإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى، فَلَيْسَ مِنْهُمْ!

يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ.

****

الأصل السادس

رَدُّ الشُّبْهَةِ التِيْ وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِيْ تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ - أَيْ الشُّبْهَةِ التِيْ وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ هِيَ - أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ. وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوْفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوْجَدُ تَامَّةً فِيْ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيْهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيْقٌ، وَإِمَّا مَجْنُوْنٌ لِأَجْلِ صُعُوْبَتِهِمَا.

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ: كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُوْنَةِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُوْرِيَّاتِ الْعَامَّةِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس:٧-١١]

آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ. تَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ.



بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُوْلٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّوْنَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءُ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِيْ آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيْلِ.

- مفردات المقدمة:

(العجب): استغراب ما يرد عليك لقلة اعتياده، أو لعظمة موقعه.

وسببه: خروج الشيء عن نظائره. (العُجاب): مبالغة في العجب.

(الغلاب): ليس من أسماء الله تعالى.

(أصول) جمع أصل، وهو القاعدة الجامعة لمسائل كثيرة.

(العوام): جمع عامي، ومراد الشيخ به: الجاهل الذي لا علم له.

والعامي يصح إطلاقه على مَنْ لا قدرة له على فهم الأدلة، واستنباط الأحكام منها.

ثم كل إنسانٍ عامي بالنسبة للعلوم التي لا يعلمها ولو كان مبرزاً في غيره.

-المعنى الإجمالي:

يتعجَّب الشيخ رحمه الله تعالى من حال أكثر الناس في زمانه، ويشتد عجبه مما صاروا إليه من الغلط والجهل بأمور وضحها الله تعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ غاية التوضيح والبيان بأساليب كثيرة فوق ما يحتاجون إليه، وذلك من آيات الله تعالى الكونية، إذ طبع على قلوب كثير من الناس فهم لا يعقلون.

- المسائل:

المسألة الأولى: ابتدأ المؤلف رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله الكريم وسنة النبي الأمين عليه الصلاة والسلام وإجماع السلف الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل:٣٠].

وكان النبي ﷺ يبدأ بالبسملة، وأجمع الصحابة على كتابتها في أول المصحف وأول السور خلا براءة.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل»[(١)].

المسألة الثانية: في معنى البسملة:

(بسم الله): الباء حرف جر يفيد معنى الاستعانة، فـ(بسم الله): أستعين بالله، (الله) لفظ الجلالة: العلم الدال على ذات الرب، المتضمن جميع معاني الأسماء والصفات.

وهو مشتق من الإله والألوهية، فهو المألوه بحق، أي: المعبود الحق سبحانه وتعالى.

(الرحمن): المتصف بالرحمة الواسعة، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

(الرحيم): ذو الرحمة الواصلة إلى الخلق، وذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

* ورحمته بالخلق عامة وخاصة:

فالعامة: تشمل المؤمن والكافر، وهي جميع النعم الدنيوية؛ الظاهرة والباطنة.

والخاصة: رحمته بالمؤمنين بالهداية والتوفيق والسداد والمغفرة والتوبة.

وكل عبدٍ له من رحمة اله تعالى بقدر علمه وعمله وصدقه وتقواه.

اللهم ارحمنا وأنت خير الراحمين.

---

(١) [«الفتح» (١/ ١١)].

المسألة الثالثة: اشتمال البسملة على أنواع التوحيد:

(بسم الله): فيها توحيد الألوهية؛ لأن الاستعانة بالله تعالى من توحيد الألوهية، وكذلك لفظ الجلالة (الله) معناه: المعبود الحق وحده لا شريك له، وهذا هو توحيد الألوهية.

(الرحمن الرحيم): أسماء متضمنة صفات كمال كما يليق بالباري جل وعلا، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات (إفراد الله تعالى في أسمائه وصفاته كما يليق بجلاله)، فلا مثيل له ولا نظير.

وأما توحيد الربوبية: فلأن المعبود بحق والموصوف بصفات الكمال هو الرب سبحانه وتعالى وحده، ولا شريك له، فتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات دالّان على توحيد الربوبية.

المسألة الرابعة: في أقسام العجب:

* ينقسم العَجَب إلى قسمين:

الأول: تعجبٌ يُراد به الإنكار؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [سورة ص:٤]

الثاني: تعجب يكون للرضا عن الشيء [فالرضا والإنكار من لوازم التعجب]، وهذا كقوله ﷺ لأبي طلحة رضي الله عنه: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكم البارحة»، متفق عليه[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

* وسبب العجب أمران:

الأول: خَفَاء الأسباب على المتعجب، فيندهش إذا رأى ما خرج عما أَلِفه، وهذا مستحيل في حق الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥].

---

(١) البخاري (٤٨٨٩)، مسلم (٢٠٥٤).

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره أو عن ما هو معتاد منه، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب به وبأسبابه، وهذا ثابت لله تعالى كما يليق بجلاله كما في الحديث السابق[(١)].

والذي قصده المؤلف من تعجُّبه: الإنكار على من بلغ به الجهل إلى الحد الذي صار لا يفهم الأمور السهلة الواضحة في دينه.

المسألة الخامسة: في معنى قوله: (وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب):

من آيات الله تعالى الكونية الدالة على قدرته سبحانه وتعالى: أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لحكمة بالغة، وليس الهداية مرجعها إلى الذكاء والفطنة، بل الأمر راجع إلى الله تعالى، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

المسألة السادسة: في شمولية الدين ويُسره:

فالدين قد جاء شاملاً لكل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩]، فالكتاب والسنة فيهما البيان الشافي لأمور الدين، لا سيما التوحيد والمتابعة والجماعة، والعلم وغير ذلك.

فالدين كامل وافٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، لا يحتاج أحد إلى بدعة، إذ في الكتاب والسنة ما يُغني عنها، فاتباع البدع بعد ذلك ضلال: «كل بدعة ضلالة»، رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه[(٢)].

---

(١) [شرح اللمعة (ص٣٥)].

(٢) (٨٦٧).

المسألة السابعة: في كثرة أهل الباطل:

من سُنَّة الله تعالى في الأمم أن أهل الشرك والباطل أكثر من أهل التوحيد والحق، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، فهذه الأصول الواضحة التي ذكرها المؤلف غلط فيها كثير من الناس ممن يدَّعي الإسلام فضلاً عن غيرهم.

اللهم اعصمنا، وسلمنا يا رحيم.

فلا تغتر بكثرة المنحرفين عن الهدى، بل اثبت على الحق ولو كنت وحدك، فأهل الحق هم الغالبون، وهم المنصورون: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣].

المسألة الثامنة: التوفيق والهدى بيد الله تعالى، فاطلبه من الرب سبحانه وتعالى بأسبابه المشروعة.

واعلم أن ما بك من خير فهو نعمة الباري عليك، لم تحصل عليه بذكائك ولا بجاهك أو جاهك، فاحمده تعالى، وافرح بفضله عليك، وازدد له شكراً: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:٥٨]، أي: فرح شكر يزداد به العبد ثباتاً وطاعة وتوحيداً وملازمة للسنة.

وإذا علمت ذلك كله، فإنك تخاف على نفسك أن يزيغ قلبك كما زاغت قلوب الأكثرية، فالجأ إلى الله تعالى أن يثبِّتك: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك»، «إنما الأعمال بالخواتيم»، فاجمع بين الرجاء في سعة رحمة الله تعالى والخوف من عقابه.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن سوء الخاتمة.

المسألة التاسعة: في أسباب الغلط في هذه الأصول وغيرها:

١- الجهل، فهو أساس كل شر، وقد يكون الشخص ذكياً معدوداً في القوم، لكنه جاهل جهلاً فظيعاً بالدين، والجهل قرين الشرك والبدع والعصيان، فلا ترى الجهل منتشراً في قوم إلا وجدت قرناءه هناك.

قال ﷺ في علامات الساعة: «يُرفع العلم، ويكثر الجهل، ويظهر الزنا، ويشرب الخمر...»، متفق عليه[(١)] عن أنس رضي الله عنه.

٢- قلة العلماء الناصحين، وكثرة علماء البدع والأهواء المفسدين: فإن ذلك من أسباب الجهل والفتن، وانظر إلى حال علماء الصوفية والرافضة والحزبية، كيف يقفون صفاً في محاربة دعاة التوحيد، وتعصُّبهم للدعوة الشركية والبدعية - إلا من رحم الله تعالى - وصدق فيهم حديث: «فاتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا»، متفق عليه[(٢)] عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

٣- التعصب والتقليد للزعماء والمنظِّرين والآباء:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة:١٧٠].

فالتعصب والتقليد يعميان البصيرة، ويطمسان القلب، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

٤- التشبه بالكفار والمنحرفين: كما قال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا﴾ [التوبة:٦٩] في شأن المنافقين.

---

(١) (خ ٨٠) (م ٢٦٧١).

(٢) (خ ١٠٠) (٢٦٧٣).

وفي الحديث: «لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه»، متفق عليه[1] عن أبي سعيد رضي الله عنه.

٥- عدم القناعة التامة بالرجوع إلى الكتاب والسنة والاحتكام إليهما: وهذا هو شأن جمهور المبتدعة والقبورية وبعض أدعياء السلفية، كما قرره شيخ الإسلام وغيره.

****

(١) (خ ٣٤٥٦) (م ٢٦٦٩).

الأصل الأول

[الإخلاص]

إِخْلَاصُ الدِّيْنِ لله تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الذِيْ هُوَ الشِّرْكُ بِالله، وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُوْرَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِيْنَ وَالتَّقْصِيْرِ فِي حُقُوْقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِالله فِي صُوْرَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِيْنَ وأَتْبَاعِهِمْ.

مفردات الأصل الأول:

(الإخلاص): تنقية الشيء وتهذيبه مما نشب فيه حتى يصير صافياً.

(شتى): متعددة أو متنوعة. (البليد): الذي ليس بذكي، أو الذي لا يكاد يفهم.

المعنى الإجمالي:

من الأصول العظيمة التي بيَّنها الله تعالى بياناً شافياً: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع، كما بين صور الشرك ومعانيه وحجج أهله، وفنَّدها من طرق متعددة وأساليب متنوعة.

فلما انتشر الجهل والبدع عمل شياطين الجن والإنس على نشر الشرك بالغلو في الصالحين، والالتجاء إليهم بالدعاء والنذر ... إلخ، وسموا هذا الشرك: محبة وتعظيماً للصالحين، فإذا أنكر أحد عليهم الشرك وأمرهم بإخلاص العبادة لله تعالى وحده طعنوا في دعوته؛ بأنه يتنقَّص الصالحين لقوله لهم: لا تصرفوا العبادة للصالحين، إنما هي حق لله تعالى وحده، فلبَّسوا على الناس وقلبوا الحقائق.

المسائل:

الأولى: في معنى الإخلاص:

هو إفراد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهو بمعنى التوحيد وضدُّه الشرك.

ويقال: الإخلاص: إفراد الله تعالى بالقصد والعمل.

ويُقال: إفراد الله تعالى بالعبادة والبراءة من الشرك.

وهو بمعنى: التوحيد، وبمعنى: لا إله إلا الله، وبمعنى: الحنيفية.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:٢]. وتفسيرها بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

وكقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

نسأل الله الكريم أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

المسألة الثانية: أقسام الناس في الإخلاص والاتباع:

معلوم أن الله تعالى لا يقبل عمل عامل إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص لله تعالى.

الثاني: الاتباع، وهو موافقة العمل للكتاب والسنة.

* والناس في هذين الأمرين أربعة أقسام، كما قرره ابن القيم في (المدارج):

١- من يجمع بين الإخلاص والاتباع، وهؤلاء هم المؤمنون.

٢- من عنده إخلاص وليس بمتبع، فهؤلاء كبعض أهل البدع المسلمين.

٣- من عنده اتباع وليس عنده إخلاص، كالمنافق المتظاهر بالإسلام.

٤- من لا إخلاص له ولا متابعة، وهؤلاء هم الكفار جملة.

الثالثة: التوحيد قول، وعمل، واعتقاد:

- قول: مثل قوله: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والدعاء لله تعالى.
- وعمل: مثل الذبح لله تعالى، والصلاة لله تعالى، وسائر الأعمال التعبدية.
- واعتقاد: مثل اعتقاد وحدانية الله تعالى، والإخلاص لله تعالى، التوكل عليه.

فهو كالإيمان؛ قول، وعمل، واعتقاد، ولا يكون العبد موحداً حتى يجمع ذلك كله.

فمن عرف الله تعالى بقلبه ولم يعترف بلسانه لم يكن موحداً؛ كفرعون وإبليس.

وعكسه من عرف الله تعالى بلسانه، وأنكر بقلبه؛ كالمنافقين وهم كفار.

وأشد منهما من أنكر الله تعالى بقلبه ولسانه؛ كالدهرية، والشيوعية.

والموحِّد من جمع التوحيد بقلبه، ولسانه، وعمله.

وبهذا تعرف ضلال القبورية الذين يشركون بالقول والعمل؛ بالدعاء، والذبح، والنذر لغير الله تعالى، ثم يدَّعون أنهم موحدون بقلوبهم، وهذا مردود عليهم بما سبق، كيف إذا تحققت أنهم يعتقدون في معبوداتهم أشياء من صفات الرب سبحانه وتعالى؛ كالنفع، ودفع الضر، والتدبير، وغير ذلك، فما لهم لا يكادون يفقهون حديثاً.

الرابعة: في معنى الشرك وأقسامه:

الشرك: أن يُجعل العبد لله ندًّا في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

* وينقسم إلى قسمين:

١ - شرك أكبر: كل قول أو عمل أو اعتقاد أطلق عليه الشرع وصف الشرك، وهو منافٍ للتوحيد منافاة مطلقة.

٢ - شرك أصغر: كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع وصف الشرك، لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة، مثل: يسير الرياء، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، والحلف بغير الله تعالى من غير تعظيم، ونحو ذلك.

ونعرف عدم منافاته للتوحيد منافاة مطلقة بالجمع بين الأدلة، والنظر فيها، وبمعرفة حال الشرك وصفته.

أما الشرك في الربوبية فهو قسمان: كبير وأكبر، وليس منه شيء مغفور(١).

والشرك في الأسماء والصفات كذلك، [غير أن بعض المعاصرين جعله أكبر وأصغر].

* والشرك في الألوهية قسمان:

أكبر: هو صرْف العبادة لغير الله تعالى، والقاعدة العامة في هذا: ما ثبت أنه عبادة فصرْفه لغير الله تعالى شرك أكبر؛ لأن العبادة حقٌّ محض لله تعالى.

وأصغر: هو ما سبق تعريفه قبل قليل.

وقد اختلف في الشرك الأصغر: هل يُغفر لمن مات عليه أم لابد من تعذيبه بقدر شركه، ثم مآله الجنة؟

فالأقرب ما عليه جمهور أهل العلم: أنه تحت مشيئة الله تعالى كسائر المعاصي، والله أعلم.

الخامسة: القرآن كله توحيد:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمرٌ ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

---

(١) صرح بهذا العلامة ابن القيم ومن المعاصرين الشيخ محمد الوصابي في (القول المفيد) الكبير، باب الشرك، (الشرك الاعتقادي)، والشيخ السدحان في (قواعد الفقه الكبرى) ص ٨٢، وغيرهم.

وإما خبر عن كرامة الله تعالى لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من نكال، وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبرٌ عمَّن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»(١).

السادسة: أساليب الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك في القرآن الكريم والسنة:

١- الدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

٢- الدعوة إلى الإخلاص لله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

٣- النهي عن الشرك كله: قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

٤- بيان عاقبة المشركين: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].

٥- بيان نوعية شرك الأمم الذين أهلكهم الله تعالى ليعتبر من بعدهم ويحذروا فعلهم:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٣].

فهؤلاء عبدوا الصالحين ووصفهم نوح بقول: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، فسماهم كافرين؛ لأنهم عبدوا الصالحين وأصناماً في صور الصالحين، وقوم إبراهيم عبدوا الأصنام، وهي صور للكواكب، فقال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

---

(١) «المدارج» (٣/ ٤١٧).

[الأنبياء:٦٦-٦٧]. وهذا عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى.

وقال تعالى في اليهود الذين يعبدون عزيراً، وفي النصارى الذين يعبدون المسيح والصالحين:

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:٢٩] إلى قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]،

فجعل عبادة الأنبياء والصالحين مثل عبادة الأوثان، ووصف اليهود والنصارى بأنهم لا يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر، وما ذلك إلا لوقوعهم في الشرك، ومخالفة أمر الله تعالى لهم بتوحيده في العبادة، ثم نزه نفسه عن شركهم.

ليت عُبَّاد القبور يتأملون هذه الآيات لعلهم يتركون شركهم عند الأضرحة والقباب، سبحان الله عما يشركون!

وفي قصص الأنبياء من بيان هذا الشيء الكثير.

٦- بيان لأفراد أنواع الشرك؛ كدعاء غير الله تعالى، والالتجاء إليهم بقصد الشفاعة والذبح لهم والنذر لهم.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وسمَّى من دعا غيره مشركاً وكافراً إلى غير ذلك.

وقال تعالى في بيان سبب شرك المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وهذا كقول عُبَّاد القبور، فنعوذ بالله من الخذلان!

٧- ضرب الأمثال في بيان حال المشرك وحال الموحد؛ كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر:٢٩].

فالأول مثل عبادة المشركين حيث زعموا أنها: لله ولآلهتهم.

والثاني مثل التوحيد، فإذا كان أحدهم لا يرضى أن يكون له مملوك ومعه فيه شركاء مختلف معهم، فكيف يرضى أن يشرك مع الله تعالى غيره.

٨- بيّن ذلك بأن العقل الصحيح ينكر الشرك، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف:١٩٤]. ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١].

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت:٦١].

أي: إذا كنتم تقرُّون بأن الله تعالى هو الرب الخالق المدبر، فكيف تعبدون غيره؟!

والأساليب في القرآن والسنة كثيرة جداً، ولكن أكثر الناس لا يتدبرون.

السابعة: في شُبهة الشيطان التي تمسك بها عُبَّاد القبور والأولياء:

قالوا: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، إنما هو تعظيمٌ للصالحين، ومحبة فيهم، فلهم منزلة رفيعة عند الله تعالى، ونحن نقصدهم ليشفعوا لنا عند الله تعالى.

فإذا سمعوا مَنْ ينكر عليهم الشرك عند القبور قالوا: هذا يتنقَّص الصالحين.

والجواب: إذا كان تعظيم الصالحين يعني صرف العبادة لهم، فإن هذا الفعل فيه تنقُّص لله تعالى؛ لأنك جعلت لله تعالى شركاء يُعبدون معه، فسويت المخلوق بالخالق سبحانه وتعالى، فكيف إذا أُضيف إلى هذا أن القبورية يصفون معبوداتهم بصفات الربوبية؛ كتدبير الأمر، وإغاثة الملهوف، والنفع، ودفع الضر.

ويُقال لهم: تعظيم الصالحين وقصدهم للشفاعة هو عينه فعل المشركين القدامى،

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

ويُقال: إن إنكار عبادة الصالحين مع الله سبحانه، وهدم القباب التي على قبورهم، ليس تنقُّصاً لهم ولكنه تعظيمٌ لله تعالى أن يُعبد معه أحد، ويشرك بالله عز وجل بغير حق، والصالح الذي يستحق شرعاً الوصف بالصلاح لا يرضى أن تعبدوه مع الله تعالى؛ لأنه يبغض الشرك وأهله، وسيتبرأ منكم في الآخرة، فالصالح لا يرضى أن يُتخذ وثناً يُعبد، بل حتى الأنبياء الذين بعثوا لمحاربة الشرك، هناك من يعبدهم وهم براء من ذلك، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل:٨٦].

****

الأصل الثاني

[الاجتماع على الحق والنهي عن التفرق]

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُوْنَ كَالذِيْنَ تَفَرَّقُوْا وَاخْتَلَفُوْا قَبْلَنَا فَهَلَكُوْا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِيْنَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيْهِ، وَيَزِيْدُهُ وُضُوْحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الافْتِرَاقَ فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ وَفُرُوْعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّيْنِ، وَصَارَ الْأَمْرُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ لَا يَقُوْلُهُ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ.

* * * *

مفرداته:

(شافياً) البيان الشافي: هو الذي لا يبقى معه خفاء ولا شك.

(السنة): المراد بها هنا: الأحاديث.

(أصول الدين): العقائد.

(وفروعه): الفقه، والأدب، وغير ذلك.

(العلم): معرفة الحق بدليله، والعمل به، والدعوة إليه.

(الفقه): الفهم والبصيرة.

(زنديق): يطلق على مَنْ لا يؤمن بالآخرة، وعلى الملحد، وتوسَّع بعضهم فأطلقها على المنافق، وعلى المرتد الذي يتظاهر بالإسلام.

المعنى الإجمالي:

أمر الله تعالى عباده بالاجتماع في الدين والاعتصام بحبله المتين؛ لأن في ذلك عزَّهم وثباتهم على دينهم، ونهاهم عن ضد ذلك وهو الاختلاف، ومخالفة الحق والتفرُّق في الدين بمفارقة الجماعة والعلماء الناصحين واتباع الآراء والأهواء، وإحداث البدع والأحزاب والتعصب للزعماء، كما فعل أهل الكتاب قبلنا، تفرَّقوا فهلكوا في وديان الضلالة والشرك والجهالة، وقد بيَّن الله تعالى ذلك بأساليب كثيرة وأدلة وفيرة في الكتاب والسنة.

ثم ضعف الناس، وحل الجهل، وكثرت البدع، وافترقت الأمة إلى فرق كثيرة حتى ظن بعض الناس أنه لا صلاح للأمة إلا بالفُرقة والتحزب، فإذا دعوا إلى الاجتماع على الحق رمُوا من دعاهم بالجهل والزندقة والجنون، وأنه يحارب الإسلام، ولا يفقه الواقع ... إلخ.

هكذا صار حال الكثير، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

المسائل:

الأولى: وجوب الاجتماع على الحق:

دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: «يريد تعالى ذكره: تمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»، [تفسير آية آل عمران السابقة].

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: «أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام وبالقرآن». [فتح القدير].

وقال النبي ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً – وذكر منها: وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، رواه مسلم[(١)].

الثانية: تحريم الفرقة والاختلاف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال ﷺ: «الجماعة رحمة، والفُرقة عذاب»، رواه أحمد[(٢)] عن النعمان.

وقال ﷺ: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». البخاري[(٣)] عن ابن مسعود، والأدلة في هذا كثيرة.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرُّق هؤلاء (أي: أهل الكتاب) في دينهم، ولا تفعلوا فِعْلهم، وتستنُّوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم». [تفسير آية آل عمران ١٠٥)].

الثالثة: أساليب القرآن والسنة في الحث على الاجتماع على الدين والنهي عن الاختلاف فيه:

١ – الأمر بالاجتماع والنهي عن الفُرْقة: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٢ – التهديد بالعذاب لمن سعى بالفُرقة: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥].

٣ – الأمر بإصلاح ذات البين: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الأنفال:١].

---

(١) (١٧١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) (١٨٤٧٢) وصححه الألباني «الصحيحة» (٦٦٧).

(٣) (٢٤١٠).

٤- الأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء:٥٩].

٥- الأمر بلزوم الصراط المستقيم، والنهي عن سُبل التفرق: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام:١٥٣].

٦- أن الأمر بلزوم الحق وترك التفرقة هو دين الرسل، كما أنه قوة لأهله، وإغاظة لأعدائهم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣].

٧- الحرص على الجماعة من الإيمان، والحرص على الفُرقة من البغي والعدوان: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:١٤].

٨- الجماعة مرحومة، وأهل الافتراق ضد ذلك: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ (١١٩)﴾ [هود:١١٨-١١٩].

٩- البراءة ممَّن سعى في الفُرقة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

١٠- أن الله تعالى يرضى الاجتماع على الحق والدين، ويكره الاختلاف والفرقة، قال ﷺ: «إنَّ الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، رواه مسلم(١).

(١) تقدم قريبًا.

١١- أن الجماعة في الجنة والفرقة في النار، قال ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فِرقة، كلها في النار إلا الجماعة»، رواه أبو داود[(١)] في معاوية رضي الله عنهما.

١٢- بيان عاقبة الجماعة وعاقبة الفُرقة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦]، فعاقبة الجماعة العزَّة، وعاقبة الفُرْقة الفشل والذلة.

والأساليب في هذا كثيرة جداً، والأدلة الصحيحة جمٌّ كبير.

الرابعة: الفُرقة سمة أهل الأهواء والجهل؛ لأنهم فارقوا الحق والجماعة:

الغالب أن دُعاة الفُرْقة هم أهل البدع وأهل الجهل، وأن أتباع الهدى هم أهل العلم كما سبق في بعض الأدلة كآيتي الأنعام، وحديث معاوية وغيرها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ولهذا وُصِفت الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وأما الفِرَق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرُّق والبدع والأهواء، وشعار هذه الفِرَق: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع»[(٢)].

الخامسة: أسباب الافتراق:

١- الجهل، فهو أساس كل شر:

قال الشاطبي رحمه الله تعالى[(٣)]: «أصل حدوث الفرق إنما هو الجهل بمواقع السنة، وهو الذي نبَّه ﷺ بقوله: «اتخذوا رؤوساً جهالاً»[(٤)].

٢- ظهور البدع: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

(١) (٤٥٩٧) وصححه الألباني والوادعي.

(٢) «الفتاوى» (٣/ ٣٤٥). [وقد ذكرنا هذا في كتابنا: «علامات أهل البدع»].

(٣) انظر [«الاعتصام» (٣/ ٢٤٢)].

(٤) تقدم الحديث.

فما من بدعة ظهرت إلا وجد لها أنصار وأتباع يتعصَّبون لها، ويُفارقون لأجلها الجماعة؛ كالقدرية، والرافضة، والخوارج، والجهمية، والأشاعرة، والصوفية، والحزبية، والتبليغ، والسرورية.

٣- اتباع الهوى: قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]:
قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «اتباع الظن وما تهوى الأنفس حتى يصير كثيرٌ منهم مديناً باتباع الأهواء»[(١)].

السادسة: علاج الفُرْقة:

أما علاجها كلها فلا يكون؛ لأن الله تعالى قد كتب ذلك وقدَّره، لكن نذكر الأسباب لعلاج الاختلاف والفُرْقة لا سِيَّما ما يقع عند من يريدون الحق:

١- الرجوع إلى الكتاب والسنة [كما سبق] بالرجوع إلى علماء السنة.

٢- ترك البغي ومخالفة الأهواء وأهلها، ومجانبة المبتدعة.

٣- نشر العلم الشرعي، وبيان أضرار وعواقب البدع والفتن.

٤- العدل في الأقوال والأحكام والحرص على الإنصاف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾

٥- قبول الحق ولو خالف العبد نفسه أو جماعته أو غير ذلك.

٦- نبذ أسباب الفُرْقة والاختلاف وحظوظ النفس.

٧- تقديم الحق وتعظيمه على المصالح والعصبيات. والله المستعان.

---

(١) (٢٢/ ٣٥٧). [وهناك أسباب كثيرة، انظر كتاب: «دراسات في أهل الأهواء» (١/ ٢٨٩-٣٨٣)].

السابعة: حال أهل البدع:

لقد صار أهل البدع مشغوفين بمفارقة ما خالف أصولهم ولو كان حقًّا، والناظر في سيرة القوم يرى ذلك جليًّا كما نقلنا نحوه عن شيخ الإسلام آنفاً حتى صار من يدعوهم إلى الاجتماع على الحق عندهم من أهل الجهل؛ لأنه لا يفقه ما هم عليه من البدع، أو لا يقرُّ بها، كعلم الكلام، وفقه الواقع الحزبي، وحقائق الصوفية، وجولات التبليغ.

هذه العلوم التي هي من أسباب الفُرْقة هي العلم الشريف عند القوم، وأما علمٌ ينهى عن هذا ويدعو إلى التزام الكتاب والسنة، فهذا عندهم جهلٌ أو جنون.

وربما وصل الأمر إلى من يحكم على صاحبه بالزندقة.

فالخوارج يكفرون من ينهى عن الخروج على الأمة والأئمة، والجهمية يكفرون من يثبت صفات الله تعالى، والمعتزلة يكفِّرون من خالفهم ويجعلونه في منزلة بين منزلتين، والأشاعرة يكفِّرون من خالفهم، والصوفية الغلاة يكفرون من أنكر وحدة الوجود، ويحكمون على علماء الأمة بالعامية؛ لأنهم لا يفقهون أو لا يعلمون بحقائق الصوفية التي غايتها وحدة الوجود.

والحزبية على نهج الخوارج، وأيضاً يحكمون على العلماء الكبار بالجهل وعدم معرفة الواقع، وأن علمهم قشور، وأن العلم: قضية الحكم والقصور والكراسي.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، والله تعالى غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وما أحسنَ قولَ الذهبي رحمه الله تعالى: «فقد – والله – عمَّ الفساد، وظهرت البدع، وخفيت السنن، وقلَّ القول بالحق، ولو نطق العالم بصدق وإخلاص لعارضه عدة من علماء الوقت، ولمقتوه وجهلوه، فلا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

****

---

(١) [«السير» (١٤/ ١٦٦)].

الأصل الثالث

[في طاعة ولاة الأمر]

أَنَّ مِنْ تَمَامِ الاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا بَيَانًا شَافيًا كافِيًا بِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!

* * * *

مفرداته:

(عبداً): العبد: المراد به هنا المملوك.

(حبشياً): من الحبشة.

(شافياً كافياً): وفي نسخة: (شائعًا ذائعاً) أي: منتشراً كثيراً حتى ذاع الخبر بين أكثر الناس.

(شرعاً): بالكتاب والسنة.

(وقدراً): بما قدَّره سبحانه من حال المسلمين وغيرهم عند الاجتماع على ولاتهم، وحالهم عند افتراقهم وتنازعهم من الضعف والفُرْقة والهوان.

المعنى الإجمالي:

من تمام وكمال الاجتماع على الدين ومن أعظم أسبابه هو الاجتماع على ولاة الأمر من المسلمين، والسمع لهم وطاعتهم في غير معصية الله تعالى، ولأهمية هذا الأمر فقد جاء الحث عليه في الكتاب والسنة وأجمع عليه علماء الأمة، وصار من أصول أهل السنة: الاجتماع على ولاة الأمر المسلمين، وحُرمة شق العصا عليهم، وأن من خالف ذلك كان في عداد المبتدعة.

فلما كثرت البدع، وظهرت الخوارج والرافضة والمعتزلة، كان من مناهجهم قتال الأئمة، وشق

عصا الأمة، وعارضوا بشبهاتهم ما جاء في الكتاب والسنة، وكثر جمعهم، وعمَّ فسادهم، حتى صار من أنكر عليهم جاهلاً أو عميلاً للظلمة، ولم يلتفوا إلى نتائج ضلالهم وتفتيتهم لعزة وكيان الأمة.

المسائل:

الأولى: في بيان معنى الإمارة:

الإمارة أو الإمامة: هي تدبير أمور الرعية (الدينية والدنيوية)، والحفاظ عليهم.

والإمام أو الأمير العام: هو الذي يقوم بالإمامة ولا أمير فوقه.

وإقامة الإمامة فرض واجب على الأمة يقوم به أهل الحل والعقد، ولا خلاف في الأمة في وجوب ذلك إلا من شذ من النجدات، وهم طائفة من الخوارج.

كما أجمعوا أنه لا يكون للأمة إلا إمام واحد، فإن تعدد الأئمة ولم ينقَدْ أحدهم للآخر وجب على كل أهل قُطْر أن يطيعوا أميرهم، وحكمه حكم الإمام، وذلك سداً لسفك الدماء، ومنعاً لازدياد انتشار الفوضى، وهذا مجمع عليه(١).

الثانية: فوائد الإمامة:

١ - أنها سبب لقيام الدين وصلاح الدنيا.

٢ - إقامة الجهاد، وحماية البلاد، وتأمين السُّبُل.

٣ - إنصاف المظلوم من الظالم، وقطع النزاعات.

٤ - سبب لتقليص البدع، ونشر السنن والعلم والدين.

٥ - إقامة الجمعة والجماعات، [وفوائدها كثيرة].

(١) [انظر: «الفتاوى» (٣٤/ ١٧٥)، «الدر السنية» (٩/ ٥)] وغيرها.

الثالثة: في طُرُق ثبوت الإمامة:

* وذلك بثلاث طُرُق:

١- اختيار أهل الحلِّ والعقد كما حصل لأبي بكر رضي الله عنه.

٢- الاستخلاف، كما استخلف أبو بكر عمرَ رضي الله عنه.

٣- الغَلَبة على الإمامة بالسيف، كما حصل لبني مروان وبني العباس، وهذه الطريقة غير شرعية، ولكن الأدلة قاضية بوجوب السمع والطاعة للمتغلب؛ صوناً لدماء المسلمين، وقد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان لما استتبَّ له الأمر.

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «من غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، فلا يحل لأحد أن يبيت ولا يراه إماماً؛ براً كان أو فاجراً»[(١)].

ونقل ابن حزم والقاضي والخطابي الإجماع على ذلك.

الرابعة: في وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وقال ﷺ: «على المرء السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»، متفق عليه[(٢)] ابن عمر رضي الله عنهما.

ونقل الإجماع ابنُ أبي حاتم والأوزاعي وحرب والقيرواني وجمع غفير سواهم.

---

(١) [اللالكائي (٣١٧)].

(٢) (خ٢٩٥٥) (م ١٨٣٩).

الخامسة: من السنة: احترام الأمراء، والدعاء لهم، وزجر من تعدى عليهم، وذلك داخلٌ في عموم طاعتهم.

قال ﷺ: «سيكون بعدي سلطان، فأعزُّوه[١]، من التمس ذلَّه ثغر ثغرة في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت»، رواه ابن أبي عاصم[٢] عن أبي ذر، وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

وقال بعض المتقدمين رحمه الله تعالى: «لا يزال الناس بخيرٍ ما عظَّموا السلطان».

السادسة: أساليب الحث على لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

١ - الأمر بطاعتهم، والصبر عليهم، كما في الأدلة السابقة.

٢ - جعل طاعتهم من طاعة الرسول ﷺ، قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني»، متفق عليه[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣- الأمر بلزوم جماعتهم، قال ﷺ: «ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب امرئ مسلم ... ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، رواه أحمد[٤] عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

٤ - التحذير من الخروج عليهم، قال ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»، متفق عليه[٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) وفي نسخة: (فأعزروه) وكلاهما بمعنى: عظموه.

(٢) في السنة (١٠٧٩).

(٣) (خ ٧١٣٧) (م ١٨٣٥).

(٤) (١٣٣٥٠) وصححه الشيخان.

(٥) (خ ٧٠٥٣) (م ١٨٤٩).

٥- ذمُّ الخارجين على الولاة: فقد سمى الخوارج: «كلاب أهل النار،، شرُّ قتلى تحت أديم السماء»[(١)]، «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»[(٢)].

٦- الأمر بالصبر عليهم وإن ظلموا، قال ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة، وأموراً تنكرونها»، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدُّوا إليهم حقَّهم، وسلوا الله حقكم»، رواه البخاري[(٣)] عن زيد بن وهب رضي الله عنه.

والأدلة في هذا الباب والأساليب الشرعية الآمرة بالصبر كثيرة.

السابعة: موقف أهل البدع من هذا الأصل العظيم:

أما الخوارج والمعتزلة والحزبية وزعمائهم، فيرون الخروج على الحكام والتشهير بهم، بل ومنابذتهم بالسيف علانية واستباحة سفك الدماء.

ويردُّون الأحاديث الواردة في طاعة ولاة الأمر، أو يتعسَّفون ويتكلفون تأويلها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «صارت الخوارج يستحلُّون السيف على أهل القبلة حتى قاتلت عليًّا وغيره من المسلمين، وكذلك من وافقهم في الخروج على الأئمة بالسيف في الجملة من المعتزلة والزيدية والفقهاء وغيرهم»[(٤)].

ومن أجل تحقيق هذا طعنوا في العلماء والأمراء بأساليبَ خطيرة، ومن أنكر عليهم وصفوه بالبوائق العظام.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٧٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٦٥) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) (خ ٧٠٥٢).

(٤) [«المنهاج» (٤/ ٥٣٦)].

الأصل الرابع

[في التفريق بين العلماء والمتشبهين بهم]

بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [البقرة:٤٠]، إِلَى قَوْلِهِ قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية [البقرة:٤٧]. وَيَزِيْدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيْرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيْدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَصَارَ الْعِلْمُ الذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيْرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيْهُ الْعَالِمُ.



مفرداته:

(الفقه) لغة: الفهم. اصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وهذا يشمل علم الشرع كله.

(الفقهاء): جمع فقيه، المجتهد العالم بالأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية بفهمٍ صحيح. بمعنى: أن عنده علماً بالحكم الشرعي، وبدليله، وبأصول الفقه وقواعده.

(العلم): سبق بيانه. (العلماء): جمع عالم، وهو الراسخ في العلم الشرعي الذي تدور عليه الفتوى، العامل بعلمه، المتمسك بالحق.

(يتفوه): يفتح فمه بالكلام، المراد: يتكلم بجراءة.

المعنى الإجمالي:

إن بيان العلم والفقه النافع والعلماء والفقهاء الناصحين وصفاتهم وأعمالهم ورد في القرآن والسنة كثيراً واضحاً، وبأسلوب متنوع ميسر، كما ورد ذكر المتشبهين بالعلماء والفقهاء، وذكر صفاتهم وأحوالهم والتحذير منهم، وذلك ليعرف الناس العالم الفقيه فيرجعوا إليه للفتوى وأخذ العلم والفقه، وكذلك ليُعرف المتشبه بهم فيُحذر منه ومن فتنته أو بدعته وغروره.

فلما انتشر الجهل، وكثر المتعالمون (أدعياء العلم) وأهل البدع، وعلماء الأهواء، وعلماء الحكومات، والكُتَّاب والوُعَّاظ، واختلط الحابل بالنابل، وصار علم البدع؛ كعلم الكلام والتصوف والرفض والحزبيات ونحو ذلك، هو في نظر كثير من الناس هو العلم الشريف، فمن أنكره فقد طعن في العلم والعلماء وفي الشريعة، وهذا كفر وزندقة وجنون عند القوم.

وأما العلم الصحيح (علم التوحيد، والسنة، والحديث) فهذا عند كثير من المتعالمين والجهلة قشور، أو أمر غير مهم، والعلماء به في زوايا المساجد، علماء أحكام جامدون، لا يفقهون الواقع، ولا يقدرون على الفتوى في قضايا الأمة.

فسبحان الله! ما هذه الغرائب؟! وما هذا التلبيس على الناس؟!

ولكن من أنار الله تعالى بصيرته لم يختلط عليه هذا بهذا، كما لا يشتبه عليه الليل بالنهار، والنور بالظلام.

المسائل:

الأولى: في بيان فضل العلماء والفقهاء والمتمسكين بالدين:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]،

وقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، متفق عليه(١) عن معاوية رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران:١٨]

«هذه الآية دليل على فضل العلم، وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم الله تعالى باسمه واسم ملائكته، كما قرن اسم العلماء».

الثانية: التشبه بالعلماء على أقسام:

الأول: التأسي بأهل العلم في هَدْيهم وسمتهم وأخلاقهم، والاستفادة منهم في ذلك، فهذا حسن، وقد قال النبي ﷺ: «اهتدوا بهدي عمار»(٢).

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكـــرام فلاح

الثاني: التقليد لهم في كل شيء:

وهذا مذموم، إذ لا يؤخَذ من أحد كل قول وفعل إلا رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٣]

الثالث: التشبُّه بمعنى المحاكاة (فعل كفعلهم) في الاسم، كالعالم، أو المحدث، أو في المجالس؛

(١) (خ ٧١) (م/ الزكاة: ١٠٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٦٣) وابن ماجه (٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه وصححه الألباني.

كمجالس الفتوى، أو في المواقف كالتصدي في الحكم على الفتن الكبار والفتوى فيها، والتنظير فيها، والرجوع إليهم، وهكذا رد قول العالم بعبارة مغرورة؛ كقول: نحن نخالفه في كذا، عندنا علم ليس عنده.

وهذا هو المذموم، وصاحبه متعالم مغرور، ويصدق فيه قول النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان»، رواه أحمد[(١)] عن عمر، وهو حسن بشواهده. وهؤلاء ضررهم على الأمة كبير، وفسادهم عريض، فهم قُطَّاع لطريق الأمة إلى علمائها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

الثالثة: في ذكر المتشبهين بالعلماء[(٢)]:

١- القراء: ونعني بهم قُرَّاء القرآن الذين لا علم عندهم بمواقع السنن وفقه الشريعة، فهؤلاء ليسوا من العلماء، لكنهم إن اقتصروا على ما يحسنون، وذلك بتعليم القرآن، وحرصوا أيضاً على التلقي عن العلماء فهم في خير، وإنما قاصمة الظهر تجاوز الحدِّ، ومسابقة العلماء، لا سيما عند نزول المُدلهمات، وهؤلاء هم أشبه بحديث: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، متفق عليه[(٣)] عن أبي سعيد رضي الله عنه.

---

(١) (١٤٣) وصححه الألباني.

(٢) انظر: "قواعد التعامل مع العلماء" (٢٩-٤١)، "إقامة الحجة والدليل" (ص ٥٤-٥٥)، "القول الحسن في موقف المسلم من الفتن".

(٣) (خ ٣٣٤٤) (م ١٠٤٦).

٢- طالب العلم الذي لم يتمكن في العلم:

وهو على خير إذا عرف قدر نفسه، وشغلها بتحصيل العلم وفهمه، لكن العجب العجاب إذا تصدر قبل أوانه، وأطلق في تحرير القضايا الكبار قلمَه ولسانه، وتظاهر بالعلم والفطنة، وأكَّد ذلك بالمشلح والجُبَّة - فاللهم حوالينا ولا علينا.

وما أحسنَ ما قاله الذهبي رحمه الله تعالى: «قومٌ انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يُتقنوا منه سوى نزرٍ يسير أوهموا أنهم علماء فضلاء ... فنسأل الله النجاة والعفو»[(١)].

قال أحمد الأبار رحمه الله تعالى: «رأيت رجلاً بالأهواز حفَّ شاربه، وأظنُّه قد اشترى كتباً وتعبَّأ للفتيا، فذكروا له أصحاب الحديث، فقال: ليسوا بشيء. فقلت له: أنت لا تُحسن تصلي، فأيُّ شيء تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا افتتحت الصلاة؟ فسكت ...» [(٢)].

وفي هؤلاء يصدق حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ: «رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه»، رواه أحمد[(٣)].

٣- الخطباء والوعَّاظ:

وهم على ثغرة من ثغور الإسلام لو اقتصروا على ما يُحسنون، لكن منهم من ينصب نفسه منصب العلماء والفقهاء، فقد أوجب بعضهم على نفسه التنظير، والسبق في التحليل والتقرير لكل نازلة، فهو ليس بحاجة في نظره إلى التؤدة حتى يسمع ما يقوله أهل العلم والفقه في الدين، لا سِيَّما إذا اقترن بتعالمه حقدٌ على العلماء أو استخفافه بهم لهوىً في نفسه أو بدعة تغللت في قلبه، أو جهل مركَّب امتزج بعقله.

(١) [«السير» (٧/ ١٥٣)].

(٢) [«الكفاية» للخطيب (٤، ٥)].

(٣) (١٣٣٥٠) وصححه الشيخان.

أما آن لخطباء المساجد وأصحاب الوعظ أن يعرفوا قدر أنفسهم، ولا يغرنَّهم قول العامة لهم: يا شيخنا، يا شيخنا.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «كان الوعَّاظ من قديم الزمان هم العلماء والفقهاء، حتى إذا خسَّت هذه الصناعة، تعرَّض لها الجهال، فأعرض عن الحضور المميزون من الناس، وتعلق بهم العوام والنساء»[(١)].

قال ابن مسعود رحمه الله تعالى: «إنكم في زمان كثيرٌ علماؤه، قليل خطباؤه، وإن بعدكم زماناً كثير خطباؤه، والعلماء فيه قليل»[(٢)].

وقد قال ﷺ: «قبل الساعة سنوات خدَّاعة ... يتكلم فيها الرويبضة»، قيل: وما الرويبضة؟! قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة»، رواه أحمد[(٣)] عن أنس رضي الله عنه.

فأين من يُسمَّون بالدعاة؟! وأصحاب الدعوة؟ أما آن لهم أن يعرفوا حقيقة قدرهم، فمنهم من يستحق لقب: «عامي»، ومنهم من قد يقال فيه: «طالب علم كثير الغلط»، ومنهم من يستحق وصف: «المتعالم الضال»، لكثرة إضلاله للناس بوعظه وهتافاته.

٤- المفكرون والمثقفون والكُتَّاب:

فالمفكِّر والمثقف قومٌ أخذوا نُتفاً من العلم في المدارس والجامعات، واطلعوا على أشياء من ثقافة الغرب أو الشرق، ثم أخذوا في بيان معنى الإسلام والرد على الأديان الأخرى، فأحسنوا في أشياء وأساؤوا في أشياء، ومنهم من قفز إلى منصب العلماء، فأخذ يحرر قضايا الأمة ويسابق العلماء، كما حصل هذا لكثير من الأشاعرة أو الكُتَّاب المعاصرين، لا سِيَّما والجرائد

(١) [«تلبيس إبليس» (ص ١٢٧)].

(٢) [«الأدب المفرد» (٧٨٩)، صحيحٌ، قاله الألباني].

(٣) (١٣٢٩٨).

والمطابع تضخُّ كل ما يُلقى فيها، وغالب علماء وكُتَّاب أهل البدع المعاصرين من هؤلاء المذكورين، فلا عجب عندما تسمع منهم الفتاوى الزائفة والمقالات المتهافتة.

٥- علماء أهل البدع والحزبيات:

وغالب هؤلاء خطباء وكُتَّاب ومفكِّرون ومثقفون، وقَلَّ أن تجد في صفوفهم عالماً راسخاً، فإن وُجِد فقد طمستْ بصيرةَ قلبه البدعةُ، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠].

وقال ﷺ: «حتى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا»، متفق عليه[1]. وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥]. وقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف:١٧٥] الآية.

وما أكثر ما أحدثه علماء الضلالة من بدع وفتن! فهم الذين يُفتون الخوارج بسفك الدماء، وإثارة الدهماء، وهم الذين يُفتون بالبناء على القبور والالتجاء إليهم، وهم الذين يحذرون الأمة من علمائها الراسخين، وهم الذين يُفتون الظَّلَمة بما يُفتون.

٦- السحرة والمشعوذون:

فهم يتشبهون بأهل العلم، بل ويُسمَّون: بالعلم، أو الفقه، أو السيد، ونحو ذلك من الألقاب الضخمة.

وصاروا عند كثير من الناس خطباء ووعاظ، ويتولون العقود وتحرير الوثائق وقسمة التركات والفتوى وكتابة الحروز والعزائم، وصناعة السحر واستخدام الشياطين.

ولهذا قال قوم فرعون لموسى عليه السلام: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا

(١) تقدم.

﴿لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزخرف:٤٩]، يريدون: أيُّها العالم؛ لأنه تقرر عندهم أن السحرة علماء، وظنُّوا موسى عليه السلام منهم، وقد كان هذا في أمَّتنا هذه لا يفرق بعضهم بين العالم والساحر، فلما انتشر العلم ظهر الحق وزهق الباطل، ولله الحمد والمنَّة.

الرابعة: كيف يعرف العلماء[1]:

١- يُعرفون برسوخهم في العلم: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٢].

٢- باتصافهم بالتقوى والخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

٣- الرحمة بالأمَّة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

٤- العمل بالعلم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

٥- رسوخ أقدامهم وثبات قلوبهم عند ورود الفتن والشُّبه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الراسخ في العلم لو وردت عليه شُبَهٌ بعدد أمواج البحر ما أزالت عنه يقيناً، ولا قدحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزُّه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردَّها حرسُ العلم وجيشه مغلولة مغلوبة»[2].

(١) انظر (ص ٢٥) من كتاب: "قواعد في التعامل مع العلماء" وغيره.

(٢) "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٤٠).

الخامسة: في قصة بني إسرائيل:

ذكر الله سبحانه أنه أنعم عليهم بالرسل والكتاب، وأمرهم بالتوحيد والعمل والإيمان، فنبذوا ذلك وراء ظهورهم، ولبَّسوا الحقَّ بالباطل، ونشروا الباطل وكتموا الحق، وتلاعبوا بالفرائض والصلاة والزكاة، وأمروا الناس ونَسَوا أنفسهم... إلخ، فهذه هي أوصاف المتشبهين بالعلماء. أعاذنا الله تعالى من ذلك!

السادسة: في ضرر المتشبهين بالعلماء:

لما كثروا أفسدوا فِطَر العامَّة، وصوَّر لهم ما جاؤوا به من البدع والفلسفة الكلاميَّة والحزبية أنها العلم الصحيح والفقه المليح، ولبسوا على الأمة دينها، ثم شنُّوا الغارات البدعية والحرب الضَّروس على العلماء بالتنفير عنهم والطعن فيهم، وصوروا علمهم بأنه غير مُهم، وأن العلماء لا يهتمُّون بأمر الأمة ... فاحذرهم أيها المسلم، فإن المبتدعة دعاة إلى النار.

****

الأصل الخامس

[في بيان الأولياء والمتشبهين بهم]

بَيَانُ الله سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ الله وَتَفْرِيْقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِيْنَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ الله وَالْمُنَافِقِيْنَ وَالْفُجَّارِ، وَيَكْفِيْ فِيْ هَذَا آيَةٌ فِيْ آلِ عُمْرَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية [آل عمران:٣١]، وَآيَةٌ فِيْ الْمَائِدَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآية [المائدة:٥٤]، وَآيَةٌ فِيْ يُوْنُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِيْ الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ، إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيْهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى! فَمَنْ تَقَيَّدَ بِالإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى، فَلَيْسَ مِنْهُمْ! يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ.

❊ ❊ ❊ ❊

مفرداته:

(الأولياء): جمع وليٍّ، وأصل الولاية: المحبة والنصرة والموافقة.

والولي: هو الموافق لله تعالى في أمره ونهيه.

ويُراد بالولي: العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والولاية هي الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل». فالولي: هو المؤمن التقيُّ.

(المنافقين): جمع منافق، مَنْ يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر.

ويُطلق النفاق - أيضاً - على مخالفة الظاهر للباطن.

(الفجار): أصحاب الفجور، وهو: الميل عن الاستقامة إلى المعصية جهرة[١].

(يرتد): الردة: الرجوع من الإسلام إلى الكفر بالقول أو الفعل أو الاعتقاد[٢].

(التقوى): العمل بالكتاب والسنة إيماناً واحتساباً؛ رجاء ثواب الله تعالى ووقاية من عذابه.

(تقيد)، وفي نسخة (تعهَّد): حافظ وعمل وحرص.

المعنى الإجمالي:

ذَكَر الله تعالى صفات أوليائه الصادقين، وأن حقيقة الولاية: توحيد الله تعالى واتباع نبيه ﷺ، والحفاظ على أعمال الإيمان وأوصاف التقوى، مع ما رزقهم سبحانه من محبته ومحبة رسوله ﷺ ومحبة المؤمنين، والبراءة من الشرك وأهله، ومن البدع والعصيان.

وفرَّق الله سبحانه وتعالى بين أوليائه وبين المتشبهين بهم من المنافقين والضالين الذين يدعون الولاية والصلاح، وأعمالهم تخالف ذلك، إما بالشرك وإما بالبدع وإما بالعصيان، ووصل الأمر ببعض الصوفية إلى أن زعموا أن مَن بلغ رتبة الولاية واليقين سقط عنه اتباع المرسلين، وحلَّ له ما لا يحل لغيره من المسلمين، وأما من اتبعهم وعمل بطاعة الله تعالى فهذا عندهم ليس من الأولياء، بل من العامة، وأما أولياؤهم فهم الخاصة.

نسأل الله العفو والعافية، ونعوذ بالله من الضلال.

---

(١) "التعريفات الاعتقادية" (ص ٢٥٣).

(٢) "التعريفات" (ص ١٧٩).

المسائل:

الأولى: في صفات الأولياء المؤمنين:

١ - التمسك بالسنة والثبات على توحيد الله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر:٢]، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

٢ - اتباع الرسول ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

٣- محبة الله تعالى ورسوله ﷺ ومحبة المؤمنين ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] الآية.

٤ - الإيمان والتقوى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فالخليلان هما رأس الأولياء، وهكذا بقية الرسل والأنبياء، وهم دعاة التوحيد والدين.

الثانية: في صفات المتشبهين بالأولياء وليسوا منهم:

١ - الوقوع فيما يناقض التوحيد: فابن عربي الذي كان يدَّعي أنه خاتم الأولياء من كبار المشركين.

٢- الوقوع في البدع: كحال أولياء الصوفية وغيرهم ممن مارسوا ألوان البدع كالحكيم الترمذي والرفاعي والشاذلي.

٣- ممارسة المعاصي: فمنهم من ترك الصلاة، ومنهم من عرف بالفواحش، كما ذكر ذلك الشعراني في «طبقاته» وغيره.

٤ - ترك الجهاد في سبيل الله تعالى: وهذا شأن أولياء الصوفية.

الثالثة: في معنى (الولي) عند المتصوفة:

عرفه الصوفية بما حاصله: أنه من تولاه الله تعالى ظهرت صفات الباري عليه، فهو عندهم يعلم الغيب ويدبر الأمر، ويغيث الملهوف.

وقال الشيخ مبارك الميلي في تعريف «الولي» عند الصوفية: «وأما الوليُّ عند الناس اليوم فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطُّرُقية ولو كان في جهله بدينه مساوياً لحماره، وإما من اشتهر بالكهانة وتجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب المسكرات، وإما من انتهى إلى مشهور بالولاية ولو كان إباحيًّا لا يحرم حراماً، فهم الأولياء عند الصوفية، مطالبون في كل شدة، ولكل محتمٍ بهم عدة، وهم حماة الأشخاص والقرى والمدن؛ كبيرها وصغيرها.

ويجب عندهم أن يكون علماء الدين خدماً لهؤلاء الأولياء، غير منكرين لشيء من أعمالهم، وإلا أُوذوا بضروب السباب، ومستقبح الألقاب»[(١)].

الرابعة: النبي أفضل من الولي:

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «ولا نُفضِّل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليه السلام، ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضل من جميع الأولياء». اهـ

قال الشارح: يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الرد على الاتحادية وجهلة الصوفية، وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل باجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقهم، ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء، ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدَّعي لنفسه أنه خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله تعالى منهم، وهؤلاء ظنُّوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق؛ كابن عربي وأمثاله، وهو لما رأى

---

(١) "الشرك ومظاهره" (ص ١٢٢، ١٢٣)، "الصوفية في حضرموت" (ص ٧٦٢) وغيرها.

أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة خُتِمت، لكن الولاية لم تختم، وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة، وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها كما قال: مقام النبوة في برزخ ... فُويق الرسول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة[١].

الخامسة: حكم بناء القباب على الأولياء والتبرك والاستغاثة بهم:

ليس من شرط الولاية بناء قُبَّة على قبره، فالصحابة رضي الله عنه هم سادات الأولياء بعد الأنبياء عليهم السلام، ولم يكن يُبنى على قبورهم بناء ولا قبة، لا سيما وأن الله تعالى الذي أكرم الأولياء بتوحيده وطاعته حتى صاروا أولياء، لم يشرع بناء القباب عليهم، بل حرَّمه؛ لأنه مدعاة إلى الشرك المخرج من الولاية، بل الإسلام والنبي ﷺ لعن من بنى على القبور، وبعث الجيوش لهدم القباب التي عليها كما ثبت في الصحيح[٢] عن علي، وجاء وخالد بن الوليد[٣] وغيرهما.

وهكذا التبرك بهم وأنهم يمنحون البركة شرك أكبر إذ لا يمنح البركة إلا الله تعالى.

والاستغاثة بهم سواء لطلب النفع أو دفع الضر شرك أكبر؛ لأنه صرفٌ للعبادة لغير الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

وهو - أيضاً - شركٌ في الربوبية، إذ لا يملك النفع ودفع الضر إلا الرب سبحانه وتعالى.

وكون الولي لا خوف عليه ولا حزن - إن كان وليًّا عند الله تعالى - فهذا لا يعني أن يُعبد

---

(١) "الطحاوية" (٧٦٦-٧٦٨).

(٢) (م ٩٦٩) عن علي رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو يعلى (٩٠٢) عن أبي الطفيل رضي الله عنه، وصححه الألباني والوادعي.

من دون الله سبحانه بالدعاء والنذر والذبح والالتجاء، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

فالواقع عند أكثر الناس الذين لم يُوفَّقوا للتوحيد والسنة أن الولي عندهم هو من أشرك بالله تعالى في قوله وعمله، أو أُشرك بالله سبحانه به عند قبره.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعوذ بالله من الخذلان والضلال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.



الأصل السادس

[رد شبهة خطيرة وضعها الشيطان]

رَدُّ الشُّبْهَةِ التِيْ وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِيْ تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ – أَيْ الشُّبْهَةِ التِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ هِيَ – أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ. وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوْفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوْجَدُ تَامَّةً فِيْ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيْهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيْقٌ، وَإِمَّا مَجْنُوْنٌ لِأَجْلِ صُعُوْبَتِهِمَا.

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ: كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُوْنَةِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُوْرِيَّاتِ الْعَامَّةِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس:٧-١١]

آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ. تَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ.



مفردات الأصل السادس:

(الشبهة): القول الذي يوقع في اشتباه الحق بالباطل حتى لا ينكشف الحق ولا يظهر، ولا يتميز من الباطل.

(المجتهد المطلق): وهو الذي يستقل باجتهاده في الأصول والفروع والاستنباط من الأدلة، والتصحيح والتصنيف والترجيح في علوم الشريعة(١).

(الأذقان): جمع ذقن، وهو معروف.

(مقمحون): رافعو رؤوسهم، غاضوا أبصارهم، والمراد: بيان استكبارهم، فهم لا يخضعون للحق؛ لأن الله تعالى طبع على قلوبهم.

المعنى الإجمالي:

هذا الأصل في ردِّ شبهة انتشرت عند بعض الناس واشتهرت، وهي: «أن القرآن والسنة فيهما صعوبة لا يفهمها إلا أكابر العلماء، ذوو الاجتهاد المطلق في جميع علوم الشريعة، أما من دونهم فلن يفهموهما، وعليه فلا يجوز لهم الكلام في معانيها وأحكامها، فمن تجرَّأ وفسَّر منهما شيئاً فهذا عندهم زنديق أو مجنون.

أرادوا بهذه الشبهة سدَّ الباب على أهل العلم حتى إذا أنكروا عليهم شيئاً مما هم فيه من البدع والشركيات، وأورد الأدلة على باطلهم.

قالوا: أنت لا تفهم القرآن، أو: أنت تتكلم في القرآن برأيك، أنت زنديق... فإذا نجحت هذه الشبهة تمكَّنوا من صرف الناس عن القرآن والسنة إلى مذاهبهم وعقائدهم.

وهذه الشبهة مردودة بالقرآن والسنة والإجماع والواقع: قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٨]. ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣] أي: من أجل أن تفهموه. وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

والنبي ﷺ قال: «إن الدين يسر»، رواه البخاري(٢).

---

(١) "القاموس المبين" (ص ١٩٧)].

(٢) (خ ٣٩).

وقال: «إن الله بعثني معلِّماً ميسراً»، رواه مسلم(١).

وأجمع العلماء على أن القرآن والسنة مفهومٌ معانيها، نقله شيخ الإسلام وغيره، والواقع يدل على ذلك، فإن الناس يقرؤون ويفهمون كلٌّ حسب علمه وفهمه، فظهر الحق وبطل ما كانوا يصنعون.

المسائل:

الأولى: في وضع الشبه:

من أساليب أهل البدع قديماً وحديثاً: وضع الشُّبه حتى يروج باطلهم ويخفى الحق على أتباعهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة:٤٢].

الثانية: في القول بمنع الاجتهاد:

وهذا القول مردود ومخالف للأدلة وما عليه جمهور العلماء، فإن الرسول ﷺ ذكر الحاكم، وقال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران»، متفق عليه(٢) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وهذا عام في كل زمان، لا دليل على تخصيصه.

الثالثة: في معنى: (شرعاً وقدراً، وخلقاً وأمراً):

شرعاً: في أدلة الشرع.

قدراً: فيما قضاه الله تعالى من وجود علماء وطلبة علم مجتهدين على مر العصور يفسرون القرآن والسنة، وهذه كتب التفسير وشروح الحديث تملأ المكتبات، ولا يزال يَفِدُ منها الشيء الكثير.

خلقاً وأمراً: أما الأمر فإن الشرع قد ورد بالأمر بالتعلم ونشر العلم.

وأما خلقاً: فلعل المراد (قدراً)، أو أن الله تعالى قدَّر خلق في كل زمان علماء مجتهدين،.

---

(١) (م ١٤٧٨).

(٢) (خ ٣٥٧٤) (م ١٧١٦).

الرابعة: في بيان الشاهد من الآيات المذكورة:

أن فيها مثلاً للذي لا يتدبر معاني القرآن والسنة، وأنهم كمن قُيد ورُبِط بالأغلال، فلا حركة له قد سُدَّت عليه الطرق والحلول، وفي آخرها مثَل من تدبر القرآن والسنة وعمل بهما، واتبع الذكر (وهو القرآن والسنة).

إذاً: الاتباع إنما يكون بعد فهم المعنى، فأثمر له الاتباعُ الخشيةَ والمغفرة والأجر الكريم، فالحمد لله رب العالمين على تيسيره وامتنانه.

الخامسة: في أساليب رد هذه الشبهة:

١- الأمر بتدبر القرآن: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

٢- إرسال الرسول بلسان قومه ليفهموا مراده ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤].

٣- تيسير القرآن؛ لأنه عربي ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

٤- يسر ألفاظ القرآن والسنة ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر:١٧].

٥- تكرار الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، وما تكرر تقرر.

٦- الأمر بالاتباع، ولا اتباع إلا بعلم معاني القرآن والسنة ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف:٣].

السادسة : ختم المؤلف رسالته بحمد الله تعالى وشكره والصلاة والتسليم على رسوله ﷺ .

وهذا من حسن الخاتمة، ومن حسن التصنيف أن تبدأ بالحمد لله تعالى وبالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، وتختم بذلك.

تم التعليق مختصراً، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً،

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

****

١٠٠

فائدة

من القواعد الأربع

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الكريم المنَّان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فهذا شرحٌ على (القواعد الأربع)، مسلسل في فوائد متتابعة، وهو أسلوب جميل ويقرب العلم، وقد سلكت فيه الاختصار.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه أبو عبد الله المصنعي١٤٣٢هـ

وفقه الله تعالى

❊❊❊❊

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الكريم المنَّان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فهذا شرحٌ على (القواعد الأربع)، مسلسل في فوائد متتابعة، وهو أسلوب جميل ويقرب العلم، وقد سلكت فيه الاختصار.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه أبو عبد الله المصنعي١٤٣٢هـ

وفقه الله تعالى

❊❊❊❊

القَوَاعِدُ الأَرْبَع(١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ: أَنْ يَتوَلَّاك في الدُّنيَا والآخِرَةِ .

وأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتَ. وأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاث عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اِعْلَم أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْـحَنِيفِيَةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّيْن وبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ: فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إلاَّ مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لا تُسَمَّى صَلَاةً إلاَّ بالطَّهَارَةِ، فإذا دَخَلَ الشِّرْكُ في العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كالحَدَثِ إذَا دَخَلَ في الطَّهَارَةِ. [كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧]](٢).

---

(١) والمتن مقابل على ثلاث مخطوطات: مخطوطة مكتبة عنيزة (أ)، ومخطوطة الشيخ عبد الله الشريان نسخ الشيخ إبراهيم بن محمد الضويان ١٣٠٧ هـ رحمها الله تعالى (ب)، والثالثة مخطوطة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن سلمان. خزانة طارق الحويطر نسخ عبد الله بن محمد الريجان رحمهم الله تعالى (ج).

ولنا عليه شرح مسموع وآخر مطبوع.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) (ب) (ج) و (د).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّركَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا ، وَأَحْبَطَ العَمَلَ ، وصَارَ صَاحِبُهُ مِنْ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ: عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيّكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وهِيَ: الشِّركُ باللهِ، [(١)] وذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

❊ ❊ ❊ ❊

[الأولَى(٢)]

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الذينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بأَنَّ اللهَ تَعَالَى هو الخَالِقُ الرَّازِقُ المُحْيِي المُمِيْتُ المُدَبِرُ جَميعَ الأُمُورِ ، ولَمْ يُدْخِلْهُم فِي الإِسْلَامِ .

والدليلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) [الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾] [النساء:١١٦] ما بين المعقوفين ليس في (أ) (ب) (ج)، وهي مذكورة في عامة النسخ المطبوعة.

(٢) كذا في المخطوطات بدون ذكر كلمة (القاعدة).

القاعدة الثانية

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، [نُرِيدُ من اللهِ لا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِم والتَّقَرُّبِ إليْهِمْ](١).

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢) [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ.

---

(١) سقطت من المطبوع، وهي في المخطوطات الثلاث.

(٢) في (أ) (ج) لم يكمل الآية.

وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].(١).

* * * *

القاعدة الثالثة

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمسَ والقَمرَ ومنهُم الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، [ومِنْهُم مَن يعبُدُ الأَصْنَامَ(٢)]، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمسِ وَالقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (٣) [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سورة

---

(١) في (ج) ذكر أول آية الكرسي.

(٢) ما بين المعقوفين ليس في بعض النسخ.

(٣) في (أ) و(ج) لم يكمل الآية.

سبأ:٤١]، [﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران:٨٠]. (١)

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم:١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللهُ أَكْبَرُ، إنهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ "(٢).

* * * *

(١) هذه الآية ساقطة من بعض النسخ، وغالب المخطوطات لم تذكر الآية التي قبلها.

(٢) في (أ) و(ج) ذكر الحديث إلى (كما لهم ذات أنواط).

القاعدة الرابعة

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]،[(١)] وَاللهُ أَعْلَمُ. [وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ][(٢)].

* * * *

(١) في (ب) زيادة [فهل هذا الداعي عابد، والدليل قوله تعالى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)] والأكثرية من المخطوطات والمطبوعات بدونها، فلذلك لم أثبتها.

(٢) هذه زيادة من (أ) و (ج).

[مقدمة القَوَاعِدُ الأَرْبَعُ]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ: أَنْ يَتَوَلَّاك فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ .

وأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتَ. وأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاث عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اِعْلَم أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْـحَنِيفِيَةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّيْن وبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ: فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلاَّ مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لا تُسَمَّى صَلاَةً إلاَّ بالطَّهَارَةِ، فإذا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ. [كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا ، وَأَحْبَطَ العَمَلَ ، وصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ: عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وهِيَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، [(١)] وذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

* * * *

(١) [الذي قال الله تعالى فيه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾] [النساء:١١٦]

ما بين المعقوفين ليس في (أ) (ب) (ج)، وهي مذكورة في عامة النسخ المطبوعة.

الفوائد

أسأل الله تعالى الكريم الرحيم أن ينفعنا وإياكم بالعلم، وأن يوفقنا وإياكم للعمل به والدعوة إليه.

١- مؤلف (القواعد) هو: الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى، الإمام المجدد السلفي (ت ١٢٠٦هـ).

٢- سميت القواعد الأربع؛ لأن المؤلف ذكر فيها أربع قواعد، وهذه التسمية لعلها من تلاميذ المؤلف رحمه الله تعالى.

٣- أصل هذه الرسالة جواب أرسله المؤلف إلى بعض محبي الدعوة.

٤- من الدعوة: المراسلة، والمكاتبة، وذلك من هدي نبينا ﷺ، فقد راسل هرقل وكسرى والنجاشي وغيرهم[١]، يدعوهم إلى الله تعالى.

٥- هذه القواعد ملخصة من (كشف الشبهات)، فيُستحسن دراستها قبلها لتكون ممهدة لها.

٦- ابتدأ المؤلف بالبسملة، وهذا مشروع بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل: ٣٠]، وفي رسالة النبي ﷺ إلى هرقل: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل...»، متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وأجمع الصحابة على الابتداء في المصحف بالبسملة.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «تُستحب في أول كل عمل»[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه (خ ٧) (م ١٧٧٣) عن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٣) "التفسير" (الفاتحة).

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل»[١].

٧- لم يفتتح المؤلف كتابه بالحمدلة وخطبة؛ لأن المشهور في الرسائل الاقتصار على البسملة، كما في رسائل النبي ﷺ[٢].

٨- حديث: «كل أمرٍ ذي بال...» حديث ضعيف[٣].

٩- معنى البسملة: (بسم) الباء للاستعانة. (بسم الله): أستعين بالله تعالى، والجار والمجرور متعلق بفعل مؤخر تقديره: (بسم الله أكتب)، أستعين بالله على الكتابة. (الرحمن): ذو الرحمة الواسعة. (الرحيم): ذو الرحمة الواصلة إلى الخلق.

١٠- رحمة الله تعالى عامة وخاصة:

فالعامة: تشمل جميع الخَلْق، فجميع النعم والهداية للمصالح المعيشية من رحمته.

والخاصة: تشمل جميع النعم الدينية من هداية وتوفيق وصلاح.

١١- البسملة فيها جميع أنواع التوحيد: الألوهية، والأسماء والصفات، والربوبية.

فالألوهية في لفظ الجلالة (الله) وهو مشتق من (الإله)، ومعنى (الله): المعبود الحق وحده، وهو عَلَمٌ على الباري سبحانه.

والأسماء والصفات: مأخوذة من قوله: (الرحمن الرحيم) فهما اسمان متضمنان لصفاتٍ، وجميع أسماء الله تعالى تتضمن صفاتٍ.

---

[١] "الفتح" (١/ ١١).

[٢] "الفتح" (١/ ١١).

[٣] انظر: "الإرواء" (١، ٢).

والربوبية: مأخوذة من قوله: (بسم الله)، فإن الاستعانة بالله تعالى من توحيد الألوهية، والمعين هو الرب سبحانه، فالإعانة من أفعاله.

وكذلك المستحق للعبادة وحده، والموصوف بصفات الكمال هو الرب وحده.

١٢- ابتدأ المؤلف رسالته بالدعاء للمرسل إليه [وللقارئ وطالب العلم]، وفي ذلك دلالة على:

أ- التودد والتحبب إلى المدعو أو الطالب من أجل أن يكون أدعى لانتفاعه بالعلم، وقبوله للخير.

ب- أن مبنى العلم والدعوة: التراحم بين المعلم والمتعلم، وبين الداعي والمدعو، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

جـ- الرفق بالمخالف، واستعمال الحكمة معه؛ ليعود إلى الحق، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] الآية.

١٣- من هدي السلف الافتتاح في الرسائل بالدعاء للمخاطب، وهذا مما أهمله كثير من المتأخرين.

١٤- معنى: (يتولاك): يفسره قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨]، ومن أسماء الله الولي: ومعناه: الذي يتولى أمور العبادة، وينصر المؤمنين الحافظ لهم المعين.

فمعنى يتولاك: يحبك، وينصرك، ويؤيدك، ويوفقك، ويعينك على طاعته، وكل واحدٍ له من ولاية الله تعالى بقدر إيمانه وتقواه.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فالولي هو المؤمن التقي.

وإذا تولاك الله تعالى فقد فزت وأفلحت ونجوت في الدنيا والآخرة.

١٥- معنى (مباركاً): البركة من الله تعالى. والتبرك: طلب البركة.

والبركة: هي ثبوت الخير ودوامه ونُمُوُّه[١]. والله سبحانه هو الذي يُنْزِل البركة ويثبتها وينمِّيها. وأعظم البركة: بركة العلم بالحق والعمل به.

١٦- معنى (الشكر): ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسان عبده، ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

١٧- والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره.

فمن عُدِم منها واحدة اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة[٢].

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، هذا بالمقال والعمل. وقوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢]، هذا بالقلب والقول والعمل.

١٨- معنى: (إذا ابتلي صبر) الابتلاء: الاختبار والامتحان بالضراء، وقد يكون بالسراء، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥].

١٩- معنى (الصبر): هو حبس النفس على طاعة الله تعالى [بملازمتها]، وحبس النفس عن معصية الله تعالى [بتركها]، وحبس النفس من التسخط على أقدار الله تعالى المؤلمة.

والصبر واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.

---

[١] "البدائع" (٢/ ٤١١)، "عقيدة التوحيد" (ص ٢٣٤).

[٢] "الوابل الصيب" (ص ٦)، "المدارج" (٢/ ٥٧٥-٥٧٦ ط: طيبة).

٢٠- الصبر المحمود: هو الصبر من أجل الله تعالى مع اعتقاد أن الذي وفقه للصبر هو الرب عز وجل، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧].

وقال ﷺ: «ما أُعطي أحدٌ عطاءً خير وأوسع من الصبر»، متفق عليه[١].

٢١- معنى: (وإذا أذنب استغفر) أي: طلب المغفرة:

بالقلب: بالندم والعزم ألا يعود إلى المعصية. وباللسان: بالاستغفار والدعاء.

وبالجوارح: بالإقلاع عن الذنب، والإقبال على فعل الحسنات الماحية للسيئات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٣٥]، وفي الحديث: (أتبع السيئةَ الحسنة تمحها)[٢].

٢٢- (السعادة): أصل السعادة: اطمئنان القلب، وراحة البال والبدن لحصول مراده النافع.

ومَن جمع الله تعالى له بين الشكر والصبر والتوبة فقد جمع له السعادة الدنيوية والأخروية، ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، ومن فقدها فقد جمع شقاوة الدنيا والآخرة، ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكٗا﴾ [طه:١٢٤].

٢٣- معنى قوله: (اعلم): أراد المؤلف لَفْت انتباه القارئ والطالب بهذه الكلمة، وهو أسلوب تربوي عظيم، وقد ورد في الكتاب والسنة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

والمراد: العلم الشرعي النافع، وهو معرفة الحق بدليله، والعمل به، والدعوة إليه.

والعلم الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه؛ فقهاً وعقيدة.

---

[١] متفق عليه (خ ١٤٦٩) (م ١٠٥٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

[٢] رواه الترمذي (١٩٨٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

٢٤- معنى (أرشدك الله): الرشد: حسن التصرف، ويأتي بمعنى: الهُدى، فهو ضد الغي، فيكون معنى الرشد: الاستقامة على الهدى والحق، ومجانبة الغي والضلال.

وأرشدك الله تعالى: دلَّك إلى طاعته، ووفقك للاستقامة عليها، وعافاك من ضدها.

وأعظم الغي: الشرك، والبدعة والمعصية، كما أن الرشد يشمل التوحيد والسنة والطاعة، ويأتي الرشد بمعنى العلم، فهو معرفة الحق والعمل به.

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

٢٥- معنى (الطاعة): طاعة الله تعالى: فِعْل ما أمر الله تعالى به، وحث عليه في الكتاب والسنة، وترك ما نهى الله تعالى عنه، وحذر منه في الكتاب والسنة.

٢٦- معنى (الحنيفية): وقد فسرها المؤلف بقوله: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

والحنيف: المقبل على الله، المُعرض عمَّن سواه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فالدين الحنيف: هو الإقبال على الله وحده، والإعراض عمّا سواه، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق، والكلمة الطيبة (لا إله إلا الله)»[١].

٢٧- (مخلصاً): الإخلاص: إفراد الله تعالى بالقصد والعمل، فيشمل جميع أنواع التوحيد والاتباع، وهو حُسْن النية، وحسن العمل، المنافي للشرك والبدعة، فلا يكون العمل مقبولاً إلا بالإخلاص لله تعالى ومتابعة شرعه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

---

[١] "الفتاوى" (٩/ ٣١٩).

٢٨- معنى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

الحكمة من خلق الخلق أن يعبدوا الله عز وجل وحده لا شريك له، فمن وفَّى جازاه أحسن الجزاء، ومن أساء وعصى وفَّاه حسابه[١].

٢٩- معنى: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وربنا جل وعلا يحب التوحيد والسنة والطاعة، ويبغض الشرك والبدعة والمعصية.

فما أحبه الله تعالى فهو عبادة له، وما أبغضه فليس بعبادة له، بل هي عبادة لغيره، فصحَّ أن العبادة لله تعالى لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد والسنة.

٣٠- معنى (التوحيد): هو إفراد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

فتوحيد الربوبية: إفراد الله تعالى في أفعاله؛ كالخلق والرزق والملك والتدبير.

وتوحيد الألوهية: إفراد الله في العبادة؛ كالصلاة والدعاء والذبح والنذر.

وتوحيد الأسماء والصفات: إفراد الله في أسمائه وصفاته، فلا نظير له[٢].

٣١- معنى (المثال المضروب بالصلاة بدون طهارة): وهذا المثال تقريبٌ لفهم هذه المسألة العظيمة، وهي ضرر الشرك على العبادة، فمن صلى بدون طهارة وأطال وخشع و ... لم تقبل صلاته، بل يأثم، وهكذا مَن تعبَّد لله تعالى مع ممارسة الشرك لم تنفعه عبادته، بل هي باطلة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ □□□ □□□□ □□□□□ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية:٢-٤]، فقد فُسِّرت بالعمل مع الشرك، فيدخلون يوم القيامة النار بسبب شركهم.

٣٢- معنى (الشرك): هو أن يجعل العبد لله تعالى ندًّا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

---

[١] انظر: "الفتاوى" (١/ ٢٣)، "تفسير ابن كثير".

[٢] وقد سبق شرحه في "القول المفيد".

وهو ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر.

فالأكبر: كل قول أو عمل أو اعتقاد أطلق عليه الشرع وصْف الشرك، وهو مخرج من الملة.

والأصغر: كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع وصف الشرك، وهو غير مخرج من الملة.

فمن الشرك الأكبر: الشرك في الربوبية، وصرف نوع من العبادة لغير الله تعالى، وتعطيل أسماء الله سبحانه وصفاته.

ومن الشرك الأصغر: يسير الرياء، وقول ما شاء الله وشاء فلان، وما لي إلا الله وأنت، والحلف بغير الله ...، ونحو ذلك[١].

٣٣- وجوب تعلُّم التوحيد ومعرفة ما يضاده من الشرك:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، فأوجب العلم بالتوحيد. ولازمُ ذلك: معرفة ما يناقضه وهو الشرك، وهو الشبكة التي اصطاد بها الشيطان كثيراً من الجن والإنس.

ومما يبين لك أهمية تعلُّم التوحيد وأهمية معرفة الشرك: أن الشرك يوجب لصاحبه الخلود في النار أبداً، ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧]، وعدم مغفرة ذنوبه وخطاياه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

٣٤- في هذه الجملة مع دليلها - وهي الآيتين المذكورة قبل- ردٌّ على طائفتين:

الأولى: الخوارج وأتباعهم الذين ينكرون تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر، والكفر إلى أكبر وأصغر، بل يجعلون الكبائر من جنس الشرك الذي لا يُغفر.

الثانية: الصوفية وأمثالهم الذين يقولون: إن الشرك لا يكون شركاً أكبر إلا في الربوبية،

---

[١] وقد بسطنا الكلام عليه في: "شرح القول المفيد": الكبير، وانظر "الجواب الكافي" (١٥٠-١٥٥).

ينكرون الشرك في الألوهية إذا كان فاعله لا يعتقد فيمن يعبده الربوبية، فهو عندهم غير الشرك، وهذه القواعد الأربع ردٌّ عليهم.

٣٥- معنى (قواعد): وهي جمع قاعدة، وهي: الأصل الذي يتفرَّع عنه مسائل كثيرة.

وسُمِّيت هذه المسائل: (قواعد)؛ لأن بفهمها يعرف العبد التفريق بين التوحيد والشرك، وبها يقدر على معرفة شُبَه القوم، وكيف الرد عليها بأدلة الكتاب والسنة.

فهذه القواعد لها من الأهمية الشيء الكثير، فاحرص على فهمها.



[الأولى[1]]

أنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَارَ الذينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بأَنَّ اللهَ تَعَالَى هو الخَالِقُ الرَّازِقُ المُحْيِي المُمُيْتُ المُدَبِرُ جَميعَ الأُمُورِ، ولَمْ يُدْخِلْهُم في الإِسْلَامِ .

والدليلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

* * * *

الفوائد

٣٦- مقصود المؤلف بإيراد هذه القاعدة أمران:

الأول: الرد على القبورية الذين يعبدون القبور بأنواع العبادات، ثم ينكرون أن فعلهم شركٌ تحت حُجَّة: هذا ليس شركاً في الربوبية.

الثاني: التمهيد للقاعدة الثانية بأن شرك الأولين كان في الألوهية، ومن ذلك: طلب الشفاعة والتقرب إلى غير الله تعالى.

٣٧- أن مشركي العرب وغيرهم كانوا مقرين بربوبية الله تعالى - في الجملة- وذلك معروف في أشعارهم وأقوالهم، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه في آيات كثيرة، منها ما ذكره المؤلف، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، وما أشبه ذلك من الآيات.

---

(١) كذا في المخطوطات بدون ذكر كلمة (القاعدة).

٣٨- كان مشركو العرب وغيرهم يمارسون الشرك في الألوهية، فحكم عليهم بالشرك والكفر في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة:٦]، الآية. دل ذلك على أن الشرك في الألوهية مخرج من الملة.

٣٩- الإقرار بالربوبية وحده لا يكفي، وكذا الإقرار بالألوهية وحده لا يكفي، فالأول ككفار العرب، والثاني ككفر الردة بالشك في قدرة الله تعالى، فلا نجاة ولا يصح إسلام عبدٍ حتى يقر بأقسام التوحيد كلها.

٤٠- مشركو العرب كانوا يقرون بأن الله تعالى يستحق أن يعبد، ولذلك كانوا يعبدونه بالصلاة والصيام والحج والصدقة والعتق، كما صحت الأدلة، لكنهم أنكروا إفراد الله تعالى بالعبادة، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، فأنكروا التوحيد في العبادة، فكان شركهم عبادة غير الله مع الله تعالى.

٤١- يستفاد من هذه القاعدة: التفريق بين الربوبية والألوهية، إذ لو كانا شيئاً واحداً لما أنكر الرسل على أقوامهم عبادة غير الله تعالى؛ لأن أقوامهم من العرب وغيرهم كانوا - أغلبهم - يقرون بالربوبية، فلو كان من أقر بالربوبية صار موحداً لكان أولئك الكفار موحدين، وهذا مردود بالكتاب والسنة، فدل ذلك على أن الربوبية غير الألوهية.

٤٢- الرد على من زعم أن كفار قريش كانوا مشركين في الربوبية فقط، فذكر الأدلة على اعترافهم بالربوبية، وكون شركهم في الألوهية ردٌّ عليه، فمن أشرك في الألوهية فقد وقع في الشرك الذي حرمه الله تعالى، قال سبحانه عن قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]، فظهر أن شركهم في الألوهية.

٤٣- أن مشركي العرب وغيرهم مع اعترافهم بالربوبية كانوا يقعون في الشرك في الربوبية؛ كالتطير، ونسبة نزول المطر إلى النجم، وإنكار البعث والنشور، وإنكار قدرة الله على ذلك كما

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس:٧٨]، ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ [التغابن:٧].

٤٤- خطأ من فسر (الإله) بـ(الرب)، وفسَّر (لا إله إلا الله): لا قادر إلا الله، أو: لا خالق إلا الله، ونحو ذلك من صفات الربوبية.

وهذه التفسيرات خاطئة أدت ببعضهم إلى الوقوع في شرك الألوهية لظنِّهم أن ذلك لا ينافي التوحيد (لا إله إلا الله).

٤٥- ذهب جمعٌ من أهل الكلام والصوفية إلى أن الشرك في الألوهية لا يعدُّ شركاً إلا إذا اعتقد في المعبود بعضَ صفات الربوبية، وهذا باطل بأدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف.

وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩].

٤٦- أسعد الناس بمعرفة التوحيد ومعرفة حقيقة الشرك، وأحرص الناس على التحذير منه هم أهل السنة والجماعة، ولا يقوم بذلك أحدٌ سواهم على الوجه الأكمل، فلله الحمد والمنة.

٤٧- وفي هذه القاعدة ردٌّ على من أنكر تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وغالبهم من الصوفية، إذ مقصدهم الخبيث هو إنكار توحيد الألوهية، ليسهل عليهم دعوة الناس إلى عبادة القبور والأولياء، فالتصوف والتشيع ملجأ لشر كبير، ولكل حاقد على الإسلام وأهله، كما أن التحزب ملجأ لكل عميل لأعداء الإسلام والمسلمين.

٤٨- أن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، ولذلك حاجَّ الله تعالى المشركين بذلك كثيراً، فالخالق والرازق والمدبر والمنعم هو الذي يستحق العبادة، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف:٨٧] عن عبادة الله تعالى وحده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١]، فالرب هو المستحق للعبادة وحده.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

بعد اعترافهم بالربوبية قال سبحانه: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تتقون الله تعالى بتوحيده وبطاعة رسوله، فرأس الطاعة والتقوى هو توحيد الله تعالى، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

****

القاعدة الثانية

أُنَّهُمْ يقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، [نُرِيدُ من اللهِ لا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِم والتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ](١).

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢) [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ الله فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ.

---

(١) سقطت من المطبوع، وهي في المخطوطات الثلاث.

(٢) في (أ) (ج) لم يكمل الآية.

وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].(١).

❋ ❋ ❋ ❋

الفوائد

٤٩- مراد المؤلف بهذه القاعدة هو بيان أن شرك المتأخرين عند القبور والأولياء والأنبياء والملائكة هو عينه شرك الأولين عند الأصنام والأولياء والأنبياء والملائكة والجن، لا فرق بينهما.

٥٠- أن المشركين لم يكونوا يعتقدون فيما يعبدونه أنهم يخلقون أو يرزقون أو غير ذلك من صفات الربوبية، إنما اتخذوهم شفعاء وواسطة، قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس:١٨].

وهذا هو حال عُبَّاد القبورِ والأولياءِ، وقولهم واحد، وهو: نحن نعتقد أن لهؤلاء الصالحين جاهاً عند الله تعالى، فنحن نتقرب إليهم نرجو شفاعتهم.

فإذا اتفقوا في العمل والمعتقد فقد اتفقوا في الحكم، وهو أنهم مشركون.

٥١- إذا كانت شبهة [القربة والشفاعة] لم تنفع المشركين الأولين، بل حُكِم عليهم بالشرك وسفكت دماؤهم، وبيَّن أن مصيرهم الخلود في النار، فكذلك هؤلاء المشركون عُبَّاد القبور، لا تنفعهم عبادة القبور، بل حكمهم كأولئك، ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة:٦٩]، ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

(١) في (ج) ذكر أول آية الكرسي.

٥٢- أن اتخاذ الوسائط والتقرب إليها؛ سواء كانت صنماً، أو قبراً، أو وليًّا، أو ... كل ذلك مشتمل على الكذب والكفر، فالكذب في دعوى أنهم واسطة وأنهم شفعاء وأنهم يقرِّبون من الله تعالى.

والكفر في عبادتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

٥٣- في تفسير الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الزمر:٣] من دون الله تعالى أولياء آلهة يعبدونها ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ باعتقاد الربوبية فيهم، إنما نعبدهم ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ليقربونا منزلة، فإنما حَمَلهم على عبادتهم ليشفعوا لهم عند الله تعالى.

٥٤- قوله: ﴿لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ النفي هنا لهداية التوفيق، فمن علم الله تعالى منه الكفر فالله لا يهديه، ولا يوفِّقه؛ لسعيه في الكذب والكفر، ومجانبته أسباب الهداية.

٥٥- والهداية قسمان:

أ- هداية الدلالة والإرشاد: وهذه عامة للجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، أي: دللناه وبيَّنا له.

ب- هداية التوفيق: وهذه خاصة بأهل التوحيد، وهم يتفاوتون فيها، كلٌّ بحسب فضل الله تعالى عليه، وبذله لأسباب الهداية، اللهم اهدنا يا كريم.

٥٦- ويُستفاد من قوله: (يختلفون): أن للباطل طرقاً كثيرة مختلفة فيما بينها، ومخالفة للحق أشد المخالفة، وأبطل الباطل الشرك.

٥٧- أن شبهة الشفاعة والقربة والوساطة أعظم شُبَه القوم، فافهمها حتى تردَّ عليهم، وتحذِّر المسلمين من ضلالهم.

٥٨- الشفاعة: هي سؤال الشافع لغيره الخير، أو: توسُّط الشافع لغيره بجلب نفع أو دفع ضر، ونحو ذلك.

والشفاعة إلى الله تعالى: هي دعاء العبد الموحد ربَّه سبحانه وتعالى لإخوانه الموحدين بالخير: لجلب نفع أو دفع ضر.

٥٩- تنقسم الشفاعة إلى قسمين: مثبتة، ومنفية.

فالمثبتة: ما وافقت الكتاب والسنة.

والمنفية: ما خالفت الكتاب والسنة.

والشفاعة ملك لله تعالى، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

وتنقسم الشفاعة إلى: دنيوية وأخروية.

فالأخروية: هي التي تكون يوم القيامة، وشروطها:

١- إذن الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- رضا الله تعالى عن الشافع، والمشفوع له، والله لا يرضى إلا على الموحدين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧].

ولذلك نفى الشفاعة للكافرين: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، وقوله: ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤] كذلك، فلا أحد يشفع للكفار والمشركين في الآخرة، وهذا مراد المؤلف بالشفاعة المنفية.

* **والشفاعة الدنيوية إلى الله تعالى، وشروطها:**

١- ألا تخالف الكتاب والسنة.

٢- أن تُطلب من الحي الحاضر الموحد، وذلك بالدعاء، وهو التوسل، ومن ذلك الدعاء للميت: «ما من مسلم يصلي عليه أمَّة من الناس يبلغون مائة لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعوا فيه»[1]، أي: أُجيب دعاؤهم له بالرحمة.

---

[1] رواه مسلم (م ٩٤٧) عن عائشة رضي الله عنها.

فشفعوا له بالدعاء، ومن ذلك قصة الرجل الأعمى المشهورة[١]، والأدلة على طلب الدعاء من الصالح الحاضر الحي كثيرة.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الشفاعة الممنوعة هي طلب الشفاعة ممن لا يقدر عليها؛ كالميت والغائب، فلا قدرة للميت على الدعاء ولا الشفاعة ولا غير ذلك، ومثل ذلك الغائب؛ لأنه لا يعلم ولا يسمع من يناديه، فهذا شرك؛ لأنه دعا غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

٦٠- الذين يطلبون الشفاعة من الأموات والأصنام وقعوا في الشرك من وجوه:

أ- طلب الشفاعة ممن لا يقدر عليها، وهذا شرك في الربوبية لاعتقادهم فيهم القدرة الخفيَّة.

ب- دعاؤهم والاستغاثة بهم، وهذا شرك؛ لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى

ج- التقرب إليهم بالنذر أو الذبح أو غير ذلك، وهذا صرف للعبادة لغير الله تعالى.

والقاعدة: أن ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

٦١- كون المشركين القُدامى يطلبون الشفاعة بالطريقة الشركية، وهم مع ذلك لا يؤمنون بالبعث، فكيف تفسَّر؟

والجواب: أنهم يريدون الشفاعة لهم في أمور الدنيا من شفاء مريض، أو غنى من فقر، أو حصول منفعة دنيوية، أو دفع مضرة دنيوية.

ويقال أيضاً: لعل قولهم هذا فرض - زعموا - لو حصل البعث فسيشفعون لنا.

والأول أظهر وأرجح.

---

[١] رواه الترمذي (٣٥٧٨) وصححه الألباني والوادعي.

٦٢- الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه قسمان:

أ- صحيحة: وهي واسطة الرسل وأتباع الرسل في تبليغ الدين، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨].

ب- ممنوعة: وهي واسطة المعبودات الباطلة التي ادعى المشركون أنهم وسطاء لهم وشفعاء عند الله تعالى.

٦٣- ما يسلكه المشركون في طلب الشفاعة مسدود، إذ أن الشفاعة منفية مع الشرك، وثابتة مع التوحيد، فطلبها بالطرق الشركية كما يفعله عُبَّاد القبور والأولياء غلط محض، فالشرك سبب لمنعهم الشفاعة.

٦٤- الشافع مكرم عند الله تعالى، فكون الله تعالى يأذن في الشفاعة في الآخرة إنما أراد إكرام الشافع وبيان منزلته، لا أن يُعبد مع الله تعالى ويكون شريكاً له تُصرف له العبادة، فالله تعالى لا يرضى أن يُعبد معه ملك مقرب ولا نبي مرسَل.

****

القاعدة الثالثة

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمسَ والقمرَ ومنهُم المَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، [ومِنْهُم مَن يعْبُدُ الأصْنَامَ(١)]، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلائِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سورة سبأ:٤١]، [﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في بعض النسخ.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾﴾ [النجم:١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللهُ أَكْبَرُ، إِنهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ".

* * * *

الفوائد

٦٥- مراد المؤلف بهذه القاعدة: بيان أن الشرك ليس مقصوراً على عبادة الأصنام، بل الشرك يشمل كل تنديد؛ سواء كان المعبود صنماً، أو حجراً أو صالحا، ملكاً أو نبياً أو جنًّا، أو غير ذلك.

٦٦- يبين المؤلف في هذه القاعدة أن المشركين القدامى كانوا يعبدون الأصنام، وهي صور رجال صالحين، ويعبدون الملائكة والجن والأنبياء.

فلم يفرِّق الله تعالى بينهم، بل حكم عليهم جميعاً بالشرك والخلود في النار، وهكذا حُكْم مَنْ عبد الأولياء والأنبياء من المتأخرين، فللشرك صور مختلفة، يجمعها صرف العبادة لغير الله تعالى.

فهذه القاعدة أوردها المؤلف للرد على القبورية الذين قصروا الشرك على عبادة الأصنام.

٦٧- من قبح الشرك وضرره: أن أصحابه متفرقون مختلفون في أحوالهم وعباداتهم، لا يجمعهم أصل ولا دين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ۝١١٩﴾ [هود:١١٨-١١٩]، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، وهذا شأن كل باطل: الفُرقة والتلوُّن، بخلاف أهل التوحيد، فدينهم واحد، ومعبودهم واحد،.

٦٨- الشرك ملة واحدة، وصوره شتَّى، يجمعها صرف العبادة لغير الله تعالى، فإذا ادعى المشرك صحة شركه فدعواه مردودة كدعوى عُبَّاد القبور.

٦٩- الله تعالى لا يرضى أن يُعبد معه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا رجل صالح، ولا جن، ولا شجر، ولا حجر، ولذلك أمر بقتال جميع المشركين، وبجميع صورهم، ولم يفرق بينهم، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ [البقرة:١٩٣] جميع المشركين، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ في الأرض ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا شريك له.

٧٠- **قوله:** (ودليل الشمس) أي: والدليل على أن هناك من كان يعبد الشمس.

والذين كانوا يعبدون الشمس هم قوم من العجم وتأثر بهم قليل من العرب وغيرهم، كانوا يسجدون لها عند شروقها وغروبها، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ ذكر ذلك، وقطعًا لذريعة الشرك نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها.

٧١- النهي عن التشبُّه بالمشركين في الصلاة وسائر الأمور بهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى أحد مفسدتين:

الأولى: موالاة المشركين ومودَّتهم، فالمقلد معظم لمن يقلده.

الثانية: أنه يُفضي إلى الشرك، فلذلك وجب سدُّ الذرائع المفضية إلى الشرك.

٧٢- أن من العرب وغيرهم مَنْ كان يعبد الملائكة، وهو مع ذلك كافر مشرك، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٨٠]، أو غيرهم ﴿أَرْبَابًا﴾ معبودات من دون الله أو معه، ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ الرسل ﴿بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، هذا سؤال إنكار، فالرسل لا يدعون إلى عبادة الملائكة ولا غيرهم؛ لأن ذلك شرك وكفر، بل جاءوا بالدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، وهذه الآية ردٌّ على من نسب إلى الرسل الدعوة إلى عبادة الملائكة والأنبياء، وذلك كاليهود والنصارى وبعض العرب.

٧٣- ومن المشركين القدامى من كان يعبد الأنبياء؛ كاليهود الذين عبدوا عزيراً، والنصارى الذين عبدوا المسيح، وغيرهم، وهذا شرك؛ سواء صوَّرها في صورة صليب أو صنم، أو غير ذلك، كله شرك؛ لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى.

٧٤- أن العبادة الحق لله تعالى، ليس للمخلوق فيها حقٌّ مهما عظمت منزلته، كما قال المسيح: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦]، فليس له ولا لغيره من الخلق حق في العبادة، بل هي لله تعالى وحده، وصرفها لغيره شرك.

٧٥- أن الأنبياء والملائكة والصالحين لا يرضون أن يُعبَدوا مع الله سبحانه، ولا من دونه، فلذلك يتبرؤون يوم القيامة ممن عبدهم، كما ذكر الله تعالى عن عيسى عليه السلام، وذكر عن الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

٧٦- ومن العرب وسائر الأمم مَنْ عبد الصالحين، بل عبادة الصالحين هي أوسع وأول شركٍ وقع في الأرض، بداية من قوم نوح: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣]، فهذه أسماء رجال صالحين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «المقصود أن أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين، وعبادة تماثيلهم، ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب؛ إما الشمس، وإما القمر، وإما غيرها، وصورت الأصنام طلاسم لتلك الكواكب، وشرك قوم إبراهيم - والله أعلم - كان من هذا، أو كان بعضه من هذا، ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة، أو الجن ووضعت الأصنام لأجلهم، وإلا فنفس الأصنام الجمادية لم تُعبد لذاتها، بل لأسباب اقتضت ذلك»[1].

٧٧- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ [الإسراء:٥٧] أي: الذين يدعونهم المشركون من دون الله تعالى، ويصرفون لهم العبادة، وهم نفرٌ من الجن، كان بعض العرب يعبدونهم، فأسلموا وصاروا ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ وحده ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ التقرب بتوحيده وطاعته ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ إلى الله تعالى، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾.

٧٨- نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجن، ولم يعلم عُبَّادُهم بإسلامهم، فاستمروا في عبادتهم [وهو متفق عليه عن ابن مسعود][2].

٧٩- الشاهد من الآية:

- أن الذين عبدوا الجنَّ كانوا مشركين قبل إسلام الجن، وبعد إسلامهم وصلاحهم، لا فرق

---

(١) «الفتاوى» (١٧/ ٤٦٠).

(٢) (خ ٤٧١٤) (م ٣٠٣٠) ولفظ النزول في مسلم.

بين الأمرين، وهذا ردٌّ على القبورية الذين زعموا أن عبادة الصالحين غير شرك.

- وقيل: الآية عامة فيمَن عبد الأنبياء والجن والملائكة، فكل ذلك منكر وشرك، وأن كون المعبود من الخلق صالحاً لا يُغيِّر من الحكم شيئاً.

٨٠- **قوله:** (ودليل الأحجار والأشجار) أي: أنَّ من العرب وغيرهم مَنْ كان يعبدها من دون الله تعالى أو معه، وحكم عليهم بالشرك، والحكم يعمُّ كل فعل كفعلهم من صرف العبادة لغير الله تعالى.

٨١- لماذا عبدوا الأحجار والأشجار؟

- إما لظنِّهم البركة فيها.

- وإمَّا لدعوى أن لها صلة بالله تعالى أو بالصالحين.

وما أشبه ذلك، كما تقدم من كلام شيخ الإسلام.

٨٢- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ [النجم:١٩]، أخبروني وهو استفهام إنكاري ﴿ٱللَّٰتَ﴾ بتخفيف التاء - معناه: صخرة مربعة منقوشة بيضاء، وكانت بالطائف، عليها بيت وأستار وسدنة، وأما بالتشديد فوصف لرجل كان يلتُّ السويق للحجاج. ﴿والعُزَّى﴾ امرأة سادنة تُسمى: (العُزَّى) في محل به أشجار، وكانت هذه المرأة تُعبد من دون الله تعالى، كانت لقريش وما حولها، فلما كان فتح مكة بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد بجيش، فقطع الشجرة وقتل المرأة[1].

٨٣- ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ صخرة كبيرة بقُديد بالمشلل بين مكة والمدينة، وكانت تعبدها يثرب، فلما جاء الإسلام اندثر شأنها.

---

(١) رواه أبو يعلى (٩٠٢) عن أبي الطفيل رضي الله عنه، وصححه الألباني والوادعي.

٨٤- قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم:٢١] بعد الآية السابقة قيل: لأن (اللات) مشتقة من (الله) و(عزى) من (العزيز)، و(المناة) من (المنان)، وكانوا يعتقدون أنها بنات الله تعالى، وهذا من أضرار الشرك، فإنه يحمل صاحبه على الجهل والحماقة.

٨٥- وجوب هدم الأصنام والأحجار والأشجار والقباب والقبور المرتفعة والعيون، وغيرها مما يُصرف له شيء من العبادة كما هدمت اللات والعزى، إذ بهدمها يذل الشرك وأهله، وبقاؤها يعتبر عَلَماً من أعلام الشرك الظاهرة، وذريعة كبرى إلى أن تُعبد من دون الله تعالى مرة أخرى.

وقد قال النبي ﷺ: «لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته»، رواه مسلم[١]

٨٦- أن بناء القباب وتعظيم القبور والآثار والمشاهد سبب كبير للشرك، فلما رفعت القباب على القبور ظن الجهال أن للمقبورين قدرة على النفع والضر، فعبدوهم من دون الله تعالى كما عبدت اللات والعزى ومناة، فيا ويل القبوريين من لقاء الله تعالى.

٨٧- حديث أبي واقد الليثي فيه أن الشرك ليس مقصوراً على النذور، والذبح لغير الله تعالى، بل هو أعمُّ من ذلك، إذ من الشرك: طلب البركة من غير الله تعالى.

٨٨- كان المشركون يعكفون عند شجرة من السدر يتبركون بها لظنهم أنها تمنح البركة، يعلقون بها السلاح لظنهم أنها تمنح النصر، فكانت تلك عبادة للشجرة، فذلك العكوف والتعظيم شرك في الألوهية، كما أن اعتقاد أنها تمنح البركة والنصر شرك في الربوبية.

٨٩- معنى البركة: ثبوت الخير ودوامه ونموُّه، ومعطيها هو الله تعالى وحده.

والتبرك: طلب البركة من الشيء.

---

[١] (م ٩٦٩) عن علي رضي الله عنه.

* وهو قسمان:

أ- مشروع: وذلك فيما ثبت به الدليل، كالتبرك بذات النبي ﷺ في حياته وبآثاره، ولا يشرع التبرك بذات أحد بعده؛ إذ لا دليل عليه.

ومن التبرك المشروع: التبرك بالمساجد وأماكن العبادة وأزمانها، والبركة التي جعلها الله تعالى فيها هي بما حوَته من عبادات ومضاعفة الأجور، لا بذاتها؛ فالتبرك بأحجار الكعبة وغيرها غير مشروع.

ب- ممنوع: شرك أكبر: طلب البركة من غير الله تعالى، فمن اعتقد أن المخلوق يمنح البركة فهذا شرك أكبر - كما سبق - وإن اتخذ سبباً للبركة غير مشروع فتلك بدعة منكرة وذريعة إلى الشرك[1].

٩٠- **قوله:** (ونحن حُدثاء عهد بكفر) أي: قريب عهدهم بمفارقة الكفر، فإن إسلامهم كان في آخر رمضان، وغزوة حُنين كانت في شوال، فالوقت قصير، فلم يكونوا قد تعلَّموا من التوحيد والإسلام الشيء الكثير.

٩١- في الحديث العذر بالجهل، فقد قالوا - أعني: أفراد من مسلمة الفتح - كلمة خطيرة، لكنهم لما علموا أنها شركية لم يعملوا بها، وبادروا إلى التوبة والندم، وفي ذلك وجوب الرجوع إلى الحق.

٩٢- (ينوطون): يعلقون، (فمررنا بسدرة) أي: سدرة أخرى، وذلك لمعرفة هؤلاء النفر الذين طلبوا ذلك الطلب المفجع أن المسلم لابد أن يفارق الشرك، فاختاروا سدرة أخرى، وهذا يدل على حسن نيتهم، لكن قلة العلم حينئذ هو الذي أوقعهم في ذلك الطلب.

---

(١) [«عقيدة التوحيد» (٢٣٤)].

٩٣- أن الشرك ملة واحدة، فلا فرق في التنديد - في الجملة - بين من طلب البركة من الشجرة وبين من طلب إلهاً آخر، إذ أن مؤدى الجميع: صرف العبادة لغير الله تعالى. (قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة):

٩٤- أن اختلاف الأسماء لا يُغيِّر الحقائق، فالشرك كله محرم؛ سواء سُمي تبركاً أو شفاعة أو قربة أو دعاءً، أو ... ما دام أنه صرف العبادة لغير الله تعالى. [كما تشابه مقالة بني إسرائيل وهؤلاء].

٩٥- وفي الحديث خطر الجهل بالتوحيد، فإن من جهل التوحيد متوقع أن يقع في الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يجب تعلُّم التوحيد، وفهم ما يضاده من الشرك حتى يكون على بصيرة.

٩٦- خطر التشبه بالمشركين وسائر الكفرة والفجرة؛ لأنه قد يؤدي إلى الشرك والفساد، بل التشبه بالمشركين من أصول الشرك.

٩٧- سرعة رجوع الشرك في بني آدم، لذا وجب كثرة التذكير به والتحذير منه ومن وسائله، كما هو دأب النبي ﷺ حتى في مرض موته، وهو يحذر منه.

٩٨- أهمية معرفة التوحيد والشرك وشُبَه المشركين، وهذا ردٌّ على من ينكر على أهل السنة الاهتمام بذلك من الحزبيين والمبتدعة.

وردٌّ على من قصر الشرك على شرك القصور (شرك الحاكمية)، فيجهد نفسه ويغلو في أمره حتى يسلك منهج الخوارج ونحوهم، ثم يتناسى بل ويزهد في التحذير من سائر الشركيات في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، والواجب التحذير من الشرك أجمعه.

فالله اللهَ يا أهل السنة في الاهتمام بتعلم التوحيد ونشره بالكتب والخطب والمواعظ والرسائل، وبكل وسيلة ممكنة صحيحة، ولا تبالوا بهؤلاء الطغام الذين ينكرون عليكم، فأنتم والله على صراط مستقيم.

٩٩- في الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة، وهو الإخبار بغيب مستقبل، وحصول ذلك، كما في قوله في آخر الحديث: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، أي: تعملون مثلهم، وقد حصل هذا وفشا الشرك حتى زادوا في شركهم على شرك المتقدمين، وهذا حال من يقلد أعداء الإسلام والمبتدعة.

اللهم اعصمنا من الشرك والبدع والعصيان.



القاعدة الرابعة

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وَاللهُ أَعْلَمُ. [وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ].

* * * *

الفوائد

١٠٠- مراد المؤلف: أن شرك المتأخرين هو كشرك المتقدمين من العرب سواء في كثير من النواحي، وفي نواحي أخرى زاد شرك المتأخرين (عُبَّاد القبور) وغيرهم على المشركين القدامى، فهم (أي: المتأخرين) أحق بوصف الشرك وأغلظ كفراً ممن سبقهم في هذا.

١٠١- من الأسباب التي جعلت شرك المتأخرين أغلظ:

أ- أن المشركين الأولين كانوا يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، كما دلت عليه الآية، والقبورية شركهم دائم في الرخاء والشدة.

ب- أن المشركين الأولين كان غالب شركهم في الألوهية، ويقل في الربوبية، والقبورية وأمثالهم شركهم في الألوهية والربوبية كثير.

في الألوهية: كالنذر والذبح والدعاء واللجوء إلى غير الله تعالى.

وفي الربوبية: حيث نسبوا إلى الأولياء: تدبير الكون، والنفع والضر، وشفاء المريض، وتفريج الكربات.

جـ- أن المتقدمين غالب معبوداتهم صور لصالحين، والمتأخرين غالب معبوداتهم كفرة

وفجرة؛ كابن عربي، والحلاج، وابن علوان، وأمثالهم[١].

١٠٢- شرك المتقدمين من العرب ونحوهم أغلظ من جهة أخرى:

أ- إنكارهم للنبوة، وكفرهم بالقرآن، ومعاداة الرسل.

ب- أنهم عبدوا الأصنام إلى جانب عبادة الصالحين والأنبياء.

وأما الملاحدة من الهندوس والبوذية والفلاسفة ونحوهم، فهم أغلظ من جميع الوجوه.

١٠٣- كثير من المتأخرين لا يعرف معنى (لا إله إلا الله)، فهو يرددها وهو يمارس الشرك عند القبور وغيرها، وهذا ضرر كبير.

١٠٤- خطر السماع من أهل البدع، فهؤلاء الصوفية والرافضة وبعض الأشاعرة يزيِّنون الشرك، ويسمونه تعظيماً للصالحين، ويوهمون الأتباع أنهم يغيثون الملهوف، وهذا هو سبب لجوئهم إليهم في الشدائد، وهذا ثابت عنهم في كتبهم وغيرها.

❋❋❋❋

---

[١] راجع كتاب كشف الشبهات.

* نصيحة *

إليك أخي طالب العلم أُقدِّم هذه النصيحة:

١ – الاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ علماً وتعلُّماً ودعوة.

٢ – البداءة بدراسة الأسهل، ثم الأعلى: [مفتاح العقيدة – القول المفيد الصغير – الأصول الثلاثة – القواعد الأربع – كشف الشبهات – ا لأصول الستة – كتاب التوحيد – نواقض الإسلام]، ثم: [اللامية – الحائية – اللمعة – القواعد المثلى – الواسطية – الطحاوية – التدمرية].

٣ – احرص على حفظ متون الكتب التي تدرسها، فذلك يسهل فهمها بإذن الله تعالى.

٤ – احرص على تلخيص الدرس ومراجعته وحفظ التعاريف والضوابط.

٥ – استمر في تلقي الدروس، فمن سار على الدرب وصل.

تم ولله الحمد والمنة

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه

****

التعليق

على رسالة

(معنى الطاغوت)

للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى كتب رسائل كثيرة مختصرة؛ أرسلها إلى بعض الناس دعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونفع الله عز وجل بها نفعًا عظيمًا، ومن ضمن هذه الرسائل رسالة بعنوان: (معنى الطاغوت) تفسير وتوضيح لمعناه، وبيان لوازمه.

ونحن نعلق عليها بما تيسر[(١)]، والله المستعان.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى

١٤٤٧ هـ

دار الحديث بمدينة السلام شبوة

****

(١) وهو مجلس علمي تم تفريغه ونشره.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله تعالى؛ أنّ أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فأمّا صفة الكفر بالطاغوت؛ أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها، وتكفّر أهلها وتعاديهم.

ابتدى المؤلف رسالته بالبسملة ثم بالتنبيه (اعلم) هذه كلمة يؤتى بها للتنبيه.

(رحمك الله تعالى) دعاء، والدعاء يدل على أن العلم مبني على التراحم بين العالم والمتعلم، والعلم رحمٌ بين أهله.

قال: (أنّ أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت) أول ما فرض الله تعالى وأول واجب الإيمان بالله سبحانه وتعالى والكفر بالطاغوت كما دلت عليه الآية، وذكر شيخ الإسلام الإجماع على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان. ونقل الإجماع غيره أيضًا.

والذين يقولون إن أول واجب هو النظر والتفكر كما يقوله أصحاب الكلام هذا القول باطل فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يدع أحدًا ابتداء إلى النظر والتفكر إنما دعاهم أولًا إلى التوحيد، وفي الحديث: (فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله) والأدلة على هذا كثيرة.

قال: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾)

معنى الآية: ولقد بعثنا في جميع الأمم رسلًا وأنبياء فكان أول ما دعوا قومهم إليه أن يوحدوا الله سبحانه وتعالى، وصفة توحيد الله عز وجل تكون بإفراده بالعبادة والبراءة من الشرك وأهله، فقوله: (واجتنوا الطاغوت) معناه البراءة من الشرك والمشركين، والبراءة تعني البغض والابتعاد والمجانبة.

وجميع الأمم قد أقام الله سبحانه وتعالى عليهم الحجة فليس هناك أمة من الأمم إلا وقد بعث الله جل وعلا إليها من يدعوهم إلى التوحيد ويحذرهم من الشرك، ويأمرهم بالكفر

بالطاغوت.

قال: (فأمّا صفة الكفر بالطاغوت؛ أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها، وتكفِّر أهلها وتعاديهم) هذه صفة الكفر بالطاغوت في باب الألوهية، من اعتقد أن الله عز وجل هو المستحق للعبادة وحده فيجب عليه إلى جانب هذا أن يعتقد بطلان عبادة ما سوى الله سبحانه وتعالى، ويجب عليه إلى جانب هذين الأمرين أن يتركها وأن يبغضها ويبغض أهلها وأن يعتقد أن أهلها على ضلال وكفر، لا يكفي أن يأتي الشخص بالتوحيد ويبتعد عن الكفر؛ لابد أن يضيف إلى هذا ترك عبادة غير الله تعالى وبغضها وبغض أهلها ومعاداتهم، ويعتقد أنهم كفار، لأن هناك من يرى أن الإسلام حق والأديان الأخرى حق فهذا ليس بمسلم.

وأما بالنسبة للكفر بالطاغوت في باب الربوبية فهو أن يعتقد أن الله عز وجل هو الرب وحده لا شريك له، وأن ما عداه ليس له من الربوبية شيء، وكذلك أيضًا من الكفر بالطاغوت في باب الأسماء والصفات أن يعتقد أن الله جل وعلا هو المتفرد بالأسماء والصفات، وأن ما عداه ليس له من خصائص الله تعالى شيء، ويبغض ويعادي من يدعي ذلك أو يلحد في أسماء الله تعالى وصفاته. ومن هذا الباب اعتقاد أن التحاكم لا يجوز إلا إلى شرع الله جل وعلا وأن الحكم بغير ما أنزل الله يعتبر طاغوتًا، هذه خلاصة معنى الطاغوت، وسيأتي مزيد بيان.

والذين يحصرون الطاغوت في الحكم بغير ما أنزل الله تعالى وعلى مفهومهم هم إنما جاءوا بجزء يسير من معنى الطاغوت؛ فإذا أرادوا أن ينكروا على الحكام قالوا: هؤلاء طواغيت، هؤلاء يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى. ثم إذا وصل الأمر إليهم يحكمون بالطاغوت ويقعون فيما أنكروا.

****

وأمّا معنى الإيمان بالله ؛ أن تعتقد أنّ الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم.

وهذه ملّة إبراهيم التي سفه نفسه مَن رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

قال: (وأمّا معنى الإيمان بالله؛ أن تعتقد أنّ الله هو الإله المعبود وحده دون سواه) أن تعتقد أن الله هو المعبود الحق وحده، فليس الخلاف بين الرسل وأقوامهم في كون أن الله عز وجل يستحق العبادة، إنما الخلاف في كون الله عز وجل يستحق الإفراد بالعبادة، لأن الرسل قالوا: اعبدوا الله وحده واتركوا ما عداه. فقالوا: نريد أن نعبد الله ونعبد غيره. إذن فالخلاف وقع في إفراد الله جل وعلا بالعبادة.

قال: (وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه) والعبادة هي ما سبق بيانه في درس (الجامع لعبادة الله تعالى وحده) فيجب أن تنفي جواز عبادة ما سوى الله سبحانه وتعالى، وقال أبو سفيان حين قال له هرقل ماذا يأمركم؟ قال: (اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ) فكان كفار قريش يقولون سفَّه آلهتنا. كيف سفه آلهتهم؟ أي: قال: إن عبادتها باطل. فهذا هو الذي أغضبهم.

قال: (وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم) وهذا من لوازم الإيمان بالله تعالى، فشروط لا إله إلا الله سبعة ومنها المحبة وهي محبة الله تعالى ومحبة دينه وتوحيده، ومحبة المؤمنين الموحدين، ولازم ذلك بغض الشرك وأهله ومعاداتهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ فنفس الإيمان ينفي محبة الشرك وأهله، فإذا وجد مؤمن مسلم يقول أنا موحد ولا يزال له تعلق بالشرك أو محبة للشرك أو لبعض أنواعه أو لأهله، فهذا ما عرف التوحيد، وما بلغ رتبة التوحيد المقبول عند الله سبحانه وتعالى. وما أكثر الذين لم يفهموا معنى التوحيد، بل عمدت كثير من الطوائف أن التوحيد في حقيقته هو الشرك بالله تعالى، التوحيد عندهم نفي الصفات، التوحيد إنكار الأسباب، التوحيد عند غلاة الصوفية أن تعتقد أن الله هو المخلوق، فيقولون ما وحَّد الله من يرى أنه واحد. يعني من يرى أن الله تعالى واحد هذا ما وحد الله وإنما الذي يوحد الله هو الذي يعتقد أن الله هو كل أحد.

وكما قال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ٣٢٩) بعد ذكر لا إله إلا الله ومخالفة الطوائف لها ثم قال: (فهذه الشهادة العظيمة: كل هؤلاء هم بها غير قائمين، وهي متضمنة لإبطال ما هم عليه ورده، كما تضمنت إبطال ما عليه المشركون ورده، وهي مبطلة لقول طائفتي الشرك والتعطيل، ولا يقوم بهذه الشهادة إلا أهل الإثبات الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ويعبدونه وحده لا يشركون به شيئا). فلا يقوم بهذه الشهادة على وجهها إلا أهل السنة والجماعة).

قال: (وهذه ملّة إبراهيم التي سفه نفسه مَن رغب عنها) من رغب عنها فقد حكم على نفسه بالسفة وضعف الرأي والعقل، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.

(وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾) أسوة حسنة: قدوة صالحة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم: إنا نبغضكم ونبغض الشرك الذي أنتم عليه ومما تعبدون من دون الله تعالى، كفرنا بكم أي اعتقدنا أنكم كفار وأن عبادة آلهتكم باطلة، ومن لوازم ذلك ظهور البغضاء، قالوا: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ فلابد من البغض، والبغض يقع بالقلب مع مفارقة الجوارح والأجسام، ولهذا لا يجوز أن يقيم في بلاد الكفار لمن قدر على الهجرة؛ لأن الإقامة في بلاد الكفار يلزم منها شيء من المودة والمداهنة؛ لا سيما في زماننا الذي صار المسلمون فيه ضعفاء، ورأينا في بعض الدول إذا بدأت تبين التوحيد ووجوب بغض المشركين أنكرت عليك الدولة وتقول: لا تزرع العنصرية. فتضطر أنك تسكت عن أشياء لأن المسلمين ضعفاء، ولأن في التصريح بها ربما اضطهاد أو منع من الدعوة.



والطاغوت؛ عام في كل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت.

الطاغوت بمعنى الطغيان ومجاوزة الحد، هذا عام فكل شيء تجاوز فيه العبد حده فقد طغى، ومن عمومه أنه يقع على كل من رضي بعبادته مع الله تعالى، وهكذا من رضي باتباعه على باطل فهو طاغوت.

وأما من لم يرضى بعبادته فليس بطاغوت، ولكن عبادته طاغوتية.

وليس في الأنبياء والصالحين مَن يرضى بأن يعبد مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.

****

والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

كبار الطواغيت خمسة، وهذا ليس للحصر.

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله تعالى، والشيطان: إبليس وأعوانه الذين يدعون إلى عبادة غير الله تعالى، وإلى كل شر وشرك، فهؤلاء طواغيت، وعُبَّادُهم طواغيت أيضًا، فكل من أطاع الشيطان فيما يخالف التوحيد فقد عبده.

والثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، الجائر يعني الظالم المائل عن الحق، والذي بلغ من جوره وميله عن الدين إلى درجة الشرك والكفر، بدليل أنه غيَّر أحكام الله جل وعلا.

يجعل نظام الحكم عمومًا نظام غير الكتاب والسنة إلى علماني أو قانون مستورد فهذا طاغوت، ويعتبر كافرًا. هذا الذي قرره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى.

وما سيُغير أحكام الدولة كلها إلا وقد برئ من حكم الله سبحانه وتعالى.

والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. الشخص الذي لا يرضى إلا بحكم غير الله تعالى، يقول: ما نريد حكم الإسلام هذا طاغوت وكافر.

****

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

الرابع: الذي يدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

الثالث: من حكم بغير ما أنزل الله تعالى مستحلًّا معتقدًا أن هذا أفضل من حكم الله تعالى، أو أن الإنسان مخير إن أراد حكم بحكم الله تعالى، أو أراد حكم بغير حكم الله؛ كله سواء، فهو طاغوت، وأما إن اعتقد أن الحكم للإسلام وأن مصدر التشريع هو الإسلام لكن جره الهوى والمصالح أو حب المنصب فهذا يعتبر فاسقًا ولا يكفر، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. صح عن ابن عباس أنه قال: كفر دون كفر. وبوب عليه البخاري.

وأهل السنة يقسمون الكفر إلى أكبر وأصغر على التفصيل الذي سبق.

والخوارج يقولون يخرج عن الملة سواء اعتقد أو لم يعتقد.

وهذه الأحكام العامة لا يلزم منها الحكم على معين، فالحكم العام يحكم بها دل عليه الدليل على عمومه، لكن عندما تأتي إلى شخص بعينه لابد من خمسة شروط وانتفاء خمسة موانع، إذا انطبقت فإنه يكفر.

الرابع: الذي يدعي علم الغيب المطلق، وهذا يشمل الساحر والكاهن والمشعوذ والعراف والرمّال، قال والدليل الآية التي سبقت: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ نزلت في أناس أرادوا أن يتحاكموا إلى العرافين فهذه الآية الصريحة أن العرافين والكهنة طواغيت،

وقد صرح به البخاري في صحيحه، وهم أيضًا من جملة عبَّاد الشياطين.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ أي: أن علم الغيب لا يكون إلا بوحي.

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ وهي المذكورة في آخر آية من سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ولم يطلع عليها أحدًا، إلا من شاء من الملائكة بعد أمره لهم. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

الخامس: هذا هو شرهم، والشيطان والكهان ونحوهم يدخلون في هذا؛ لأنهم يسعون إلى أن يعبدوا من دون الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ﴾ معبود ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله تعالى ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الظالمين هنا: الكفار.



واعلم أنّ الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

الرشد: دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم. والغيّ: دين أبي جهل.

والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وهي متضمّنة للنّفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له. تمّت.

قوله: (واعلم أنّ الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت) تقدم توضيحه.

والدليل قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . مَن في الآية شرطية، بمعنى يشترط في صحة الإيمان أن يكفر بالطاغوت.

(الرشد: دين محمد ﷺ والغيّ: دين أبي جهل) الرشد بمعنى الهدى والصواب والحق والتوحيد فهذا دين نبينا محمد ﷺ ومن اتبعه بإحسان، والغي بمعنى الضلال والزيغ والشرك، وهو دين أبي جهل وسائر الكفرة.

(والعروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله) وفسرها النبي ﷺ بالإسلام، والشهادة هي رأس الإسلام، ومعنى العروة: المقبض الذي يتمسك به، فمن تمسك بالتوحيد وبرء من ضده فهو المؤمن.

(وهي متضمّنة للنّفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له) عبادة غير الله تعالى موجودة لكنها باطل، فحين تقول: (لا إله) معناه: كل ما عبد من دون الله تعالى باطل. (إلا الله) عبادة الله تعالى حق، وهو معنى قوله: (وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له).

خلاصة هذا الدرس أن الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده سواء كان في باب العبادة أو في باب الاتباع، فكل ما خالف أنواع التوحيد فهو طاغوت، وكل مَن دعا إليه أو رضي به فهو طاغوت، لكن لا تستخدم كلمة الطاغوت في غير محلها، كأن تطلق على مسلم موحد، أو تطلق في التحريض على الحكام، فاستخدام هذه الألفاظ الشرعية في غير موضعها يعتبر من الباطل.

والله تعالى أعلم والحمد لله العظيم.



التعليق

على

شرح القواعد الأربع

للشيخ صالح الفوزان وفقه الله تعالى

تعليق

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعلق

الحمد لله العلي الأعلى المنان، العظيم الغني الرحمن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذا تعليق مفيد للراغبين، من كلام العلماء السلفيين، على القواعد الأربع بشرح العلامة الإمام صالح الفوزان رفع الله تعالى قدره، وهو من أفضل الشروح وأيسرها.

واعتمدت على المطبوع مع زيادات يسيرة من الأشرطة جعلتها بين معقوفين[١].

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد والثبات وحسن الختام.



(١) لنا شرح مكتوب مطبوع بعنوان (١٠٠ فائدة من القواعد الأربع)، ولنا شرح صوتي أيضًا.

متن القَوَاعِدُ الأَرْبَعُ(١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ: أَنْ يَتَوَلاَّكَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ. وأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتَ. وأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اِعْلَم أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّيْن، وبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخَلَقَهُمْ لها، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ: فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إلاَّ مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لا تُسَمَّى صَلاَةً إلاَّ بالطَّهَارَةِ، فإذا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كالحَدَثِ إذا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ. [كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِّ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧](٢)]

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّركَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا ، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ: عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَليّكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وهِيَ:

---

(١) والمتن مقابل على ثلاث مخطوطات: مخطوطة مكتبة عنيزة (أ)، ومخطوطة الشيخ عبد الله الشريان نسخ الشيخ إبراهيم بن محمد الضويان ١٣٠٧ هـ رحمهما الله تعالى (ب)، والثالثة مخطوطة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن سلمان. خزانة طارق الحويطر نسخ عبد الله بن محمد الريحان رحمهم الله تعالى (ج).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (أ) (ب) (ج) و (د).

الشِّركُ بالله، [الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦] (١)] وذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى في كِتَابِهِ.

❊ ❊ ❊ ❊

[الأُولَى(٢)]

أنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَارَ الذينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بأَنَّ اللهَ تَعَالَى هو الخَالِقُ الرَّازِقُ المُحْيِي المُمُيْتُ المُدَبِرُ جَميعَ الأُمُورِ، ولَمْ يُدْخِلْهُم في الإِسْلَامِ.

و الدليلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) ما بين المعقوفين ليس في (أ) (ب) (ج)، وهي مذكورة في عامة النسخ المطبوعة.

(٢) كذا في المخطوطات بدون ذكر كلمة (القاعدة).

القاعدة الثانية

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، [نُرِيدُ من الله لا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِم والتَّقَرُّبِ إليْهِمْ] (١).

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٢) [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ الله فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ الله، فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ.

وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] (٣).

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) ما بين المعقوفين سقطت من المطبوع، وهي في المخطوطات الثلاث.

(٢) في (أ) (ج) لم يكمل الآية.

(٣) في (ج) ذكر أول آية الكرسي.

القاعدة الثالثة

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمسَ والقَمرَ ومنهُم المَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، ومِنْهُم مَن يعْبُدُ الأصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمسِ وَالقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1] [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلائِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم:١٩-٢٠].

(١) في (أ) و(ج) لم يكمل الآية.

وَحدِيُث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللهُ أَكْبَرُ، إِنهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"(١).

* * * *

القاعدة الرابعة

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، [(٢)] وَاللهُ أَعْلَمُ. [وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(٣)].

****

---

(١) في (أ) و(ج) ذكر الحديث إلى (كما لهم ذات أنواط).

(٢) في (ب) زيادة [فهل هذا الداعي عابد، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾] والأكثرية من المخطوطات والمطبوعات بدونها، فلذلك لم أثبتها.

(٣) هذه زيادة من (أ) و (ج).

[مقدمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ: أَنْ يَتَوَلاَّكَ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ(٢). وأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتَ. وأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

هذه "القواعد الأربع(٣)" التي ألّفها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله.

هي رسالة مستقلّة، ولكنها تُطبع مع "ثلاثة الأصول" من أجل الحاجة إليها لتكون في متناول أيدي طلبة العلم.

والقواعد: جمع قاعدة، والقاعدة هي: الأصل الذي يتفرّع عنه مسائل كثيرة – أو فروعٌ كثيرة.

---

(١) أبتدأ المؤلف – رحمه الله تعالى – كتابه بالبسملة إقتداء بكتاب الله – عز وجل – فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة.

قال الشيخ صالح وفقه الله تعالى في شرح كشف الشبهات (١٧-١٨): ابتدأ الرسالة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذه هي السنة، كما ابتدأ الله تعالى كتابه، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يبدأ كتبه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم). أ.هـ

ومعنى (بسم الله) أستعين بالله، (الرحمن الرحيم) ذو الرحمة الواسعة الواصلة.

(٢) يتولاك: بعونه وتوفيقه.

(٣) وهي ملخصة من كشف الشبهات.

ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الشيخ رحمه الله: معرفة التوحيد ومعرفة الشرك.

[ما هو الضابط في التوحيد؟] أو ما هي القاعدة في التوحيد؟ وما هي القاعدة في الشرك؟ [أو ما هو الضابط في الشرك؟]، لأنّ كثيراً من الناس يتخبطون في هذين الأمرين، يتخبّطون في معنى التوحيد ما هو؟ ويتخبّطون في معنى الشرك، كلٌّ يفسرهما على حسب هواه.

ولكن الواجب: أننا نرجع في تقعيدنا إلى الكتاب والسنّة، ليكون هذا التقعيد تقعيداً صحيحاً سليماً مأخوذاً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا سيّما في هذين الأمرين العظيمين – التوحيد والشرك-.

والشيخ رحمه الله لم يذكر هذه القواعد من عنده أو من فكره كما يفعل كثيرٌ من المتخبّطين، وإنما أخذ هذه القواعد من كتاب الله ومن سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهُل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسُله وأنزل به كتبه، ومعرفة الشرك الذي حذّر الله منه وبيّن خطره وضرره في الدنيا والآخرة.

وهذا أمرٌ مهمّ جداً، وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات وسائر الأمور الدينية، لأن هذا هو الأمر الأوّل والأساس(١)، لأن الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصحّ إذا لم تُبن على أصل العقيدة الصحيحة، وهي التوحيد الخالص لله عزّ وجل.

وقد قدّم رحمه الله لهذه القواعد الأربع بمقدمة عظيمة فيها الدعاء لطلبة العلم، والتنبيه على ما سيقوله، حيث قال: " أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مبارَكاً أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلِي صبر، وإذا أذنب

(١) دل عليه حديث بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن، وقد ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، وذكر من فوائده: كون التوحيد أول واجب وأن يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة. وقال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله تعالى: من قَبِل منك التوحيد سيقبل منك غيره من باب أولى.

استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث هي عنوان السعادة"(١).

هذه مقدمة عظيمة، فيها دعاءٌ من الشيخ رحمه الله لكل طالب علم يتعلم عقيدته يريد بذلك الحق، ويريد بذلك تجنّب الضلال والشرك، فإنه حريٌّ بأن يتولاه الله في الدنيا والآخرة.

وإذا تولّاه الله في الدنيا والآخرة فإنه لا سبيل إلى المكاره أن تصل إليه، لا في دينه ولا في دنياه، قال –تعالى-: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فإذا تولاك الله أخرجك من الظلمات – ظلمات الشرك والكفر والشكوك والإلحاد– إلى نور الإيمان والعلم النافع والعمل

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله تعالى في شرحه (٤-٥): إمام الدعوة رحمه الله كعادته في كثير من رسائله؛ يبتدؤها بدعاء لمن يقرأ تلك الرسالة أو إلى من وُجِّهت إليه، وهذا كما هو معلوم فيه التنبيه على أنَّ مبنى العلم ومبنى الدعوة الرحمة والتراحم بين المعلم والمتعلم، والرحمة والتراحم بين الداعية والمدعو؛ لأن الرحمة في ذلك هي سبب التواصل، قال جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[آل عمران:١٥٩]، يعني فبرحمة من الله لنت لهم، .. فالدعاء هذا ناتج عن الرحمة، وهكذا ينبغي على المعلم، وعلى الداعية، وعلى الآمر بالمعروف، وعلى الناهي عن المنكر أن يكون رحيمًا بالخلق، كما وصف الله جل وعلا نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]. أ.هـ بتصرف يسير.

حاصل ذلك:

أ- التودد والتحبب إلى المدعو أو الطالب من أجل أن يكون أدعى لانتفاعه بالعلم، وقبوله للخير.

ب- أن مبنى العلم والدعوة: التراحم بين المعلم والمتعلم، وبين الداعي والمدعو، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

جـ- الرفق بالمخالف، واستعمال الحكمة معه؛ ليعود إلى الحق، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥] الآية.

الصالح: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] .

فإذا تولاّك الله برعايته وبتوفيقه وهدايته في الدنيا والآخرة؛ فإنّك تسعد سعادة لا شقاء بعدها أبداً، في الدنيا يتولاّك بالهداية والتوفيق والسير على المنهج السليم، وفي الآخرة يتولاّك بأن يُدخلك جنته خالداً مخلّداً فيها لا خوف ولا مرض ولا شقاء ولا كرب ولا مكاره، وهذه ولاية الله لعبده المؤمن في الدنيا والآخرة.

قال: "وأن يجعلك مباركاً أينما كنت(١)" إذا جعلك الله مباركاً أينما كنت فهذا هو غاية المطالب، يجعل الله البركة في عمرك، ويجعل البركة في رزقك، ويجعل البركة في علمك، ويجعل البركة في عملك، ويجعل البركة في ذريتك، أينما كنت تصاحبك البركة، أينما توجّهت، وهذا خيرٌ عظيم، وفضلٌ من الله عز وجل.

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في بدائع الفوائد (٢/ ١٨٥ -١٨٦):

والبركة نوعان:

أحدهما: بركة هي فعله تبارك وتعالى والفعل منها بارك، ... والمفعول منها مبارك وهو ما جعل كذلك فكان مباركًا بجعله تعالى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة والفعل منها تبارك ولهذا لا يقال لغيره ذلك ... فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك ... وحقيقة اللفظة أن البركة كثرة الخير ودوامه... أ.هـ

قال: "وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر[١]" [ممن إذا أُنعم عليه شكر النعمة] خلاف الذي إذا أُعطي كفر النعمة وبطِرها، فإن كثيراً من الناس إذا أُعطوا النعمة كفروها وأنكروها، وصرفوها في غير طاعة الله عز وجل، فصارت سبباً لشقاوتهم، أما من يشكر فإن الله يزيده: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والله –جل وعلا– يزيد الشاكرين من فضله وإحسانه. فإذا أردت المزيد من النعم فاشكر الله عز وجل، وإذا أردت زوال النعم فاكفُرها.

قال: "وإذا ابتُلي صبر" الله جل وعلا يبتلي العباد، يبتليهم بالمصائب، ويبتليهم بالمكاره، يبتليهم بالأعداء من الكفّار والمنافقين؛ فيحتاجون إلى الصبر وعدم اليأس وعدم القنوط من رحمة الله، ويثبتون على دينهم، ولا يتزحزحون مع الفِتن، أو يستسلمون للفتن، بل يثبتون على دينهم، ويصبرون على ما يقاسون من الأتعاب في سبيلها، بخلاف الذي إذا ابتُلي جزع وتسخّط وقنط من رحمة الله –عز وجل– فهذا يُزاد ابتلاء إلى ابتلاء ومصائب إلى مصائب،

(١) معنى الشكر: ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسان عبده، ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة.

– والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره.

فمن عُدِم منها واحدة اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة.

قال تعالى: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤]، هذا بالمقال والعمل. وقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، هذا بالقلب والقول والعمل.

وأعظم النعم على العبد: نعمة الإسلام والتوحيد والسنة، والبراءة مما خالفها، وشكرها واجب على العبد، بل من أجب الواجبات، فلله الحمد والمنة على هذه النعم، ونساله أن يختم لنا بذلك.

وانظر: "الوابل الصيب" (ص ٦)، "المدارج" (٢/ ٥٧٥-٥٧٦ ط: طيبة).

قال: -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فعليه السخط"(١) ، "وأعظم الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل"(٢).

ابتُلي الرسل، وابتُلي الصديقون، وابتُلي الشهداء، وابتُلي عباد الله المؤمنون، لكنهم صبروا، أما المنافق فقد قال الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ يعني طرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

فالدنيا ليست دائماً نعيماً وترفاً وملذات وسروراً ونصراً، ليست دائماً هكذا، الله يداولها بين العباد، الصحابة أفضل الأمة ماذا جرى عليهم من الابتلاء والامتحان؟

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ، فليوطِّن العبد نفسه أنه إذا ابتُلي - فإن هذا ليس خاصّاً به، فهذا سبق لأولياء الله - يوطن نفسه ويصبر وينتظر الفرج من الله سبحانه وتعالى-، والعاقبة للمتقين.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١) عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني وغيره.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨) ابن ماجه (٤٠٢٣) عن سعد رضي الله عنه، ولفظه: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، ...)، وصححه الألباني.

قال: "وإذا أذنب استغفر"(١) أما الذي إذا أذنب لا يستغفر ويزيد من الذنوب فهذا شقي – والعياذ بالله-، لكن العبد المؤمن كلما صدر منه ذنب بادر بالتوبة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] .

والجهالة هنا ليس معناها عدم العلم، لأن الجاهل لا يؤاخذ، لكن الجهالة هنا هي ضد الحلم. فكل من عصى الله فهو جاهل بمعنى ناقص الحلم وناقص العقلية والإنسانية، وقد يكون عالماً لكنه جاهل من ناحية أنه ليس عنده حلم ولا ثبات في الأمور، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ يعني: كلما أذنبوا استغفروا، ما هناك أحد معصوم من الذنوب [إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام]، ولكن الحمد لله أن الله فتح باب التوبة، فعلى العبد إذا أذنب أن يبادر بالتوبة، لكن إذا لم يتب ولم يستغفر فهذه علامة الشقاء.

وقد يقنط من رحمة الله ويأتيه الشيطان ويقول له: ليس لك توبة.

[لا، مهما بلغت الذنوب حتى الشرك إذا تاب العبد منه تاب الله عليه، ولا يؤجل التوبة فقد يموت فلا يجوز تأجيلها، فبادر إلى التوبة].

هذه الأمور الثلاث: إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر هي عنوان السعادة، من وُفِّق لها نال السعادة، ومن حُرم منها – أو من بعضها- فإنه شقي.



(١) استغفر، أي: طلب المغفرة:

بالقلب: بالندم والعزم ألا يعود إلى المعصية. وباللسان: بالاستغفار والدعاء.

وبالجوارح: بالإقلاع عن الذنب، والإقبال على فعل الحسنات الماحية للسيئات.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤].

اِعْلَم أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّيْن، وبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

٢- "اعلم أرشدك الله[١]" هذا دعاء من الشيخ –رحمه الله–، وهكذا ينبغي للمعلم أ، يدعو للمتعلم.

وطاعة الله معناها: امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

"أن الحنيفية ملة إبراهيم" الله –جل وعلا– أمر نبينا باتباع ملة إبراهيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] .

والحنيفية: ملة الحنيف وهو ملة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام–، والحنيف هو: المقبل على الله المعرض عما سواه، هذا هو الحنيف: المقبل على الله بقلبه وأعماله ونياته ومقاصده كلها لله، المعرض عما سواه[٢]، والله أمرنا باتباع ملة إبراهيم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] .

وملة إبراهيم: "أن تعبد الله مخلصاً له الدين[٣]" هذه الحنيفية، ما قال: "أن تعبد الله" فقط، بل قال: "مخلصاً له الدين" يعني: وتجتنب الشرك، لأن العبادة إذا خالطها الشرك بطلت، فلا

---

(١) (أرشدك الله) بين لك طريق الحق ووفقك للعمل به وأعانك عليه.

(٢) راجع الفتاوى (٩ ٣١٩)، وبدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٦٢- ٦٤).

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فَالدِّينُ الْحَنِيفُ هُوَ الْإِقْبَالُ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ. وَهُوَ الْإِخْلَاصُ الَّذِي تَرْجَمَتْهُ كَلِمَةُ الْحَقِّ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللهِ. الفتاوى (٩/ ٣١٩).

تكون عبادة إلا إذا كانت سالمةٌ من الشرك الأكبر والأصغر.

"كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] " جمع حنيف، وهو: المخلص لله عز وجل.

وهذه العبادة أمر الله بها جميع الخلق كما قال – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ، ومعنى يعبدون: يفردوني بالعبادة، فالحكمة من خلق الخلق: أنهم يعبدون الله عز وجل مخلصين له الدين، منهم من امتثل ومنهم من لم يمتثل، لكن الحكمة من خلقهم هي هذه، فالذي يعبد غير الله مخالف للحكمة من خلق الخلق، ومخالف للأمر والشرع[1].

وإبراهيم هو: أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، فكلهم من ذريته، ولهذا قال – جل وعلا – ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٦١] ، فكلهم من بني إسرائيل – حفيد إبراهيم عليه السلام –، إلا محمداً – صلى الله عليه وسلم – فإنه من ذرية إسماعيل، فكل الأنبياء من بعد إبراهيم من أبناء إبراهيم – عليه الصلاة والسلام –، تكريماً له.

وجعله الله إماماً للناس – يعني: قدوة –: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] يعني: قدوة، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] يعني: إماماً يقتدى به. وبذلك أمر الله جميع الخلق كما قال – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فإبراهيم دعا الناس إلى عبادة الله عز وجل كغيره من النبيين، كل الأنبياء دعوا الناس إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] . وأما الشرائع التي هي الأوامر والنواهي والحلال والحرام فهذه

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فالأمة هو القدوة المعلم للخير والقانت المطيع لله الملازم لطاعته... وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم والعمل... بدائع التفسير (٣/ ٦٢- ٦٤).

تختلف باختلاف الأمم حسب الحاجات، يشرع الله شريعة ثم ينسخها بشريعة أخرى إلى أن جاءت شريعة الإسلام فنسخت جميع الشرائع وبقيت هي إلى أن تقوم الساعة، أما أصل دين الأنبياء – وهو التوحيد– فهو لم ينسخ ولن يُنسخ، دينهم واحد وهو دين الإسلام بمعنى: الإخلاص لله بالتوحيد. أما الشرائع فقد تختلف، وتُنسخ، لكن التوحيد والعقيدة هذه واحدة من آدم إلى آخر الأنبياء، كلهم يدعون إلى التوحيد وإلى عبادة الله.

وعبادة الله: طاعته في كل وقت [بما أمر به من الشرائع، فإذا نسخت صار العمل بالناسخ هو العبادة، والعمل بالمنسوخ ليس عبادة الله(١)].



(١) ما بين المعقوفين زيادة من المطبوع.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ: فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إلاَّ مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لا تُسَمَّى صَلاَةً إلاَّ بالطَّهَارَةِ، فإذا دَخَلَ الشِّركُ في العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كالحَدَثِ إذَا دَخَلَ في الطَّهَارَةِ. [كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧].

- "فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته" يعني: إذا عرفت من هذه الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وأنت من الإنس، داخلٌ في هذه الآية، وعرفت أن الله ما خلقك عبثاً، أو خلقك لتأكل وتشرب فقط، تعيش في هذه الدنيا وتسْرح وتمرح، لم يخلقك لهذا، خلقك الله لعبادته، وإنما سخر لك هذه الموجودات من أجل أن تستعين بها على عبادته لأنك لا تستطيع أن تعيش إلا بهذه الأشياء، ولا تتوصل إلى عبادة الله إلا بهذه الأشياء، سخرها الله لك لأجل أن تعبده، ليس من أجل أن تفرح بها وتسرح وتمرح وتفسُق وتفجر تأكل وتشرب ما اشتهيت، هذا شأن البهائم، أما الآدميون فالله جل وعلا خالقهم لغاية عظيمة وحكمة عظيمة وهي العبادة، قال –تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧] ، الله ما خلقك لتكتسب له، أن تحترف وتجمع له مالاً، كما يفعل بنو آدم بعضهم لبعض يجعلون عُمّالاً يجمعون لهم المكاسب، لا، الله غنيّ عن هذا، والله غني عن العالمين، ولهذا قال: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

الله –جل وعلا- يُطعِم ولا يُطعَم، غني عن الطعام، وغني –جل وعلا- بذاته، وليس هو في حاجة إلى عبادته، لو كفرت ما نقصت ملك الله، ولكن أنت الذي بحاجة إليه، أنت الذي بحاجة إلى العبادة، فمن رحمته: أنه أمرك بعبادته من أجل مصلحتك، لأنك إذا عبدته فإنه سبحانه وتعالى يكرمك بالجزاء والثواب، فالعبادة سببٌ لإكرام الله لك في الدنيا والآخرة،

فمن الذي يستفيد من العبادة؟ المستفيد من العبادة هو العابد نفسه، أما الله –جل وعلا– فإنه غنيّ عن خلقه.

قال: "فاعلم: أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمّى صلاة إلا مع الطهارة"(١).

إذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فإن العبادة لا تكون صحيحة يرضاها الله سبحانه وتعالى إلا إذا توفّر فيها شرطان، إذا اختل شرطٌ من الشرطين بطلت:

الشرط الأول: أن تكون خالصة لوجه الله، ليس فيها شرك. فإن خالطها شركٌ بطلت، مثل الطهارة إذا خالطها حدث بطلت، كذلك إذا عبدت الله ثم أشركت به بطلت عبادتك.

هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول –صلى الله عليه وسلم–، فأي عبادة لم يأت بها الرسول فإنها باطلة ومرفوضة، لأنها بدعة وخرافة، ولهذا يقول –صلى الله عليه وسلم من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"(٢)، وفي رواية: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(٣)، فلا بد أن تكون العبادة موافقة لما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم–، لا باستحسانات الناس ونيّاتهم ومقاصدهم ما دام أنها لم يدل عليها دليل من الشرع فهي بدعة ولا تنفع صاحبها بل

---

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله تعالى: وهذا تقريب لهذه المسألة العظيمة، وإلا فإن شرط الإخلاص والتوحيد لقَبول العبادة أعظم من شرط الطهارة لقَبول الصلاة.

(شرح القواعد ص ١٠).

(٢) تفرد بهذا اللفظ مسلم.

(٣) متفق عليه (خ ٢٦٩٧) (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

تضره لأنها معصية، وإن زعم أنه تقرب بها إلى الله –عز وجل–(١).

فلا بد في العبادة من هذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة للرسول –صلى الله عليه وسلم– حتى تكون عبادة صحيحة نافعة لصاحبها، فإن دخلها شرك بطلت، وإذا صارت مبتدَعة ليس عليها دليل فهي باطلة أيضاً، بدون هذين الشرطين لا فائدة من العبادة، لأنها على غير ما شرع الله سبحانه وتعالى، والله لا يقبل إلا ما شرع في كتابه أو على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم–.

فلا هناك أحد من الخلق يجب اتباعه إلا الرسول –صلى الله عليه وسلم–، أما ما عدا الرسول فإنه يتبع ويطاع إذا اتبع الرسول، أما إذا خالف الرسول فلا طاعة، يقول الله –تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولوا الأمر هم: الأمراء والعلماء، فإذا أطاعوا الله وجبت طاعتهم واتباعهم، أما إذا خالفوا أمر الله فإنها لا تجوز طاعتهم ولا اتباعهم فيما خالفوا فيه، لأنه ليس هناك أحدٌ يطاع استقلالاً من الخلق إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وما عداه فإنه يطاع ويُتّبع إذا أطاع الرسول –صلى الله عليه وسلم– واتبع الرسول، هذه هي العبادة الصحيحة.



(١) وهذا قرره شيخ الإسلام وابن القيم في عدة مواضع من كتبهم، وقد نقلناه في شرحنا للقول المفيد الكبير.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّركَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا ، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وصَارَ صَاحِبُهُ مِنْ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ: عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَليّكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وهِيَ: الشِّركُ بالله، [الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:١١٦)] وذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

قوله: " فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار ... " أي: ما دام أنك عرفت التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة، يجب أن تعرف ما هو الشرك، لأن الذي لا يعرف الشيء يقع فيه، فلا بد أنك تعرف أنواع الشرك من أجل أن تتجنبها، لأن الله حذّر من الشرك قال: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [النساء: ٤٨] ، فهذا الشرك الذي هذا خطره، وهو أنه يحرم من الجنة: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] ، ويحرم من المغفرة: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] .

إذاً: هذا خطرٌ عظيم، يجب عليك أن تعرفه قبل أي خطر، لأن الشرك ضلّت فيه أفهام وعقول. فالواجب أن نعرف ما هو الشرك من الكتاب والسنة، الله ما حذر من شيء إلا ويبينه، وما أمر بشيء، إلا ويبينه للناس، فهو لم يحرم الشرك ويتركه مجملاً، بل بينه في القرآن العظيم وبينه الرسول –صلى الله عليه وسلم– في السنة، بياناً شافياً، فإذا أردنا أن نعرف ما هو الشرك نرجع إلى الكتاب والسنة حتى نعرف الشرك، ولا نرجع إلى قول فلان وفلان، وهذا سيأتي.

****

(الأولى) أنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَارَ الذينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بأَنَّ اللهَ تَعَالَى هو الخَالِقُ الرَّازِقُ المُحْيِي المُمُيْتُ المُدَبِرُ جَميعَ الأُمُورِ، ولَمْ يُدْخِلْهُم في الإسْلَامِ.

و الدليلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

قوله: "القاعدة الأولى": أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ومع ذلك إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم.

فدل على أن التوحيد ليس هو الإقرار بالربوبية فقط، وأن الشرك ليس هو الشرك في الربوبية فقط[(١)]، بل ليس هناك أحدٌ أشرك في الربوبية إلا شواذ من الخلق[(٢)]، وإلا فكل الأمم تقر بتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، أو بعبارة أخصر: توحيد الربوبية هو: إفراد الله –تعالى– بأفعاله –سبحانه وتعالى–.

فلا أحد من الخلق ادعى أن هناك أحداً يخلق مع الله –تعالى–، أو يرزق مع الله، أو يحيي، أو يميت، بل المشركون مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ للهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

اقرءوا الآيات من آخر سورة المؤمنون تجدون أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وكذلك في سورة يونس: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

---

(١) كما يزعم الصوفية وأهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة.

(٢) لكن كثير من المشارقة لا يقرون بوجود الله تعالى، كالهنود والصين واليابان وغيرهم

وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾ [يونس:٣١] ، فهم مقرون بهذا.

فليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبية كما يقول ذلك علماء الكلام والنُّظّار في عقائدهم، فإنه يقررون بأن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فيقولون: (واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له) وهذا هو توحيد الربوبية، ارجعوا إلى أي كتاب من كتب علماء الكلام تجدون لا يخرجون عن توحيد الربوبية، وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، والإقرار بهذا وحده لا ينفع صاحبه، لأن هذا أقرّ به المشركون وصناديد الكفرة، ولم يخرجهم من الكفر، ولم يدخلهم في الإسلام، فهذا غلطٌ عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبي جهل وأبي لهب، فالذي عليه الآن بعض المثقّفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط، ولا يتطرقون إلى توحيد الألوهية، وهذا غلط عظيم في مسمّى التوحيد.

وأما الشرك فيقولون: (هو أن تعتقد أن أحداً يخلق مع الله أو يرزق مع الله) ، نقول: هذا ما قاله أبو جهل ولا أبو لهب، ما قالوا: إن أحداً يخلق مع الله، ويرزق مع الله، بل مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت.



القاعدة الثانية

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، [نُرِيدُ من اللهِ لا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِم والتَّقَرُّبِ إلِيْهِمْ] .

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ الله فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ الله، فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ.

وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

القاعدة الثانية: أن المشركين الذين سماهم الله مشركين، وحكم عليهم بالخلود في النار، لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في الألوهية، فهم لا يقولون إن آلهتهم تخلق وترزق مع الله، وأنهم ينفعون أو يضرون أو يدبرون مع الله، وإنما اتخذوهم شفعاء، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ﴾[يونس: ١٨]، ﴿مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ هم معترفون بهذا إنهم لا ينفعون ولا يضرون، وإنما

اتخذوهم شفعاء، يعني: وُسطاء عند الله في قضاء حوائجهم، يذبحون لهم، وينذرون لهم، لا لأنهم يخلقون أو يرزقون أو ينفعون أو يضرون في اعتقادهم، وإنما لأنهم يتوسطون لهم عند الله، ويشفعون عند الله، هذه عقيدة المشركين.

وأنت لمّا تناقش الآن قبورياً من القبوريين يقول هذه المقالة سواءً بسواء، يقول: أنا أدري أن هذا الولي أو هذا الرجل الصالح لا يضر ولا ينفع، ولكن هو رجلٌ صالحٌ وأريد منه الشفاعة لي عند الله(١).

والشفاعة فيها حق وفيها باطل، الشفاعة، التي هي حق وصحيحة هي ما توفر فيها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، أي: من عصاة الموحدين.

إن اختل شرط من الشرطين فالشفاعة باطلة، قال –تعالى-: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهم عصاة الموحدين، أما الكفار والمشركون فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] فهؤلاء سمعوا بالشفاعة ولا عرفوا معناها، وراحوا يطلبونها من هؤلاء بدون إذن الله –عز وجل-، بل طلبوها لمن هو مشركٌ بالله لا تنفعه شفاعة الشافعين، فهؤلاء يجهلون معنى الشفاعة الحقة والشفاعة الباطلة.

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: ولقد جرى نقاش طويل بعد بضع سنين من تأليف الكتاب بيني وبين أحد الخطباء يوم الجمعة في بيته حول الاستغاثة بغير الله فصرح الشيخ بجوازها بحجة أن المستغيث يعلم أن الميت لا يضر ولا ينفع. فقلت له: لو كان الأمر كذلك فلماذا يناديه؟ قال: واسطه. قلت: الله أكبر! قلتم كما قال غيركم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾.

تحذير الساجد (ص ١٠٨)

- الشفاعة لها شروط ولها قيود، ليس مطلقة.

فالشفاعة شفاعتان: شفاعة نفاها الله –جل وعلا–، وهي الشفاعة بغير إذنه –سبحانه وتعالى–، فلا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه، وأفضل الخلق وخاتم النبيين محمد –صلى الله عليه وسلم– إذا أراد أن يشفع لأهل الموقف يوم القيامة يخرّ ساجداً بين يدي ربه ويدعوه ويحمده ويُثني عليه، ولا يزال ساجداً حتى يُقال له: "ارفع رأسك، وقل تُسمع، واشفع تشفّع"[1]، فلا يشفع إلا بعد الإذن.

والشفاعة المثبتة هي التي تكون لأهل التوحيد، فالمشرك لا تنفعه شفاعة، والذي يقدّم القرابين للقبور والنذور للقبور هذا مشرك لا تنفعه شفاعة.

وخلاصة القول: أن الشفاعة المنفية هي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك.

والشفاعة المثبتة هي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد.



(١) رواه البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

القاعدة الثالثة

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمسَ والقمرَ ومنهُم الْملائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، ومِنْهُم مَن يعْبُدُ الأصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت:٣٧].

- القاعدة الثالثة: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بُعث إلى أناس من المشركين، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد الأصنام والأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين(١).

---

(١) المسلم لا يستحق مغفرة الله تعالى إلا إذا لقى الله عز وجل و لم يشرك به شيئًا، ذلك لأن الشرك أكبر الكبائر كما هو معروف في الأحاديث الصحيحة. و من هنا يظهر لنا ضلال أولئك الذين يعيشون معنا و يصلون صلاتنا و يصومون صيامنا ، و ... و لكنهم يواقعون أنواعا من الشركيات والوثنيات كالاستغاثة بالموتى من الأولياء و الصالحين و دعائهم في الشدائد من دون الله و الذبح لهم و النذر لهم و يظنون أنهم بذلك يقربونهم إلى الله زلفى، هيهات هيهات . ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ فعلى كل من كان مبتلى بشيء من ذلك من إخواننا المسلمين أن يبادروا فيتوبوا إلى رب العالمين و لا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم النافع المستقى من الكتاب و السنة.

وهذا من قبح الشرك أن أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحّدين فإن معبودهم واحد –سبحانه وتعالى-: ﴿ءأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف: ٣٩].

فمن سلبيّات الشرك وأباطيله: أن أهله متفرقون في عباداتهم لا يجمعهم ضابط لأنهم لا يسيرون على أصل، وإنما يسيرون على أهوائهم ودعايات المضللين، فتكثر تفرقاتهم: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] ، فالذي يعبد الله وحده مثل المملوك الذي يملكه شخص واحد يرتاح معه، يعرف مقاصده ويعرف مطالبه ويرتاح معه، لكن المشرك مثل الذي له عدة مالكين، ما يدري من يُرضي منهم، كل واحد له هوى، وكل واحد له طلب، وكل واحد له رغبة، كل واحد يريده أن يأتي عنده، ولهذا قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ﴾ يعني: يملكه أشخاص، لا يدري من يرضي منهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ مالكه شخص واحد، هذا يرتاح معه، هذا مثل ضرب الله للمشرك وللموحد.

فالمشركون متفرقون في عباداتهم، والنبي –صلى الله عليه وسلم- قاتلهم ولم يفرّق بينهم، قاتل الوثنيين، وقاتل اليهود والنصارى، قاتل المجوس، قاتل جميع المشركين، وقاتل الذين يعبدون الملائكة، والذين يعبدون الأولياء الصالحين، لم يفرّق بينهم.

فهذا فيه ردّ على الذين يقولون: الذي يعبد الصنم ليس مثل الذي يعبد رجلاً صالحاً وملكاً من الملائكة، لأن هؤلاء يعبدون أحجاراً وأشجاراً، ويعبدون جمادات، أما الذي يعبد رجلاً صالحاً

و هو مبثوث في كتب علمائنا رحمهم الله تعالى ، و بخاصة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن قيم الجوزية و من نحا نحوهم و سار سبيلهم . و لا يصدنهم عن ذلك بعض من يوحي إليهم من الموسوسين بأن هذه الشركيات إنما هي قربات و توسلات. الصحيحة (٣/ ٣٠١- ٣٠٢).

ووليّاً من أولياء الله ليس مثل الذي يعبد الأصنام.

ويريدون بذلك أن الذي يعبد القبور الآن يختلف حكمه عن الذي يعبد الأصنام، فلا يكفر، ولا يُعتبر عمله هذا شركاً، ولا يجوز قتاله.

فنقول: الرسول لم يفرّق بينهم، بل اعتبرهم مشركين كلهم(١)، واستحل دماءهم وأموالهم، ولم يفرق بينهم، والذين يعبدون المسيح، والمسيح رسول الله، ومع هذا قاتلهم. واليهود يعبدون عزيراً، هو من أنبيائهم، أو من صالحيهم، قاتلهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، لم يفرّق بينهم، فالشرك لا تفريق فيه بين من يعبد رجلاً صالحاً أو يعبد صنماً أو حجراً أو شجراً، لأن الشرك هو: عبادة غير الله كائناً من كان، ولهذا يقول: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ، ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق النهي تعم كل شيء، تعم كل من أشرك مع الله –عز وجل– من الملائكة والرسل والصالحين والأولياء، والأحجار والأشجار.

– قوله: "والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ " أي: الدليل على قتال المشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداتهم؛ قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ ، وهذا عامّ لكل المشركين، لم يستثن أحداً، ثم قال: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ والفتنة: الشرك، أي: لا يوجد شرك، وهذا عامّ؛ أي شرك، سواء الشرك في الأولياء والصالحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو بالشمس أو بالقمر.

(١) قال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله تعالى: وهذه قاعدة يقينية من أنه لا فرق بين هذا وهذا؛ لأن المدار على عبودية القلب، إذا قام في القلب التنزيه والإفراد بالله جل وعلا، فسواء أكان المشرك به صالحا أو طالحا، كان نبيا أم لم يكن نبيا، كان شجرًا أو كان ملكًا، الأمر واحد؛ لأن القلب يجب أن تكون عبوديته لله وحده، وأن يكون دينه لله وحده ﴿أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ : تكون العبادة كلها لله، ليس فيها شِركة لأحد كائناً من كان، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين أو بالأحجار أو بالأشجار أو بالشياطين، أو غيرهم.

- دل على أن هناك من يسجد للشمس والقمر، ولهذا نهى الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها[١] سداً للذريعة، لأن هناك من يسجد للشمس عند طلوعها ويسجد لها عند غروبها، فنهينا أن نصلي في هذين الوقتين وإن كانت الصلاة لله، لكن لما كان في الصلاة في هذا الوقت مشابهة لفعل المشركين مُنع من ذلك سداً للذريعة التي تُفضي إلى الشرك، والرسول –صلى الله عليه وسلم– جاء بالنهي عن الشرك وسد ذرائعه المفضية إليه[٢].



(١) متفق عليه (خ ٥٨٥) (م ٨٢٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) وسد الذرائع المفضية إلى الشرك واجب.

- ودليل الملائكة قوله –تعالى-: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠] .

- ودليل الأنبياء قوله –تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦] .

قوله: "ودليل الملائكة ... إلخ" دل على أن هناك من عبد الملائكة والنبيين، وأن ذلك شرك.

وعباد القبور اليوم يقولون: الذي يعبد الملائكة والنبيين والصالحين ليس بكافر.

- وقوله: "ودليل الأنبياء ... إلخ" هذا فيه دليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام.

ففيه ردّ على من فرّق في ذلك من عباد القبور.

فهذا فيه رد على هؤلاء الذين يقولون: إن الشرك عبادة الأصنام، ولا يسوّى عندهم بين من عبد الأصنام وبين من عبد ولياً أو رجلاً صالحاً، وينكرون التسوية بين هؤلاء، ويزعمون أن الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط.

وهذا من المغالطة الواضحة من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن الله –جل وعلا- في القرآن أنكر على الجميع، وأمر بقتال الجميع.

الناحية الثانية: أن النبي –صلى الله عليه وسلم- لم يفرّق بين عابدِ صنمٍ وعابد ملك أو رجل صالح.



ودليل الصالحين قوله –تعالى-: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧].

- "ودليل الصالحين" يعني: ودليل أن هناك من عبد الصالحين من البشر: قوله –تعالى-: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

قيل: نزلت هذه الآية فيمن يعبد المسيح وأمّه وعزيراً[(١)] فأخبر –سبحانه- أن المسيح وأمه مريم، وعزيراً كلهم عِبادٌ لله، يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عِبادٌ محتاجون إلى الله مفتقرون إليه يدعونه ويتوسلون إليه بالطاعة: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، يعني: القرب منه –سبحانه- بطاعته وعبادته، فدل على أنهم لا يصلحون للعبادة لأنهم بشرٌ محتاجون فقراء، يدعون الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ومن كان كذلك لا يصلح أن يُعبد مع الله –عز وجل.

والقول الثاني: أنها نزلت في أناس من المشركين كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجن ولم يعلم هؤلاء بإسلامهم[(٢)]، وصاروا يتقربون إلى الله بالطاعة والضراعة ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عِباد محتاجون فقراء لا يصلحون للعبادة.

وأياً كان المراد بالآية الكريمة فإنها تدل على أنه لا يجوز عبادة الصالحين، سواءٌ كانوا من الأنبياء والصدّيقين، أو من الأولياء والصالحين، فلا تجوز عبادتهم، لأن الكل عباد لله فقراء إليه، فكيف يُعبدون مع الله –جل وعلا-.

والوسيلة معناها: الطاعة والقرب، فهي في اللغة: الشيء الذي يوصّل إلى المقصود، فالذي يوصّل إلى رضى الله وجنته هو الوسيلة إلى الله، هذه هي الوسيلة المشروعة في قوله تعالى:

(١) ذكر هذا ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد من قولهما.

(٢) رواه مسلم (٣٠٣٠) عن ابن مسعود رضي الله عنهم، وأصل الحديث في الصحيحين.

﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ .

أما المُحرِّفون المخرفون فيقولون: الوسيلة: أن تجعل بينك وبين الله واسطة من الأولياء والصالحين والأموات، تجعلهم واسطة بينك وبين الله ليقربوك إلى الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ، فمعنى الوسيلة عند هؤلاء المحرفين: أن تجعل بينك وبين الله واسطة تُعرّف الله بك وتنقل له حاجاتك وتخبره عنك، كأن الله –جل وعلا– لا يعلم، أو كأن الله –جل وعلا– بخيلاً لا يعطي إلا بعد أن يلح عليه بالوسائط –تعالى الله عما يقولون– ولهذا يُشّبِّهون(١) على الناس، ويقولن: الله جل وعلا يقول: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ﴾ فدل على أن اتخاذ الوسائط من الخلق إلى الله أمرٌ مشروع لأن الله أثنى على أهله، وفي الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ﴾ [المائدة: ٣٥] ، قالوا: إن الله أمرنا أن نتخذ الوسيلة إليه، والوسيلة معناها: الواسطة.

هكذا يحرّفون الكلم عن مواضعه.

والوسيلة المشروعة في القرآن وفي السنة هي: الطاعة التي تقرّب إلى الله، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته. هذه هي الوسيلة المشروعة، أما التوسل بالمخلوقين إلى الله فهو وسيلة ممنوعة، ووسيلة شركيّة، وهي التي اتخذها المشركون من قبل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨] ، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ، هذه هو شرك الأولين والآخرين سواء بسواء، وإن سموه وسيلة فهو الشرك بعينه، وليس هو الوسيلة التي شرعها الله سبحانه وتعالى، لأن الله لم يجعل الشرك وسيلة إليه أبداً، وإنما الشرك مبْعِد عن الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]

---

(١) أي: يقذفون عليهم بالشبه والتلبيس.

فكيف يُجعل الشرك وسيلة إلى الله –تعالى الله عما يقولون–.

الشاهد من الآية: أن فيها دليلاً على أن هناك من المشركين من يعبد الصالحين، لأن الله بيّن ذلك، وبين أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم عِبادٌ فقراء ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يعني: يتقربون إليه بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يتسابقون إلى الله –جل وعلا– بالعبادة لفقرهم إلى الله وحاجتهم ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ومن كان كذلك فإنه لا يصلح أن يكون إلهاً يُدعى مع الله –عز وجل–.



- ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم:١٩-٢٠] .

- "ودليل الأحجار والأشجار ... إلخ" في هذه الآية دليل أن هناك من يعبد الأحجار والأشجار من المشركين.

فقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ هذا استفهام إنكار، أي: أخبروني، من باب استفهام الإنكار والتوبيخ.

﴿اللَّاتَ﴾ -بتخفيف التاء-: اسم صنم في الطائف، وهو عبارة عن صخرة منقوشة، عليها بيت مبنيّ، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة، وحوله ساحة، وعنده سدَنة، كانوا يعبدونها من دون الله – عز وجل، وهي لثقيف وما والاهم من القبائل، يفاخرون بها.

وقُرِئ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَّ﴾ -بتشديد التاء- اسم فاعل من (لتَّ يَلُتُّ) ، وهو: رجل صالح كان يلتّ السويق ويُطعمه للحجاج، فلما مات بنوا على قبره بيتاً، وأرخو عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون الله عز وجل، هذا هو اللات(١).

﴿وَالْعُزَّى﴾ : شجرات من السَّلم في وادي نخلة بين مكّة والطائف، حولها بناء وستائر، وعندها سدَنة، فيها شياطين يكلّمون الناس، ويظن الجُهّال أن الذي يكلمهم هو نفس هذه الشجرات أو هذا البيت الذي بنوه مع أن الذي تكلِّمهم هي الشياطين لتضلهم عن سبيل الله، وكان هذا الصنم لقريش وأهل مكة ومن حولهم.

﴿وَمَنَاةَ﴾ : في مكان يقع قريباً من جبل قُديد، بين مكة والمدينة، وكانت لخُزاعة والأوس والخزرج، وكانوا يُحرِمون من عندها بالحج، ويعبدونها من دون الله فهذه الأصنام الثلاث هي أكبر أصنام العرب.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ﴾ هل أغنتكم شيئاً؟ هل نفعتكم؟ هل

(١) هذا في البخاري (٤٨٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

نصرتكم؟، هل كانت تخلق وترزق وتحيي وتميت؟، ماذا وجدتم فيها؟، هذا من باب الإنكار وتنبيه العقول إلى أن ترجع إلى رشدها، فهذه إنما هي صخرات وشجرات ليس فيها نفع ولا ضر، مخلوقة.

ولما جاء الله بالإسلام وفتح رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مكة المشرفة أرسل المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب إلى (اللات) في الطائف فهدماها بأمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأرسل خالد بن الوليد إلى العُزّى فهدمها وقطع الأشجار وقتل الجنيّة التي كانت فيها تخاطِب الناس وتضلهم ومحاها عن آخرها –والحمد لله–، وأرسل عليّ بن أبي طالبٍ إلى (مناة) فهدمها ومحاها[(١)]، وما أنقذت نفسها، فكيف تُنقذ أهلها وعبّادها ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ أين ذهبت؟ هل نفعتكم؟، هل منعت نفسها من جنود الله وجيوش الموحِّدين؟

فهذا فيه دليل على أن هناك من يعبد الأشجار والأحجار، بل إن هذه الأصنام الثلاثة كانت هي أكبر أصنامهم ومع هذا محاها الله من الوجود، وما دفعت عن نفسها ولا نفعت أهلها فقد غزاهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقاتلهم ولم تمنعهم أصنامهم، فهذا فيه ما استدلّ له الشيخ –رحمه الله– أن هناك من يعبد الأحجار والأشجار.

يا سبحان الله! بشر عقلاء يعبدون الأشجار والأحجار الجامدة التي فيها عقول وليس فيها حركة ولا حياة، أين عقول البشر؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

****

---

(١) أما بعث خالد ففي السنن الكبرى للنسائي في كتاب التفسير (١١٤٨٣) وصححه الوادعي.

وهدم (اللات) فهدمها المغيرة بن شعبة، كما عند البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٤٨).

وهدم (مناة) فذكر ابن كثير في سيرته أن الذي هدمها سعيد بن زيد الأشهلي. وقيل: غيره.

وَحَدِيُث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللهُ أَكْبَرُ، إنهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" الحديث[١].

حديث عن أبي واقد الليثي –رضي الله عنه–، وكان ممن أسلم عام الفتح على المشهور سنة ثمان من الهجرة. وقوله: يقال لها: (ذات أنواط)، والأنواط جمع نوط وهو: التعليق، أي: ذات تعاليق، يعلّقون بها أسلحتهم للتبرك بها، فقال بعض الصحابة الذين أسلموا قريباً ولم يعرفوا التوحيد تماماً:

"اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"، وهذه بليّة التقليد والتشبه؛ وهي من أعظم البلايا، فعند ذلك تعجّب النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال: "الله أكبر!، الله أكبر!، الله أكبر! "، وكان –صلى الله عليه وسلم– إذا أعجبه شيء أو استنكر شيئاً فإنه يكبر أو يقول: "سبحان الله" ويكرر ذلك.

"إنها السنن" أي: الطرق التي يسلكها الناس ويقتدي بعضهم ببعض، فالسبب الذي حملكم على هذا هو اتباع سنن الأولين والتشبه بالمشركين.

"قلتم –والذي نفسي بيده– كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ". موسى –عليه السلام– لما تجاوز البحر ببني إسرائيل وأغرق الله عدوهم فيه وهم ينظرون، مروا على أناس يعكفون على أصنام لهم من

---

(١) رواه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٥/ ٢١٨) وغيرهما، وصححه الألباني والوادعي.

المشركين، فقال هؤلاء لموسى -عليه السلام-: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أنكر عليهم وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ يعني: باطل: ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لأنه شرك، ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠]، أنكر عليهم -عليه الصلاة والسلام- كما أن نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- أنكر على هؤلاء، ولكن هؤلاء وهؤلاء لم يشركوا، فبنوا إسرائيل لما قالوا هذه المقالة لم يُشركوا لأنهم لم يفعلوا، وكذلك هؤلاء الصحابة لو اتخذوا ذات أنواط لأشركوا ولكن الله حماهم، لما نهاهم نبيهم انتهوا، وقالوا هذه المقالة عن جهل، ما قالوها عن تعَمُّد، فلما علموا أنها شرك انتهوا ولم ينفذوا، ولو نفّذوا لأشركوا بالله عز وجل.

فالشاهد من الآية: أن هناك من يعبد الأشجار، لأن هؤلاء المشركين اتخذوا ذات أنواط، وحاول هؤلاء الصحابة الذين لم يتمكن العلم في قلوبهم حاولوا أن يتشبهوا بهم لولا أن الله حماهم برسوله -صلى الله عليه وسلم-.

الشاهد: أن هناك من يتبرك بالأشجار ويعكُف عندها، والعكوف معناه: البقاء عندها مدة تقرباً إليها. فالعكوف هو: البقاء في المكان.

فدل هذا على مسائل عظيمة:

المسألة الأولى: خطر الجهل بالتوحيد، فإن من كان يجهل التوحيد حريّ أن يقع في الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يجب تعلُّم التوحيد، وتعلم ما يضاده من الشرك حتى يكون الإنسان على بصيرة لئلا يؤتى من جهله، لا سيما إذا رأى من يفعل ذلك فحسبه حقاً بسبب جهله، ففيه: خطر الجهل، لا سيّما في أمور العقيدة.

ثانياً: في الحديث خطر التشبه بالمشركين، وأنه قد يؤدّي إلى الشرك، قال -صلى الله عليه

وسلم-: "من تشبه بقومٍ فهو منهم"[١]، فلا يجوز التشبه بالمشركين.

المسألة الثالثة: أن التبرك بالأحجار والأشجار والأبنية شرك وإن سُمي بغير اسمه، لأنه طلب البركة من غير الله من الأحجار والأشجار والقبور والأضرحة، وهذا شرك وإن سموه بغير اسم الشرك.

****

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) وأحمد (٢/ ٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني.

القاعدة الرابعة

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت:٦٥]، وَاللهُ أَعْلَمُ. [وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ].

- القاعدة الربعة –وهي الأخيرة-: أن مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين الذي بعث إليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

والسبب في ذلك واضح: أن الله –جل وعلا- أخبر أن المشركين الأولين يخلصون لله إذا اشتد بهم الأمر، فلا يدعون غير الله عز وجل لعلمهم أنه لا ينقذ من الشدائد إلا الله كما قال – تعالى-: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] يعني: مخلصين له الدعاء، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فالأولون يشركون في الرخاء، يدعون الأصنام والأحجار والأشجار. أما إذا وقعوا في شدة وأشرفوا على الهلاك فإنهم لا يدعون صنماً ولا شجراً ولا حجراً ولا أي مخلوق، وإنما يدعون الله وحده –سبحانه وتعالى-، فإذا كان لا يُخلِّص من الشدائد إلا الله – جل وعلا- فكيف يُدعى غيرُه في الرخاء.

أما مشركو هذا الزمان يعني: المتأخرين الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمة المحمدية فإن شركهم دائم في الرخاء والشدة، لا يُخلصون لله ولا في حالة الشدة، بل كلما اشتد بهم الأمر اشتد شركهم ونداؤهم للحسن والحسين وعبد القادر والرِّفاعي وغير ذلك، هذا شيء

معروف، ويذكر عنهم العجائب في البحار، أنهم إذا اشتد بهم الأمر صاروا يهتفون بأسماء الأولياء والصالحين ويستغيثون بهم من دون الله عز وجل، لأن دعاة الباطل والضلال يقولون لهم: نحن ننقذكم من البحار، فإذا أصابكم شيء اهتفوا بأسمائنا ونحن ننقذكم. كما يُروى هذا عن مشايخ الطرق الصوفية، واقرءوا –وإن شئتم– "طبقات الشعراني"(١) ففيها ما تقشعرّ منه الجلود مما يسميه كرامات الأولياء، وأنهم يُنقِذون من البحار، وأنه يمد يده إلى البحر ويحمل المركب كله ويخرجه إلى البر ولا تتندَّ أكمامه، إلى غير ذلك من تُرَّهاتهم وخرافاتهم، فشركهم دائم في الرخاء والشدة، فهم أغلظ من المشركين الأولين.

وأيضاً –كما قال الشيخ في "كشف الشبهات"(٢): من وجه آخر: (أن الأولين يعبدون أناساً صالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أناساً من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك، فالذين يسمونهم الأقطاب والأغواث لا يصلون، ولا يصومون ولا يتنزهون عن الزنا واللواط والفاحشة، لأنهم بزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنما هذا للعوام فقط.

وهم يعترفون أن سادتهم لا يصلون ولا يصومون، وأنهم لا يتورّعون عن فاحشة، ومع هذا يعبدونهم، بل يعبدون أناسًا من أفجر الناس، كالحلاج وابن عربي، والرفاعي، والبدوي، وغيرهم(٣).

(١) وهو من كبار خرافي الصوفية وغلاتهم.

(٢) كشف الشبهات (ص ٥٤ –٥٥) بتحقيقنا.

(٣) البدوي من خلال ترجمته يظهر أنه كان مختلًّا عقليًّا، لكن الصوفية نسجت حوله الخرافات، والله أعلم.

- ساق الشيخ الدليل على أن المشركين المتأخرين أعظم وأغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يخلصون في الشدة ويشركون في الرخاء، فاستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥] .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

****

التعليق على

منظومة منهج الحق

في العقيدة والأخلاق

للسعدي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الكريم، أما بعد:

فدرسنا في (**منظومة منهج الحق في العقيدة والأخلاق**) [وهي منظومة تشتمل على أقسام التَّوحيد: توحيد الإلهية، وتوحيد الرُّبوبية، وتوحيد الأسماء والصِّفات، وعلى أمَّهات عقائد أهل السُّنَّة والجماعة التي اتَّفقوا عليها، وفضل ذكره تعالى، وعلى التَّفكُّر في مخلوقات الله تعالى، وآياته الدَّالة عليه، وعلى أسمائه وصفاته، ومشتملة على التَّخلُّق بالأخلاق الجميلة، والتنزُّه من الأخلاق الرَّذيلة، إذ هذه الأمور أصول العلوم وأمَّهاتها].

وناظمُها هو: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، ولد في عام (١٣٠٧) للهجرة، وتوفي عام (١٣٧٦)، وعاش يتيمًا ولكن نفع الله سبحانه وتعالى به نفعًا عظيمًا، وتتلمذ على يديه عدد ممن أصبحوا من العلماء الكبار، كالشيخ الفقيه ابن عثيمين، والشيخ عبد الله البسام، والشيخ ابن جبرين، وهناك علماء كثير أخذوا عنه في ذلك العصر، وقد نظم العلامة السعدي رحمه الله تعالى عددًا من المنظومات الجميلة، ومنها منظومة في القواعد الفقهية، وأخرى في الرقائق، وهي (منظومة السير إلى الله تعالى)، وله قصيده في ٤١ بيتًا يشرح فيها رغبته في طلب العلم، وهذه القصيدة التي بين أيدينا في ٦٥ بيتًا، وقد شرحها العلماء بشروحات كثيرة، ونحن في هذا الشرح[١] سنجعله على شكل فوائد حتى يكون شيئًا جديدًا على هذه المنظومة.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

١٤٤٧ هـ

---

(١) وهو مجلس علمي بعدن بالتواهي عام (١٤٤٦ هـ) تم تفريغه وإصلاحه ونشره.

نص المنظومة

١ – فَيَا سَائِلًا عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ يَبْتَغِي ... سُلُوكَ طَرِيقِ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ

٢ – تأَمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مَا قَدْ نَظَمْتُهُ ... تَأَمُّلَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ

٣ – نُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... إِلَهٌ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمَجَّدُ

٤ – وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَا الَّذِي ... نُخَصِّصُهُ بِالحُبِّ ذُلًّا وَنُفْرِدُ

٥ – فلِلَّهِ كُلُّ الحَمْدِ وَالمَجْدِ وَالثَّنَا ... فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلٌّ إِلَى اللهِ يَقْصُدُ

٦ – تُسبِّحهُ الْأَمْلَاكُ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَا ... وَكُلُّ جَمِيعِ الخَلْقِ حَقًّا وَتَحْمَدُ

٧ – تَنَزَّهَ عَنْ نِدٍّ وَكُفْءٍ مُمَاثِلٍ ... وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ المُوَحَّدُ

٨ – وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا ... وَنَبْرَأُ مِنْ تَاوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ

٩ – فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ ... فسَلِّمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ

١٠ – هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظْمِ صِفَاتِهِ ... وَكُلُّ جَمِيعِ الخَلْقِ للهِ يَصْمُدُ

١١ – عَلِيٌّ عَلَا ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرُهُ ... قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالوَرَى مُتَوَدِّدُ

١٢ – هُوَ الحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الجُودِ وَالْغِنَى ... وَكُلُّ صِفَاتِ الحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ

١٣ – أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً ... وَبِرًّا وَإِحْسَانًا فَإِيَّاهُ نَعْبُدُ

١٤ – وَيُبْصِرُ ذَرَّاتِ الْعَوَالِمِ كُلَّهَا ... وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ

١٥ – لَهُ المُلْكُ وَالحَمْدُ المُحِيطُ بِمُلْكِهِ ... وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَى بِهَا الخَلْقُ تَشْهَدُ

١٦ – وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى ... كَمَا قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالحَقِّ أَحْمَدُ

١٧ – وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسْلَهُ ... بِآيَاتِهِ لِلْخَلْقِ تَهْدِي وَتُرْشِدُ

١٨ – وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسْلِ وَالخَلْقِ كُلِّهِمْ ... بِحِكْمَتِهِ جَلَّ العَظِيمُ المُوَحَّدُ

١٩ – فَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَا ... نَبِيُّ الهُدَى وَالعَالَمِينَ مُحَمَّدُ

٢٠ – وَخَصَّ لَهُ الرَّحمنُ أَصْحَابَهُ الأُلَى ... أَقَامُوا الهُدَى وَالدِّينَ حَقًّا وَمَهَّدُوا

٢١ – فَحُبُّ جَمِيعِ الآلِ وَالصَّحْبِ عِنْدَنَا ... مَعَاشِرَ أَهْلِ الحَقِّ فَرْضٌ مُؤَكَّدُ

٢٢ – وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كَلَامَهُ ... هُوَ اللَّفْظُ وَالمَعْنَى جَمِيعًا مُجَوَّدُ

٢٣ – وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَأَنَّى لِخَلْقِهِ ... بِقَوْلٍ كَقَوْلِ اللهِ إِذْ هُوَ أَمْجَدُ

٢٤ – وَنَشْهَدُ أَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ ... بِتَقْدِيرِهِ وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَيَجْهَدُ

٢٥ – وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ ... مِنَ الخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقَيِّدُ

٢٦ – وَيَزْدَادُ بِالطَّاعَاتِ مَعْ تَرْكِ مَا نَهَى ... وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ جَزْمًا وَيَفْسُدُ

٢٧ – نُقِرُّ بِأَحْوَالِ القِيَامَةِ كُلِّهَا ... وَمَا اشْتَمَلَتْهُ الدَّارُ حَقًّا وَنَشْهَدُ

٢٨ – تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ وَمَا حَوَتْ ... مَمَالِكُهُ العُظْمَى لَعَلَّكَ تَرْشُدُ

٢٩ – أَلَمْ تَرَ هَذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا ... فَأَعْقَبَهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ

٣٠ – تَأَمَّلْ بِأَرْجَاءِ السَّمَاءِ جَمِيعِهَا ... كَوَاكِبُهَا وَقَّادَةٌ تَتَرَدَّدُ

٣١ – أَلَيْسَ لِهَذَا مُحدِثٌ مُتَصَرِّفٌ ... حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَاحِدٌ مُتَفَرِّدُ

٣٢ – بَلَى وَالَّذِي بِالحَقِّ أَتْقَنَ صُنْعَهَا ... وَأَوْدَعَهَا الأَسْرَارَ لله تَشْهَدُ

٣٣ – وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ مُوقِنًا ... وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ

٣٤ – وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَائِبٌ ... بِهَا يُعْرَفُ اللهُ العَظِيمُ وَيُعْبَدُ

٣٥ – لَقَدْ قَامَتِ الْآيَاتُ تَشْهَدُ أَنَّهُ ... إِلَهٌ عَظِيمٌ فَضْلُهُ لَيْسَ يَنْفَدُ

٣٦ – فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الْإِلَهِ أَجَابَهُ ... وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّى وَأَدْبَرَ مُسْعِدُ

٣٧ – عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ ... وَتَجْتَنِبُ المَنْهِيَّ عَنْهُ وَتُبْعِدُ

٣٨ – وَكُنْ مُخْلِصًا لله وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا ... وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ

٣٩ – تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحمنِ حَقًّا وَثِقْ بِهِ ... لِيَكْفِيكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ

٤٠ – تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ ... وَصَابِرْ عَلَى الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ

٤١ - وَكُنْ سَائِرًا بَيْنَ المَخَافَةِ وَالرَّجَا ... هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ حِينَ تَقْصِدُ
٤٢ - وَقَلْبَكَ طَهِّرْهُ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ ... وَكُنْ أَبَدًا عَنْ عَيْبِهِ تَتَفَقَّدُ
٤٣ - وَجَمِّلْ بِنُصْحِ الخَلْقِ قَلْبَكَ إِنَّهُ ... لَأَعْلَى جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأَجْوَدُ
٤٤ - وَصَاحِبْ إِذَا صَاحَبْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ ... يَقُودُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ
٤٥ - وَإِيَّاكَ وَالمَرْءَ الَّذِي إِنْ صَحِبْتَهُ ... خَسِرْتَ خَسَارًا لَيْسَ فِيهِ تَرَدُّدُ
٤٦ - خُذِ العَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ ... كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ
٤٧ - تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إِقَامَةً ... وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ
٤٨ - وَكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا ... إِلَى المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ
٤٩ - وَكُنْ ذَاكِرًا للهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللهِ وَقْتٌ مُقَيَّدُ
٥٠ - فَذِكْرُ إِلهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا ... يُزِيلُ الشَّقَا وَالهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
٥١ - وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجِلًا ... وَإِنْ يَاتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشَرِّدُ
٥٢ - فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ ... بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ
٥٣ - وَوَصَّى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلـهَهُ ... عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالحُسْنِ يَعْبُدُ
٥٤ - وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ ... وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
٥٥ - بِأَنْ لَا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هذِهِ ... تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ
٥٦ - وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرْسٌ لِأَهْلِهِ ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ وَالمَسَاكِنُ تُمْهَدُ
٥٧ - وَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ ... وَمَعْهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ
٥٨ - وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ ... وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخَلَّدُوا
٥٩ - وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ ... طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ
٦٠ - وَيَنْهَى الفَتَى عَنْ غِيبَةٍ وَنَمِيمَةٍ ... وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ
٦١ - لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ ... بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ نِعْمَ المُوَحَّدُ

٦٢ - وَلَكِنَّنَا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا ... كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ

٦٣ - وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفَوْزَ دَائِمًا ... فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ

٦٤ - وَصَلِّ إِلَهِي مَعْ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ ... عَلَى خَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرْشِدُ

٦٥ - وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا ... صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يَدُومُ وَيَخْلُدُ

تمَّت، غفر الله لكاتبها وناظمها وقارئها ومن قال: آمين، وجميع المسلمين.

وصلَّى اللهُ على محمدٍ ١٣٤٥ هـ.



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى:

١ - فَيَا سَائِلًا عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ يَبْتَغِي ... سُلُوكَ طَرِيقِ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ
٢ - تَأَمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مَا قَدْ نَظَمْتُهُ ... تَأَمُّلَ مَنْ قَدْ كَـــانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ

التعليق:

البيت الأول: وفيه خمس فوائد:

١ - **الفائدة الأولى**: الحث على الإخلاص لله سبحانه وتعالى، فإن الإنسان في سؤاله أو طلبه للعلم يحتاج إلى أن يبتغي الحق والصواب.

٢ - **الفائدة الثانية**: السؤال على ثلاثة أنواع: سؤال استفادة، وسؤال اختبار، وسؤال تَعَنُّت (كسؤال بني إسرائيل عن الروح).

٣- **الفائدة الثالثة**: منهج الحق، هو: منهج الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

٤ - **الفائدة الرابعة**: من سعى إلى الحق فغايته السعادة، بخلاف من سعى إلى الباطل فإن غايته الشقاوة، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.

٥ - **الفائدة الخامسة**: معنى: (طريق القوم) السلف الصالح.

البيت الثاني وفيه أربع فوائد:

٦- **الفائدة الأولى:** في قوله: (تَأَمُّلَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ) من نظر إلى الحق بقصد معرفة الصواب وفقه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، ومن نظر بقصد آخر فقد اختار لنفسه الضلال، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٧- **الفائدة الثانية**: في قوله: (هَدَاكَ اللهُ) أن الهداية من الله تعالى هي التوفيق للخير، والإعانة على فعله، وهذا فضل الله تعالى.

٨- **الفائدة الثالثة**: الدعاء للقارئ والطالب من باب الرحمة والتألُّف؛ ليقبل الخير والحق، فهو أسلوب دعوي نافع.

٩- **الفائدة الرابعة**: الحق: ما وافق الكتاب والسنة على فهم السلف. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾، فالحق هو ما جاء من عند الله تعالى.



٣ - نُقِرُّ بأنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْـــرُهُ ... إِلَهٌ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمَجَّدُ
٤ - وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَا الَّذِي ... نُخَصِّصُهُ بِالحُبِّ ذُلًّا وَنُفْـــرِدُ

التعليق:

البيت الثالث: وفيه أربع فوائد:

١٠ - **الفائدة الأولى**: في قوله: (بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ) الربوبية هي إفراد الله تعالى في أفعاله، فلا رب حق إلا الله، كما أننا نقول: لا إله حق إلا الله، كذلك نقول: لا رب حق إلا الله.

قال الله عز وجل: ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

وأما ربوبية غير الله عز وجل فباطل، كما ادّعى فرعون الربوبية، وذلك باطل.

١١ - **الفائدة الثانية**: (لَا رَبَّ غَيْرُهُ إِلَهٌ) الرب هو الإله الحق، فالربوبية تدل على الألوهية.

فمن اعترف أن الله تعالى هو الرب، وجب عليه أن يفرده بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾.

١٢ - **الفائدة الثالثة**: في قوله: (إِلَهٌ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُمَجَّدُ) إثبات العرش، ووصفه بالعظيم، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. مُمَجَّدُ يعني: يُثنَى عليه بالتعظيم.

١٣ - **الفائدة الرابعة**: إثبات علو الله عز وجل واستوائه على العرش، والاستواء العلو والارتفاع، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

البيت الرابع: نذكر فيه ثلاث فوائد:

١٤ - **الأولى**: في قوله: (أَنَّ اللهَ مَعْبُودُنَا) أي: معبودنا الحق، توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

١٥ - **الثانية**: في قوله: (الَّذِي نُخَصِّصُهُ بِالحُبِّ) أي: نخصصه بالحب التعبدي وبالعبادة كلها، ولا يُسمى توحيد الألوهية توحيدًا إلا بإفراد الله عز وجل بالعبادة،

مثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك بالعبادة.

ومن صرف محبة العبادة لغيره تعالى فهو مشرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾، والقاعدة: ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

١٦- **فائدة ثالثة**: أن العبادة هي: العمل المشتمل على الحب والخضوع وإفراد الله عز وجل بالقصد.



٥ - فلِلَّه كُـــــلُّ الحمْدِ والمَجْدِ وَالثَّنَا ... فَمِنْ أجْلِ ذا كُلٌّ إلى الله يَقْصُدُ
٦ - تُسبِّحهُ الْأمْلاكُ والْأرْضُ والسَّما ... وكُلُّ جَمِيعِ الخَلْقِ حقًّا وتَحْمَدُ

التعليق:

البيت الخامس: وفيه ثلاث فوائد:

١٧- **الفائدة الأولى**: في قوله: (فلِلَّهِ كُلُّ الحَمْدِ وَالمَجْدِ وَالثَّنَا) الحمد، وهو: الثناء على الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، تعبُّدًا وحبًّا وتعظيمًا.

والمجد: العظمة والكمال والقوة، ومن أسماء الله تعالى المجيد، والثناء: ذكر صفات الكمال في الممدوح، والله تعالى أهل الثناء والمجد.

١٨- **الثانية**: في قوله: (كُلُّ الحَمْدِ) لا يستحق جميع المحامد إلا الله سبحانه، فكل الحمد والمجد إنما هو لله تعالى وحده، هذا من خصائصه سبحانه.

١٩- **الثالثة**: في قوله: (كُلٌّ إِلَى الله يَقْصُدُ) يقصده جميع الخلق لكماله تعالى وهو غني عنهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾ أي: الكامل الذي تفتقر إليه جميع المخلوقات. ويفسر ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾.

البيت السادس، وفيه فائدتان:

٢٠- **الأولى**: في قوله: (تُسبِّحهُ الْأَمْلَاكُ وَالْأَرْضُ...)، أن جميع المخلوقات والعلوية والأرضية منقادة وعابدة ومطيعة لله سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقد ذكرنا هذا بشيء من التوسع في خطبة بعنوان "عبادة الكائنات".

٢١- **الثانية**: قوله: (حَقًّا وَتَحْمَدُ) عبادة الكائنات حق، منها التسبيح والتحميد، ومنها الصلاة،... لكن لا نعلم كيف ذلك، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

٧ - تَنَزَّهَ عَنْ نِـــــدٍّ وكُفْءٍ مُماثِلٍ ... وَعَنْ وَصفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الْمُوَحَّدُ
٨ - وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا ... وَنَبْرأُ مِنْ تَاوِيلِ مَنْ كَـــانَ يَجْحَدُ

التعليق:

البيت السابع: وفيه ثلاث فوائد:

٢٢- **الفائدة الأولى**: في قوله: (تَنَزَّهَ عَنْ نِـدٍّ وَكُفْءٍ مُمَاثِلٍ) أن الله عز وجل مُنَزَّه عن الند والمساوي والمماثل؛ لأن الله عز وجل ليس له نظير، وليس له أحد يماثله، فمن جعل ندًّا لله تعالى فقد افترى على الله سبحانه حيث ذكر مثيلًا ولا يوجد.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

٢٣- **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الْمُوَحَّدُ) أي: وتنزه عن النقص لكمال صفاته، لا يكون النفي كمالًا إلا إذا اشتمل على إثبات الكمال، فَنُنَزِّهُ الله عن الند والكف والمماثل والنقص لكماله وعظمته. فلو قال شخص: إن الله عز وجل لا ينام. لا بد أن يعتقد إثبات كمال الضد، بمعنى أن الله تعالى لا ينام لكمال حياته وقيوميته، وهكذا تتعامل مع جميع الصفات المنفية، تثبت ضدها من الكمال الوارد في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾.

والنفي المجرد ليس بإثبات، أن تقول: لا يعلم، لا يجهل... كذا.

فهذا الجدار قد يقال فيه: لا يجهل، ولا يموت، ولا كذا، فالنفي المجرد ليس مدحًا.

٢٤- **الفائدة الثالثة**: من وصف الله عز وجل بالنقص فليس بموحِّد، تعالى عن وصف النقصان، كما قال تعالى في سياق ذكر المشركين: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

فمن وصف الله بالنقص فهو واقع في الشرك أو الكفر.

البيت الثامن، وفيه ثلاث فوائد:

٢٥- **الفائدة الأولى**: في قوله: (وَنُثْبِتُ أَخْبَارَ الصِّفَاتِ) توحيد الأسماء والصفات، هو: إفراد الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وهو إثبات أسماء الله تعالى وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل.

٢٦- **الفائدة الثانية**: أن الأسماء والصفات لا تُثبت إلا بدليل. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

٢٧- **الفائدة الثالثة**: من قوله: (وَنَبْرَأُ مِنْ تَأْوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَد) يعني: يعطِّل.

فالتوحيد لا يتم إلا بالبراءة مما يضاده، فمن أثبت الصفات فليبْرأ إلى الله عز وجل من التعطيل والتمثيل والتحريف إلى غير ذلك، وقد أثبت الله تعالى صفاته وذم المحرفين والمعطلة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، والمعطل أيضًا توهَّم التمثيل ففر إلى التعطيل.



٩ - فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْـلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ ... فَسَلِّمْ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ
١٠ - هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظَمِ صِفَاتِهِ ... وَكُلُّ جَمِيعِ الخَـلْقِ لله يَصْمُدُ

التعليق:

البيت التاسع، وفيه ثلاث فوائد:

٢٨- **الفائدة الأولى**: في قوله: (فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ) نفي العلم بالكيفية.

فنحن نؤمن أن لصفاته الله عز وجل كيفية، لكن هذه الكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

٢٩- **الفائدة الثانية**: في قوله: (فسَلِّمْ لِمَا قَالَ) وجوب التسليم في العقيدة لله عز وجل ولوسوله ﷺ، فلا يثبت الإيمان والعقيدة إلا على ظهر التسليم والاستسلام.

قال الله عز وجل: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

٣٠- **الفائدة الثالثة**: أن الشرع مقدم على العقل، ومن قدم العقل على الشرع فهو ضال مضل، والعقلانيون وأصحاب علم الكلام انتهى الأمر بكثير منهم إلى الشك والإلحاد.

البيت العاشر، وفيه ثلاث فوائد:

٣١- **الفائدة الأولى**: من قوله: (هُوَ الصَّمَدُ) الصمد، هو: الكامل في صفاته وأفعاله الذي لا يحتاج إلى أحد سواه، وكل مَن سواه محتاج إليه.

٣٢- **الفائدة الثانية**: من قوله: (الْعَالِي لِعِظَمِ صِفَاتِهِ) إثبات صفة العلو لله عز وجل: كما سيأتي بعده.

٣٣- **الفائدة الثالثة**: صفات الله تعالى كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فمن نفاها فلجله بكمالها.



١١ - عَلِيٌّ عَلَا ذَاتًا وَقَـــــــدْرًا وَقَهْرُهُ ... قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالـوَرَى مُتَوَدِّدُ
١٢ - هُوَ الحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الجُودِ وَالْغِنَى ... وَكُلُّ صِفَاتِ الحَمْدِ لله تُسْنَدُ

التعليق:

البيت (١١): وفيه ثلاث فوائد:

٣٤- **الفائدة الأولى**: علو الله عز وجل على ثلاثة أنواع: علو ذات: فالله جل وعلا فوق العرش وفوق جميع الخلق، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

وعلو قدر: فالله جل وعلا عظيم قدوس، صفاته صفات كمال وجلال وعظمة، كما قال تعالى: ﴿وَلله المَثَلُ الْأَعْلَى﴾.

وعلو قهر: فكل من سوى الله سبحانه وتعالى تحت قهره وقدره وتصرفه.

٣٥- **الفائدة الثانية**: في قوله: (قَرِيبٌ مُجِيبٌ) إثبات قرب الله عز وجل، وقرب الله سبحانه وتعالى عام، ويكون بمعنى المعية، وقرب خاص، فهو تعالى قريب ممن دعاه، قريب ممن يرجوه، قريب من المحسنين، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾.

٣٦- **الفائدة الثالثة**: القريب والمجيب والودود من أسماء الله عز وجل، ومعنى الودود: أنه يتحبب إلى خلقه بالنعم، وبفتح باب التوبة ليرجعوا إليه، وهذا من كمال رحمته تعالى.

البيت (١٢)، وفيه فائدتان:

٣٧- **الفائدة الأولى**: في قوله: (الحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الجُودِ وَالْغِنَى) إثبات عدد من أسماء الله سبحانه وتعالى، وأسماء الله عز وجل كلها كمال، كل اسم مشتمل على صفة لله سبحانه وتعالى. فـ الحَيُّ يشتمل على صفة الحياة، و الجَوَادُ مشتمل على صفة الجود، و الْغَنِيُّ على صفة الغنى، وهكذا جميع الأسماء الحسنى.

٣٨- **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَكُلُّ صِفَاتِ الحَمْدِ للهِ تُسْنَدُ) جميع صفات الكمال والمحامد تُسْنَدُ وتضاف إلى الله عز وجل، ولكن لا بد أن تكون هذه الصفات ثابتة بالكتاب والسنة. فباب الصفات توقيفي.



١٣ - أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلمًا وَقُدْرَةً ... وَبِرًّا وَإِحْسَانًا فَإِيَّـــاهُ نَعْبُدُ

١٤ - وَيُبْصِرُ ذَرَّاتِ الْعَوَالِـــمِ كُلَّهَا ... وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ

التعليق:

البيت (١٣)، وفيه ثلاث فوائد:

٣٩- **الفائدة الأولى**: في قوله: (أَحَاطَ بِكُلِّ الخَلْقِ عِلْمًا) سعة علم الله عز وجل ورحمته لا منتهى لها، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾.

٤٠- **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَبِرًّا وَإِحْسَانًا) إحسان الله تعالى إلى الخلق جميعًا بالرزق والتدبير وما أشبه ذلك، وإحسانه إلى المؤمنين بالهداية والصلاح ونحو ذلك، فالله سبحانه وتعالى كما أن رحمته وسعت كل شيء، فإحسانه وسع كل شيء.

٤١- **الفائدة الثالثة**: في قوله: (فَإِيَّاهُ نَعْبُدُ) مِن شكر الله جل وعلا على بِرِّه وإحسانه إلى خلقه إفراده بالعبادة، فهذا أعظم الشكر، قال الله تعالى:﴿وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

البيت (١٤)، نذكر فيه فائدتين:

٤٢- **الأولى**: في قوله: (وَيُبْصِرُ ذَرَّاتِ...) من صفات الله تعالى السمع والبصر والعلم إلى غير ذلك، وكلها صفات كمال، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

٤٣- **الفائدة الثانية**: أن الله عز وجل يعلم كل شيء، الكليات والجزئيات، ويُبْصِرُ كل شيء، ويسمع كل شيء، سواء كان كبيرًا أو عظيمًا، أو كان حقيرًا يسيرًا، فعلم الله تعالى لكل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.



١٥ - لَهُ المُلْكُ والحَمْـدُ المُحِيطُ بِمُلْكِهِ ... وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَى بِهَا الخَلْقُ تَشْهَدُ
١٦ - وَنَشْهَدُ أَنَّ الله يَنْزِلُ فِي الدُّجَى ... كَمَا قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالحَـــقِّ أَحْمَدُ

التعليق:

البيت (١٥): وفيه ثلاث فوائد:

٤٤ - **الفائدة الأولى**: في قوله: (المُحِيطُ بِمُلْكِهِ) من صفات الله عز وجل الملك والإحاطة، إحاطة علم وسمع وبصر وقدرة، كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

فالله تعالى محيط بخلقه بعلمه وسمعه وبصره، لا مختلط بهم كما تقول الحلولية ونحوهم، ومن قال: الله في كل مكان. فهو ضال مبتدع، وقد يصل إلى الكفر.

٤٥ - **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَى...) الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، هذه هي الحكمة التي يوصف بها ربنا جل وعلا، فهو يضع كل شيء في موضعه من غير زيادة ولا نقص ولا ظلم، ومخلوقاته بنظامها البديع، وترتيبها الفريد تشهد بذلك.

٤٦ - **الفائدة الثالثة**: الآيات الكونية دلالة على وحدانية الله عز وجل وكماله، فكل المخلوقات تشهد بعظمته وحمده وملكه وحكمته.

البيت (١٦)، نذكر فيه فائدتين:

٤٧ - **الأولى**: في قوله: (أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى) إثبات أفعال الله تعالى، وأنها صفات كمال. أفعال الله: المجيء، النزول، الاستواء، مما يتعلق بالمشيئة إلى غير ذلك، وتسمى بـ (الصفات الفعلية)، كما أن العلم والسمع والبصر يسمى بـ(الصفات الذاتية)، والوجه واليد يسمى بـ(الصفات الخبرية).

٤٨ - **الفائدة الثانية**: إثبات النزول لله عز وجل كما يليق بجلاله، وهذا ثابت بالسنة المتواترة وكذلك بإجماع السلف، والأحاديث الواردة فيه كثيرة. (يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)، نزول كمال كما يليق بجلاله، وهو مع ذلك على العرش استوى.

١٧ – وَنَشْهَـــــدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسْلَهُ ... بِآيَاتِهِ لِلْخَلْقِ تَهْدِي وَتُرْشِدُ
١٨ – وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسْلِ وَالخَلْقِ كُلِّهِمْ ... بِحِكْمَتِهِ جَلَّ العَظِيمُ المُوَحَّدُ

التعليق:

البيت (١٧): وفيه فائدتان:

٤٩ – **الفائدة الأولى**: في قوله: (أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسْلَهُ) الإيمان بالرسل عليهم السلام، وأن الله عز وجل بعثهم بالحق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. فنشهد ونُقِرُّ ونؤمن أن الله تعالى أرسل رسله بالحق.

٥٠ – **الفائدة الثانية**: أن الله عز وجل أَيَّدَ رسله بآيات ودلائل على صدق نبوتهم، وهذه الآيات كثيرة لا يقدر على مثلها الخلق، إنما هي من خصائص فعل الله عز وجل.

البيت (١٨)، فيه فائدتان:

٥١ – **الأولى**: أن الرسل يتفاضلون، بعضهم أفضل من بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

٥٢ – **الفائدة الثانية**: الأنبياء كلهم ذوو فضل، لكن بعضهم أفضل من بعض، والمفضول يُعتبر صاحب فضل عظيم، فلا يجوز تنقص أحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام.



١٩ – فَأَفْضَلُ خَلْقِ الله فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَا ... نَبِيُّ الهُدَى وَالعَالَمِينَ مُحَمَّدُ
٢٠ – وَخَصَّ لَهُ الرَّحمنُ أَصْحَابَهُ الأُلَى ... أَقَامُوا الهُدَى والدِّينَ حقًّا ومَهَّدُوا
٢١ – فَحُبُّ جَمِيعِ الآلِ وَالصَّحْبِ عِنْدَنَا ... مَعَاشِرَ أَهْلِ الحَقِّ فَرْضٌ مُؤَكَّدُ

التعليق:

البيت (١٩): وفيه فائدتان:

٥٣– **الفائدة الأولى**: أفضل الخلق على الإطلاق هو نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

دليل ذلك حديث أبي هريرة وعن أبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ).

٥٤– **الثانية**: في قوله: (نَبِيُّ الهُدَى وَالعَالَمِينَ) فنبينا ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتمهم، ورسالته إلى جميع الجن والإنس، فلا دين إلا ما جاء به، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.

البيت (٢٠)، وفيه فائدتان:

٥٥– **الفائدة الأولى**: في قوله: (وَخَصَّ لَهُ الرَّحمنُ أَصْحَابَهُ الأُلَى) أن الله عز وجل خص النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابٍ هم صفوة الأمة وخيرها، وأصدقها في نصرة دينه، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾.

٥٦– **الثانية**: في قوله: (أَقَامُوا الهُدَى وَالدِّينَ حَقًّا وَمَهَّدُوا) من صفات هؤلاء الصحابة أن الله تعالى أقام بهم الدين، ونشر بهم الإسلام، ومهدوا الطريق لمن بعدهم.

البيت (٢١): وفيه ثلاث فوائد:

٥٧– **الفائدة الأولى**: حب الصحابة واجب مؤكد، وهو دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر وطغيان، فإن الله عز وجل قال فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فلا خير فيمن لا يحب من يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

٥٨- **الفائدة الثانية**: الآل هنا يعني بهم أهل بيت النبوة، وحب أهل بيت النبوة الصالحين من الصحابة والتابعين ومن سار على هديهم على الإسلام والتوحيد والسنة يُعتبر دينًا وقُرْبَةً إلى الله تعالى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي).

٥٩- **الثالثة**: أهل البيت الذين خالفوا التوحيد والسنة فليس لهم فضل القرابة، ولا يستحقون الحب والمدح، كأهل البيت الذين ينتسبون إلى الرافضة أو إلى الصوفية أو إلى الإلحاد ونحوهم.



٢٢ - ومَنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كَلَامَهُ ... هُوَ اللَّفْظُ وَالمَعْنَى جَمِيعًا مُجَوَّدُ
٢٣ - وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَأَنَّى لِخَلْقِهِ ... بِقَوْلٍ كَقَوْلِ اللهِ إِذْ هُوَ أَمْجَدُ

التعليق:

البيت (٢٢، ٢٣): وفيهما خمس فوائد:

٦٠- **الفائدة الأولى**: شرع الناظم رحمه الله تعالى في ذكر الكلام على القرآن الكريم، وعلى كلام الله تعالى عمومًا، وكلام الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وليست مخلوقة، فإن القول في الصفات كالقول في الذات، والله جل وعلا ليس بمخلوق.

٦١- **الثانية**: كلام الله تعالى لفظًا ومعنى. وبعض المبتدعة يقول: كلام الله معنى قائم بنفسه تعالى، وهذا ضلال، فإن الله عز وجل قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾، وفي حديث آدم: (فينادي بصوت يا آدم)، وهو دليل أن كلام الله جل وعلا لفظ يسمع.

٦٢- **الثالثة**: كلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، وجميع صفات الله تعالى وأسمائه غير مخلوقة، لأنها كلام الخالق وليست كلام مخلوق حتى يقال إنها مخلوقة.

٦٣- **الرابعة**: أن كلام الله تعالى ومنه القرآن الكريم لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، ولو اجتمع جميع الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. بُعث النبي صلى الله عليه وسلم قبل (١٤٥٠) سنة، ومع ذلك لم يستطع أعداء الإسلام كلهم أن يأتوا بسورة مثل القرآن ولو قصيرة. وهذه آية عظيمة.

٦٤- **الخامسة**: في قوله: (إِذْ هُوَ أَمْجَدُ) كلام الله تعالى أعظم وأجل من أن يشبه كلام الخلق، ومن وصفه بأنه مخلوق فقد كفر.



٢٤ - وَنَشْهَدُ أَنَّ الخَيْـــــرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ ... بِتَقْدِيـرِهِ وَالعَبْدُ يَسْعَى وَيَجْهَدُ
٢٥ - وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْـــــــلٌ وَنِيَّةٌ ... مِنَ الخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقَيِّدُ
٢٦ - وَيَزْدَادُ بِالطَّاعَاتِ مَعْ تَرْكِ مَا نَهَى ... وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ جَزْمًا وَيَفْسُدُ

التعليق:

البيت (٢٤): وفيه أربع فوائد:

٦٥- **الفائدة الأولى**: الإيمان بالقدر وأنه حق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

٦٥- **الفائدة الثانية**: الخير والشر قدرهم الله جل وعلا لحكمه، فالخير مقصود لذاته، والشر مقصود لغيره، فإن الله تعالى قد خلق شرًّا ليبتلي العباد فيظهر الصادق من الكاذب، ليبلوكم أيكم أحسن عملًا.

٦٦- **الفائدة الثالثة**: في قوله: (وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَيَجْهَدُ) أفعال العباد كسب للعباد، وهي بتقدير الله عز وجل، كيف تكون أفعال العباد قدرها الله تعالى؟ لأن الله تعالى خلق الإنسان وخلق فيه القدرة والإرادة والتفكير والاستطاعة؛ فمن خلق هذه فهو خالق لما وقع منها، فأفعال العباد مخلوقة لله عز وجل باعتبار أن الله عز وجل خلق السبب الذي تقوم به، والعبد هو الفاعل حقيقة، لأنه المباشر للفعل، فنسبة أفعال الناس والخلق إلى الله عز وجل نسبه تقدير، وليست نسبة مباشرة كما يقوله غلاة أهل البدع.

٦٧- **الفائدة الرابعة**: الشر مخلوق من مخلوقات الله تعالى، ولا ينسب إلى الله تعالى نسبة صفة، بل ينسب إلى الله تعالى نسبة مخلوق إلى خالق.

ولا يضاف ولا ينسب الشر إلى أسماء الله تعالى، ولا إلى صفاته، ولا إلى أفعاله، دليل ذلك أن النبي ﷺ قال: (والشر ليس إليك).

فالشر في المخلوقات.

البيت (٢٥) وفيه ثلاث فوائد:

٦٨- **الفائدة الأولى**: تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول باللسان واعتقاد بالجَنان وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وأجمع السلف على هذا، نقله عدد كبير منهم، وهذا لا خلاف فيه إلا من أهل الضلال.

٦٩- **الفائدة الثانية**: أن الإيمان بالقول وبالفعل لا يصح الا بنية، فالظاهر والباطن متلازمان، إذا صلح القلب صلح القول والعمل، وإذا فسد القلب فسد القول والعمل، (أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ).

وقال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ، طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلَاهُ» رواه ابن ماجه عن معاوية وصححه الألباني.

وأسفله الباطن وهو القلب، وأعلاه الظاهر وهو العمل والقول.

٧٠- **الفائدة الثالثة**: الأعمال الصالحة تسمى إيمانًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، ومن أخرج العمل من مسمى الإيمان فهو مرجئ.

البيت (٢٦) وفيه فائدتان:

٧١- **الفائدة الأولى**: أن الإيمان يزيد بالطاعات، ويتفاضل المؤمنون بحسب ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، فمن حافظ على الواجبات وترك المحرمات زاد إيمانه الواجب، ومن حافظ أيضًا على المستحبات وترك المكروهات زاد إيمانه المستحب.

٧٢- **الفائدة الثانية**: أن الإيمان الواجب ينقص بترك الواجبات أو ارتكاب المحرمات، والإيمان المستحب ينقص بارتكاب المكروهات، أو ترك المستحبات.

ودليل ذلك قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ».

وأصل ضلال جميع الفرق في باب الإيمان بدأ بنفي الزيادة والنقصان.



٢٧ - نُقِرُّ بِأَحْـــــوَالِ القِيَامَةِ كُلِّهَا ... وَمَا اشْتَمَلَتْهُ الدَّارُ حَقًّا وَنَشْهَدُ

٢٨ - تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ وَمَا حَوَتْ ... مَمَالِكُهُ العُظْمَى لَعَلَّكَ تَـرْشُدُ

التعليق:

البيت (٢٧): وفيه فائدتان:

٧٣- **الفائدة الأولى**: الإيمان بالآخرة، الإيمان بالآخرة: من الموت، وسؤال منكر ونكير، والبعث، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار. نُقِرُّ -أي نؤمن- بأحوال القيامة، فالقيامة من الموت، وما اشتملت عليه سواء في القبر أو في الجنة والنار.

٧٤- **الفائدة الثانية**: أن العقل لا مدخل له في إثبات أو نفي الغيبيات إلا على جهة التبع في بعضها، فإنما يتلقى ذلك من الشرع، يتلقى ذلك من الكتاب والسنة، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ للهِ﴾. فيجب علينا الإقرار، وألا نحكّم العقل كما فعلت الفلاسفة والعقلانية.

البيت (٢٨) وفيه ثلاث فوائد:

٧٥- **الفائدة الأولى**: في قوله: (تَفَكَّرْ بِآثَارِ العَظِيمِ...) التفكر في آيات الله سبحانه وتعالى يزيد الإيمان، ويزاد به العبد يقينًا وثباتًا.

٧٦- **الفائدة الثانية**: في قوله: (لعلك ترشد) الرشد ضد الغي، ويأتي بمعنى التوحيد والهدى والعقل والدلالة على الخير والنجاة، وهو ممدوح، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

٧٧- **الفائدة الثالثة**: أن الله تعالى جعل الآيات من دلائل وجوده وقدرته، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾.



٢٩ – أَلَمْ تَرَ هَذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا ... فَأَعْقَبَهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ
٣٠ – تَأَمَّلْ بِأَرْجَاءِ السَّمَــاءِ جَمِيعِهَا ... كَوَاكِبُــــــهَا وَقَّــــادَةٌ تَتَرَدَّدُ

التعليق:

البيت (٢٩) : وفيه فائدتان:

٧٨- **الفائدة الأولى**: هذه المخلوقات العظيمة والمهالك الكبرى: الليل والنهار والصبح والشمس والقمر والسماوات، كلها تدل على توحيد الله عز وجل. فإن الذي خلق، وأنشأ، ودبّر، وجعلها على نظام واحد، إنما هو الله سبحانه وتعالى.

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد.

٧٩- **الفائدة الثانية**: أن تعاقب الليل والنهار من آيات الله تعالى العظمى، ولذلك تكرر ذكرها في القرآن الكريم كثيرًا. كما قال الله جل وعلا: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾، آيات كثيرة.

والإنسان يصبح ويرى النهار، ويُمسي ويرى الليل، لكن من هو الذي يتأمل في هذا التعاقب المنظم البديع الذي يدل على قدرة الله تعالى، وعلى عظمته سبحانه وتعالى؟

البيت (٣٠) : وفيه ثلاث فوائد:

٨٠- **الفائدة الأولى**: أن تدبير السماء والنجوم والأرض والمخلوقات بهذا النظام والترتيب آية عظيمة من آيات الله سبحانه وتعالى، كما تقدم. هل يمكن أن يكون هذا الكون بهذا النظام البديع بدون مَن يرتبه وينظمه كما يقول الملاحدة؟ فهذا أمر يستحيل أن يوجد بدون مَن خلق، ودبّر، وجعله على نظام لا يتغير ولا يتبدل إلى قيام الساعة.

٨١- **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَقَّادَةٌ تَتَرَدَّدُ) مضيئة تظهر وتختفي كل يوم.

فسبحان الله العظيم.

٨٢- **الفائدة الثالثة:** أن هذه الآيات الكثيرة العظيمة ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن بكثرة، وحاجج بها المشركين الذين كانوا ينكرون العبادة لله تعالى وحده.

فبين لهم أن هذا الخلق والآيات العظيمة دلالة على وجوب توحيده، وعلى وجوب إفراده بالعبادة.



٣١ - أَلَيس لهذَا مُحـــــدِثٌ مُتَصـرِّفٌ ... حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَاحِـــــدٌ مُتَفَرِّدُ
٣٢ - بَلَى وَالَّذِي بِالحقِّ أَتْقَنَ صُنْعَـهَا ... وَأَوْدَعَهَا الأَسْرَارَ لله تَــــشْهَدُ
٣٣ - وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ مُوقِنًا ... وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
٣٤ - وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَائِبٌ ... بِهَا يُعْرَفُ اللهُ العَظِيمُ وَيُعْبَــدُ
٣٥ - لَقَدْ قَامَتِ الْآيَاتُ تَشْهَــدُ أَنَّهُ ... إِلَهٌ عَظِيمٌ فَضْلُهُ لَـــيْسَ يَنْفَدُ

التعليق:

البيت (٣١، ٣٢): وفيهما ثلاث فوائد:

٨٣- **الفائدة الأولى**: الآيات الشرعية والكونية دلالة واضحة على توحيد الله تعالى، وشرحه كما تقدم.

٨٤- **الفائدة الثانية**: (محدث) خالق، (متفرد) لا شريك له في ملكه وخلقه، كما أنه لا شريك له في ألوهيته وأسمائه وصفاته.

٨٥- **الفائدة الثالثة**: بلى جميع المخلوقات تدل عليه سبحانه، ولكن ما كل الناس توفَّق للتأمل والاعتبار والتدبر، نسأل الله تعالى من فضله.

البيت (٣٣، ٣٥): وفيها خمس فوائد:

٨٦- **الفائدة الأولى**: الآيات العلوية والسفلية والمتنوعة إنما تفيد مَن صلحت نيته، وصدق في طلب الحق، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾. فمن كانت نيته معرفة الحق والتدبر والتأمل، فإن ذلك ينفعه.

٨٧- **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ) أن الشرك والبدع والمعاصي والنية السيئة تمنع رؤية الحق. كما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٨٨- **الثالثة**: في قوله: (وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ) مَن تأمل في نفسه وما فيها من عجائب الخلق والتدبير، في ظاهرها وفي باطن هذا الجسم، يعلم أن ذلك لا يكون إلا بتدبير الله سبحانه،

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.

ولهذا بعض الأطباء الذين نظروا في جسم الإنسان، أسلموا.

وهذا ليس قليلاً، عدد كبير أسلم حين نظروا في عجائب هذا الإنسان، وفي عجائب هذا الجسم.

٨٩- **الرابعة**: في قوله: (بِهَا يُعْرَفُ اللهُ العَظِيمُ وَيُعْبَدُ) هذه الآيات وما قبلها تدل أيضًا على وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة. ويدل على بطلان عبادة غير الله سبحانه وتعالى.

هل الأصنام أو القبور أو الجن والإنس لهم من الآيات العظيمات الباهرات ما لله سبحانه وتعالى؟ هل هي تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت حتى تُعبد مع الله سبحانه وتعالى؟

الجواب: لا. إذاً فعبادتها باطلة، لا تصح ولا تجوز.

ولذلك ربنا جل وعلا من جملة الحجج التي حاجج بها المشركين بيّن لهم ما عند آلهتهم من العجز، أنهم لا يحيون ولا يميتون ولا يشفون مريضًا ولا يخلقون ولا يرزقون. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾.

٩٠- **الخامسة**: أن فضل الله جل وعلا ورزقه لا ينفد، ليس له نهاية، لأن الله جل وعلا هو الغني. حديث أبي ذر القدسي: قال الله عز وجل: « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخل البحر ».



٣٦ - فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الْإِلَهِ أَجَابَهُ ... وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّى وَأَدْبَرَ مُسْعِدُ

التعليق:

البيت (٣٦): وفيه فائدتان:

٩١- **الفائدة الأولى**: في قوله: (فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الْإِلَهِ) هذا يشبه البيت الذي مر قبل: أن الناس إنما ينتفع بالآيات من صلح قلبه وعمله.

ونضيف: أن الناس على قسمين: قسم يستعمله الله جل وعلا في طاعته، وقسم يخذله الله تعالى. ما معنى الخذلان؟ أي: يترك إعانته.

فالله جل وعلا يعين من شاء ويترك من شاء.

وقد جاء في الحديث: « لا يزال الله يَغْرِسُ لهذا الدين غَرْسًا يستعملهم في طاعته »، يستعملهم في طاعته.

٩٢- **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّى وَأَدْبَرَ مُسْعِدُ) مَن أعرض فقد تسبب في ضلال نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾. هو الذي تسبب في ضلال نفسه وفي وزرها وعذابها.

فكل إنسان ينظر ماذا يقدم لنفسه، إما أن يجتهد ويبذل أسباب الهداية والصلاح والجنة، وإما أن يترك هذه الأسباب فيُخذل ويكون قد تسبب في مصيره إلى غير هذا المكان.



فصل

٣٧ - عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ ... وَتَجْتَنِبُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ وَتُبْعِدُ
٣٨ - وَكُنْ مُخْلِصًا للهِ وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا ... وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ

التعليق:

من هنا وما بعده سيتكلم على الرقائق الذكر.

البيت (٣٧، ٣٨): وفيهما ثلاث فوائد:

٩٣- **الفائدة الأولى**: التقوى، هي: فعل المأمور واجتناب المحظور.

وقد فسّرها بقوله: (فِي فِعْلِ أَمْرِهِ وَتَجْتَنِبُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ وَتُبْعِدُ).

٩٤- **الفائدة الثانية:** في قوله: (وَكُنْ مُخْلِصًا لله) والإخلاص: أن تقصد بجميع أعمالك وأقوالك وجه الله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.

والحنيف، هو: المخلص الموحِّد المتبرئ من الشرك وأهلِه.

٩٥- **الفائدة الثالثة:** في قوله: (وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا) الرياء: ضد الإخلاص، فهو: أن يقصد العبد بعمله أو بعضه غير الله تعالى.

والرياء الخالص صفة المشركين والمنافقين، وقد يقع العبد الموحِّد في شيء من يسير الرياء.

٩٦- **الفائدة الثالثة:** في قوله: (وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ) ذكر ركني العبادة، وهما الإخلاص والاتباع. والاتباع، هو: أن تكون الأعمال والنيات موافقة للكتاب والسنة.

وقد ذكرا في سورة الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

****

٣٩ - تَوكَّلْ علَى الرَّحمنِ حَقًّا وثِقْ بِهِ ... لِيَكْفِيكَ ما يُغْنِيكَ حَقًّا وتَرْشُدُ

٤٠ - تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيانِ واصْبِرْ لِحُكْمِهِ ... وَصَابِرْ عَلَى الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ

التعليق:

البيت (٣٩): وفيه ثلاث فوائد:

٩٧- **الفائدة الأولى**: التوكل عبادة واجبة، ومعناه: اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع بذل السبب.

وقد أمر به: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ولا ينافي بذل السبب، قال الله تعالى لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾، من باب السبب.

٩٨- **الفائدة الثانية**: في قوله: (لِيَكْفِيكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ) من ثمار التوكل أن الله عز وجل يكفيك الرزق، ويكفيك أيضًا شر كل ذي شر. قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾. وفي حديث عمر: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

والتوكل له ثمار كثيرة، منها تيسير الرزق ودفع الشر.

٩٩- **الفائدة الثالثة**: التوكل عبادة، وصرف العبادة لغير الله تعالى شرك أكبر.

كمن يتوكل على ميت أو غيره.

البيت (٤٠): وفيه ثلاث فوائد:

١٠٠- **الفائدة الأولى**: في قوله: (تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ) الصبر: حبس النفس على الطاعات، وحبس عن المعاصي والسيئات، والصبر على أقدر الله تعالى المؤلمة.

التصبر عن المعصية: بمجاهدة النفس واجتناب المعاصي، والاستمرار على ذلك.

ولفظ: (تصبَّر) و(صابَرَ) أبلغ لفظ: (اصبر) و(الصبر).

١٠١- **الفائدة الثانية**: في قوله: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِه) أي: على الأقدار المؤلمة من مصائب وغيرها، واصبر للبلاء الذي نزل بك أو المصيبة أو المرض أو ما أشبه ذلك، لأن ذلك إنما كان لحكمة.

١٠٢- **الفائدة الثالثة**: في قوله: (وَصَابِرْ عَلَى الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ) مَن صبر على الطاعة وابتعد عن المعصية، وصبر على الأقدار فسيكون من السعداء.

وعواقب الصبر الصحيح طيبة في الدنيا والآخرة، فمن صبر ظفر، والنصر مع الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.



٤١ - وكُنْ سائِرًا بينَ الْمَخافَةِ والرَّجا ... هُما كَجَناحَيْ طائِرٍ حينَ تَقْصِدُ
٤٢ - وقَلْبَكَ طَهِّرْهُ ومِنْ كُلِّ آفةٍ ... وكُنْ أبدًا عَنْ عيبِهِ تَتَفَقَّدُ

التعليق:

البيت (٤١): وفيه فائدتان:

١٠٣ - **الفائدة الأولى**: السير إلى الله تعالى له ركنان، الخوف والرجاء، وقد جُمعت في آيات منها: قلا تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

١٠٤ - **الفائدة الثانية**: من زعم أنه يكتفي بأحدهما عن الآخر فهو ضال، مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السلف.

البيت (٤٢): وفيه فائدتان:

١٠٥ - **الفائدة الأولى**: صلاح القلب في تطهيره عن أمراض القلوب، تريد صلاح قلبك؟ طهره من الأمراض: الرياء، وحب الشهرة، الحقد، والحسد، والغل، إلى غير ذلك من أمراض القلوب، ففي نفيها يصلح القلب.

١٠٦ - **الثانية**: في قوله: (عَنْ عَيْبِهِ تَتَفَقَّدُ) لا صلاح للقلب إلا بدوام تفقد أحواله، والسعي في علاج ما يطرأ من المرض أولاً بأول.

الله المستعان.



٤٣ - وَجمّلْ بِنُصْحِ الخَـلْقِ قَلْبَكَ إنَّهُ ... لَأعْلَى جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأجْــوَدُ
٤٤ - وَصَاحِبْ إذَا صَاحَبْتَ كُلَّ مُوفَّــقٍ ... يَقُودُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ
٤٥ - وَإيَّاكَ وَالْمَرْءَ الَّذِي إنْ صَحِبْتَهُ ... خَسِرْتَ خَسَارًا لَيْسَ فِيهِ تَــرَدُّدُ

التعليق:

البيت (٤٣): وفيه فائدتان:

١٠٧ - **الفائدة الأولى**: النصح: الدلالة على الخير من باب الرحمة والحرص على الآخرين.

فظهر أن النصيحة تبدأ من القلب، وهي خلق جميل، ومن وفق للنصح مع الحكمة فقد سلك طريق الخير من أوسع أبوابه، فـ(الدين النصيحة).

١٠٨ - **الفائدة الثانية**: (وَجَمِّلْ بِنُصْحِ الخَلْقِ قَلْبَكَ...) أي: انصحهم بنية حسنة، ولتكن نيتك من النصيحة أن تنفع الخلق. ومن أهم صفات أن يكون موحدًا ومتبعًا للسنة.

فإن قَبلوا نصحك حمدت الله تعالى، وإن لم يقبلوا دعا الله عز وجل لهم بالصلاح.

البيت (٤٤): وفيه فائدتان:

١٠٩ - **الأولى**: في قوله: (صَاحَبْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ) لا تصاحب إلا من كان يطيع الله تعالى.

لأن المؤمن الصادق لا يضرك في دينك أو دنياك. قال ﷺ: « لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي ».

١١٠ - **الفائدة الثانية**: في قوله: (يَقُودُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ) من فوائد الجليس الصالح أنه يعينك على الطاعة، تارة بالدلالة على الخير، وتارة بالنصيحة إلى غير ذلك.

البيت (٤٥): وفيه فائدة:

١١١ - **فائدة**: الحذر من صحبة جليس السوء، فإنه كنافخ الكير، وشر الأصحاب من دعاك إلى باطل تخسر دينك به، إلى بدعة، إلى شرك، كما في حديث حذيفة قال: « دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها ».

٤٦ - خُذِ العَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ ... كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ

التعليق:

البيت (٤٦): وفيه ثلاث فوائد:

١١٢- **الفائدة الأولى**: في قوله: (خُذِ العَفْوَ) خذ من أخلاق الناس ما تيسر، واصبر على قصورهم معك، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾.

١١٣- **الفائدة الثانية**: في قوله: (مِنَ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ) إذا صاحبت شخصًا فاصبر عليه، وغض الطرف عن بعض ما يأتي منه أو يصدر، فإنه لا يكمل أحد من البشر بعد الأنبياء عليهم السلام، ولا بأس بالنصح النافع. فإذا كان الصاحب في الجملة على خير وحدث منه خطأ أو بعض الأخطاء، اصبر وناصحه برفق ولين.

مَن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً أن تُعد معايبه

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه، والله تعالى يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.

١١٣- **الفائدة الثالثة**: في قوله: (كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ) يشير إلى الآية السابقة، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

❊❊❊❊

٤٧ – تَرحَّلْ عَن الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إقَامَةً ... وَلَكِنَّــــــــــهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ
٤٨ – وكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا ... إِلَى المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ

التعليق:

البيت (٤٧): وفيه ثلاث فوائد:

١١٤ – **الفائدة الأولى**: من أهم صفات أهل الحق الزهد في الدنيا، بحيث لا تشغله عن الآخرة. وليس الزهد ألا يكون عندك مال، لكن الزهد أن تترك ما يشغلك عن الحسنات. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

١١٥ – **الفائدة الثانية**: في قوله: (فَلَيْسَتْ إِقَامَةً وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ) الدنيا دار عمل لا دار إقامة، فهي دار للعمل الذي يكون زادًا للآخرة.

١١٦ – **الفائدة الثالثة**: لا يستقيم دين العبد إلا بالزهد، وكان شيخنا مقبل رحمه الله تعالى يقول: لا يتهيأ العلم إلا بـزهد. فمن أراد أن يستقيم له دينه فليَزهد، لا يطمع في شيء يشغله عما أوجب الله سبحانه وتعالى أو يشغله عن سِباق الخيرات.

البيت (٤٨): وفيه فائدتان:

١١٤ – **الفائدة الأولى**: وقوله: (وَكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا)، وهم السلف الصالح، كانوا معتنين بذكر الله سبحانه وتعالى.

١١٥ – **الفائدة الثانية**: في قوله: (المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيَسَ يَنْفَدُ) إشارة إلى أن المؤمن يتذكر الموت وما بعده، فإن ذلك معين على ذكر الله تعالى، والزهد في الدنيا.



٤٩ - وكُنْ ذَاكرًا الله في كلِّ حَـــالَةٍ ... فَلَيْسَ لِذكرِ الله وَقْــــــتٌ مُقيّدُ
٥٠ - فَذِكْرُ إلهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْــلَنًا ... يُزِيلُ الشَّقَا والهَــــمَّ عَنْكَ ويَطْرُدُ
٥١ - ويَجْلِبُ لِلْخَيْـــرَاتِ دُنْيًا وَآجِلًا ... وَإِنْ يَاتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًــــا يُشَرِّدُ

التعليق:

البيت (٤٩، ٥١) : وفيها خمس فوائد:

١١٥ - **الفائدة الأولى**: في قوله: (وَكُنْ ذَاكِرًا الله فِي كُلِّ حَالَةٍ...) أكثر من ذكر الله تعالى؛ فإنه صلاح للقلب وزيادة في الإيمان.

وذكر الله تعالى صالح في كل زمان ومكان. تقول عائشة رضي الله عنها: « كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » متفق عليه.

١١٦ - **الفائدة الثانية**: في قوله: (سِرًّا وَمُعْلَنًا) أن ذكر الله سبحانه وتعالى يكون بالسر ويكون بالعلن، ومرجع ذلك إلى الدليل، والأصل في الذكر أنه يكون سرًّا، ولا يُجهر إلا بما دل الدليل عليه، كالأذان وقراءة القرآن، والتسبيح بعد الصلاة، يسمع الشخص نفسه ولو رفع قليلاً فلا بأس. قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾. هذه الآية تدل على أن الأصل في الذكر هو الإسرار، والجهر يكون في المواضع التي دل عليها الدليل.

١١٧ - **الفائدة الثالثة**: في قوله: (يُزِيلُ الشَّقَا وَالهَمَّ عَنْكَ) من فوائد الذكر أنه يزيل الهم والغم بإذن الله سبحانه وتعالى.

١١٨ - **الرابعة**: في قوله: (وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيًا وَآجِلًا) أن ذكر الله عز وجل سبب لجلب الخيرات والأرزاق، لا سيما الاستغفار، فإن الله عز وجل يسوق له الأرزاق.

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

١١٩- **الخامسة**: في قوله: (وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشَرِّدُ) أنه يطرد الوسواس وهو الشيطان. فإذا ذكر العبد اللهَ تعالى هرب الوسواس الخناس، وإذا غفل جاء فالتقم قلبه، وإذا أذَّن هرب، وإذا سكت رجع، إذا قرأ القرآن هرب، وهكذا كلما أقبل الإنسان على ذكر الله تعالى كان الشيطان أبعد منه.



٥٢ - فَقَدْ أَخْبرَ المُخْتَارُ يومًا لِصَحْبِهِ ... بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ في السَّبْقِ مُفْرِدُ
٥٣ - ووَصَّى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إلهَهُ ... عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالحُسْنِ يَعْبُدُ
٥٤ - وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ ... وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
٥٥ - بِأَنْ لَا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هذهِ ... تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ

التعليق:

البيت (٥٢- ٥٥): وفيها ثلاث فوائد:

١٢٠ - **الفائدة الأولى**: بيان فائدة عظيمة من فوائد الذكر، وهي أن الذاكر يسبق الكثير من العباد إلى الله تعالى، جاء من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: « سبق المفردون ». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: « الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات ».

المفرِّدون: جمع مفرِّد بمعنى أنه انفرد في السبق، كأنهم في مضمار سباق، وهذا تفرد وسبق سَبْقًا بعيدًا حتى صار بمفرده. وهذه تعتبر فضيلة عظيمة للذكر.

١٢١ - **الثانية**: في قوله: (وَوَصَّى مُعَاذًا...) في ذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ. والحديث رواه أبو داود وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: « يا معاذ والله إني لأحبك ». قال: وأنا والله يا رسول الله إني أحبك. قال: « أوصيك لا تَدَعَنَّ دُبُرَ كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ». هذا الحديث يسمى بحديث المحبة، والعلماء يروون هذا الحديث بأسانيد مسلسلة، كل واحد يقول لتلميذه: والله إني لأحبك، لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. ثم يجيزه بالحديث، فيروي الطالب هذا الحديث فيقول: أخبرني فلان وقال إني لأحبك ويتسلسل بالمحبة والوصية إلى رسول الله ﷺ.

١٢٢- **الثالثة**: في قوله: (وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ) يشير إلى حديث عبد الله بن بسر أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: « لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله ». أي: بذكر الله تعالى.

ومعنى الحديث: أن الإنسان إذا تزاحمت عليه الطاعات النوافل، فليختر منها ما هو أفضل وأنْشَط له. والرسول عليه الصلاة والسلام دل هذا الرجل على أن يكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى لأنه لحظ عليه أنه نشيط في الذكر.

قال أهل العلم: من فُتح له باب خير فليستكثر منه.



٥٦ - وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غرسٌ لِأَهْلِه ... بِجَنَّاتِ عَـدْنٍ وَالمَسَاكِنُ تُمْهَدُ
٥٧ - وَأَخْبَرَ أَنَّ الله يَذْكُـرُ عَبْدَهُ ... ومَعْهُ عَلَى كُـلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ
٥٨ - وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْـرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ ... وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخَلَّدُوا
٥٩ - وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ ... طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَـهِ وَمُرْشِدُ

التعليق:

البيت (٥٦- ٥٩): وفيها سبع فوائد:

١٢٣- **الفائدة الأولى**: في قوله: (غَرْسٌ لِأَهْلِهِ...) أن المؤمن تُغرس له في أرضه في الجنة شجرات بقدر الكلمات التي قالها من ذكر الله تعالى، فكلما أكثر من ذكر الله سبحانه غُرست له أشجار في الجنة أكثر.

دل على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم: أن الجنة طيبة التُّربة عذبة الماء، وأنها قِيعَان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ».

١٢٤- **الفائدة الثانية**: في قوله: (يَذْكُرُ عَبْدَهُ) أن الله تعالى يثني على عبده في الملأ الأعلى.

كما قال الله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾. وقال تعالى في الحديث القدسي: « فإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ». فهذه فائدة عظيمة، كلما ذكرتَه ذكرك.

١٢٥- **الفائدة الثالثة**: في قوله: (وَمَعْهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ) معه معية علم وتسديد وتيسير، كما في حديث الولي: « وأنا معه إذا ذكرني »... « كنت سمعه الذي يسمع وبصره الذي يبصر»، أي: يسدد سمعه، ويسدد بصره، ويسدد قوله، ويستعمله في طاعته.

١٢٦- **الفائدة الرابعة**: في قوله: (الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ...) من فوائد الذكر العظيمة أن الذكر العبادة الباقية في الجنة، ليس في الجنة صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد، فيها ذكر الله سبحانه وتعالى. كما قال الله عز وجل: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وفي الحديث قال: «يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»، أي: يصير التسبيح والتحميد يجري على ألسنتهم.

١٢٧- **الفائدة الخامسة**: أن الذكر في الجنة شكر لا تكليف، من باب الشكر لله سبحانه، وهم مع ذلك يتلذذون به.

١٢٨- **الفائدة السادسة**: في قوله: (طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ) أن من أكثر من ذكر الله عز وجل أحبه الله تعالى، قال: « وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ».

ومن أفضل النوافل الذكر.

١٢٩- **الفائدة السابعة**: من أحب شيئًا أكثر من ذكره، بعض الناس يقول: نحب الله تعالى.

لكن كيف ذكرك لله تعالى؟ على قدر المحبة يكون الذكر.



٦٠ - وَيَنْهَى الفَتى عَنْ غِيبَةٍ ونَميمَةٍ ... وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ
٦١ - لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ ... بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ نِعْمَ المُوَحَّدُ
٦٢ - وَلَكِنَّنَا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا ... كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ

التعليق:

البيت (٦٠-٦٢): وفيها خمس فوائد:

١٣٠ - **الفائدة الأولى**: في قوله: (وَيَنْهَى الفَتَى عَنْ غِيبَةٍ وَنَمِيمَةٍ...) من فوائد الذكر أيضًا أن العبد ينشغل عن المحرمات كالغيبة والنميمة والسباب والشتائم إلى غير ذلك.

فإذا اشتغل اللسان بذكر الله تعالى فإنه ينشغل عن كل الأقوال المخالفة.

١٣١ - **الفائدة الثانية**: من لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل، لأن الإنسان إما أن يحرك لسانه بالذكر، وإما أن يحرك لسانه بالغيبة، بالنميمة، بالسباب، وربما بالشرك والعياذ بالله.

١٣٢ - **الفائدة الثالثة**: في قوله: (لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ...)

فلو أننا أكثرنا من ذكر الله لكان لنا حظ عظيم ورغبة بكثرة ذكر الله تعالى، ولكانت أوقاتنا التي نقضيها في ذكر الله تعالى كثيرة.

١٣٣ - **الفائدة الرابعة**: في قوله: (وَلَكِنَّنَا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا) ذكَر سبب غفلة كثير من الناس عن الذكر، وهو عدم المعرفة التامة بفضل الذكر.

١٣٤ - **الفائدة الخامسة**: في قوله: (كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ) قلة الذكر تؤدي إلى قلة التعبد، كما أن الضعف في العبادة يؤدي إلى الغفلة وقلة الذكر. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾، فجمع في الآية بين الذكر والعبادة، لأنهما متلازمان، كما أن بين قلة الذكر وضعف العبادة تلازم النفاق غالبًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٦٣ - وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفوْزَ دَائِمًا ... فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ
٦٤ - وَصَلِّ إلهِي مَعْ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ ... عَلَى خَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرْشِدُ
٦٥ - وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا ... صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يَدُومُ وَيَخْلُدُ

التعليق:

البيت (٦٣-٦٥): وفيها ثلاث فوائد:

١٣٥ - **الفائدة الأولى**: في قوله: (وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفَوْزَ دَائِمًا) الدعاء سلاح المؤمن وصلته بالله عز وجل.

١٣٦ - **الفائدة الثانية**: في قوله: (فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ) من وُفق للدعاء فقد وُفق لخير كثير، وما خاب من أكثر دعاء ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. والله جل وعلا يحب من العبد أن يدعوه ويكثر من الدعاء.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم.

١٣٧ - **الفائدة الثالثة**: ختم القصيدة بالصلاة والسلام على النبي ﷺ.

وفوائد الصلاة على النبي ﷺ كثيرة طيبة، وهذا من محاسن النظم.

وبهذا نكون قد أتينا على نهاية المنظومة.

نسأل الله عز وجل القبول والسداد.



أيْسَرُ الشُّروحِ

عَلى القَولِ المُفِيدِ مِن أَدلةِ التَّوحِيدِ

[للشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله تعالى

(ت ١٤٣٦هـ)]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله تعالى على نعمه الكثيرة ، ومننه الجزيلة، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ.

أما بعد:

فهذه الطبعة الخامسة لشرحنا على «القول المفيد» بعد نفاد الطبعة السابقة، وفيها تعديلات على ما سبق، ومقابلة على الطبعة العاشرة للقول المفيد.

وأحمد الله تعالى فقد حصل له قبول طيب في دول كثيرة، وتُرجم إلى عدة لغات، والله الموفق.

نسأل الله عز وجل الإخلاص والقبول في جميع الأقوال والأعمال، وحسن الختام.

جماد أول ١٤٤٦ هـ



مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الواحد الأحد، الملك العلام، الغني المتعال، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فهذه الطبعة الثالثة منقحة ومصححة، وهي ناسخة لما قبلها؛ لما احتوته من تعديلات هامة، والله المستعان.

١٤٣٥ هـ



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية منقحة ومزيدة بفوائد عديدة، وإضافات رشيدة، نتحف بها طلاب التوحيد ودعاته، ونبشرهم أن العاقبة للموحدين الصالحين.

فجدُّوا - بارك الله فيكم - في دراسة التوحيد ونشره والدعوة إليه ومحاربة الشرك والتحذير منه في الليل والنهار، والصحة والمرض، والحضر والسفر، واحتسبوا الأجر عند الله ربكم؛ فإن الله سبحانه لا يضيع أجر المحسنين.

ولأن يهدي الله تعالى بك رجلًا واحدًا خير لك من أموال الدنيا وحمرائها وصفرائها.

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الرحمن، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه

أبو عبد الله محمد المصنعي

في دار الحديث - معبر

عام ١٤٢٩هـ



مقدمة الشارح للطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.

أما بعد:

فهذا شرح ميسر على "القول المفيد[١]" للشيخ محمد حفظه الله تعالى، وقد سبق لنا عليه شرح مطول[٢] وآخر مختصر، ثم عمدت إلى تلك الشروح وإلى غيرها فاستللت منها شرحًا ميسرًا يناسب طلاب العلم المبتدئين وغيرهم؛ لأن هذا الكتاب العظيم يدرس للمبتدئين غالبًا.

فأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا للإسلام والمسلمين، وأن يجعل له القبول كما جعله لأصله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وكتب

أبو عبد الله المصنعي

معبر / ربيع الثاني / ١٤٢٦هـ



(١) الطبعة الثامنة الصغيرة، ط: الإرشاد.

(٢) ثم تركناها فقد يسر الله تعالى بشرح الطبعة الكبيرة، وهو "الشرح الجديد على القول المفيد".

ترجمة شيخنا ووالدنا الإمام العالم الأثري
محمد بن عبد الوهاب الوصابي
رحمه الله تعالى ورفع درجته [١]

θ **اسمه ونسبه:**

أبو إبراهيم محمد بن عبد الوهاب بن علي الوصابي العبدلي اليمني.
(الوصابي) نسبة إلى وصاب الأسفل من أعمال ذمار، وتقع غرب ذمار، على بُعد نحو (٨ ساعات) بالسيارة.
(العبدلي) نسبة إلى بني عبد الله، وهي عزلة من وصاب الأسفل.

θ **مولده، ونشأته:**

ولد في ١٢ صفر ١٣٧٦ هـ، في عزلة بني عبد الله، ونشأ بها، وكان يميل إلى الاستقامة منذ صباه، لا سيما مع كونه نشأ في أسرة متدينة؛ فنشأ في سمته وسكينته.

θ **طلبه للعلم:**

درس الخط والقراءة والكتابة، وحفظ من القرآن الكريم على يد والده، ومدرسيه في بلده وصاب.
وفي بداية شبابه رحل إلى أرض الحرمين، ودرس في دار الحديث في المدينة النبوية خمس سنين من عام ١٣٩٢ – ١٣٩٦ هـ ، ثم تحول إلى معهد الحرم المكي فدرس فيه سنتين وهما ١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ، ثم رجع إلى بلده وصاب، وقام بالدعوة إلى التوحيد والسنة، ونبذ الشركيات والبدع ؛ فعارضه من عارضه وأنكروا عليه، لا سيما وأن مذهبهم شافعي، وللصوفية التي تدعي أنها شافعية اليد الطولى في البدع والشركيات في تلك البلاد وغيرها.

---

(١) الترجمة بتعديل الشيخ بقلمه في حياته رحمه الله تعالى.

ثم تحول إلى مدينة الحديدة وسكن بها عام ١٣٩٩هـ-فما بعده. وأسس مسجد السنة بالحديدة في حي زايد هذا العام، واستمر في الدعوة والتعليم .

ومن مسجده انطلقت الدعوة إلى التوحيد والسنة.

ثم استقر الأمر على قبول السنة، وانتشرت في تلك البلاد بسبب ذلكم الشيخ المبارك وغيره.

رحلته إلى الإمام الوادعي رحمه الله تعالى :

ثم رحل إلى الشيخ مقبل ﷺ تعالى عام ١٤٠٨ هـ، وبقي في دماج نحو أربع سنوات، وكان يدرس في تلكم القلعة الشامخة، ويدرِّس الطلاب في دروس خاصة وغير ذلك.

فدرس على الشيخ مقبل في الكتب التالية: (صحيح البخاري) ، (صحيح مسلم) (تفسير ابن كثير) (شرح ابن عقيل في النحو) (فتح المغيث في المصطلح) (شرح علل الترمذي لابن رجب) (كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد) (كتاب الجوهر المكنون في البلاغة).

وعلَّمه الشيخ مقبل رحمه الله تعالى الإفتاء عمليًا فقد كان يقيمه بعد كثير من المحاضرات

للإجابة على أسئلة السائلين، والشيخ يستمع إليه وإذا رأى تصويبًا صوَّب.

ودرس (شرح قطر الندى كاملًا) على الشيخ عبد المصور العرومي رحمه الله تعالى ، وحفظ من القرآن على الشيخ عثمان السالمي وفقه الله تعالى، ودرس بعض الخطوط على أحد الطلاب المجيدين.

وكان يدرِّس الطلاب في دماج في كتب كثيرة منها: (شرح العقيدة الطحاوية) (الرسالة للشافعي) (المتممة في النحو) (الدراري المضيئة للشوكاني) (الرائد في المواريث) (إرواء الغليل للألباني) (القول المفيد). بالإضافة إلى تحركاته في الدعوة إلى الله تعالى.

θ انتقاله إلى الحديدة:

كان الشيخ رحمه الله تعالى قد بني له مسجد في مدينة الحديدة (مسجد السنة) كما سبق فانتقل بإشارة من الشيخ مقبل رحمه الله تعالى إليه في عام ١٤١٢ هـ واستقر فيه؛ فرحل إليه طلبة كثير، وكان قائمًا هنالك بالدعوة والتعليم والتأليف والفتوى ونشر السنة.

θ تآليفه:

الشيخ رحمه الله له باع في التأليف؛ فله من المؤلفات:

١- القول المفيد في أدلة التوحيد[١].

٢- إيضاح الدلالة في تخريج حديث: «لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة».

٣- القول المرضي في عمرة المكي.

٤- الجوهر عدد درجات المنبر.

٥- التلخيص الحبير في حكم رضاع الكبير.

٦- تحفة الأريب بما جاء في العصا للخطيب.

٧- القول الجلي في تخريج وتحقيق حديث القنوت للحسن بن علي.

٨- القول الصواب في حكم المحراب.

٩- الطرد والإبعاد عن حوض يوم المعاد.

١٠- تحقيق رسالة السيوطي (إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب).

وهذه كلها مطبوعة والحمد لله تعالى.

وله من المؤلفات ما يزيد على ثمانين مؤلفًا، ذُكرت في الترجمة المطولة لأحد الطلبة.

(١) وكان تأليفه عام ١٤٠٥هـ

وقد وصف الشيخ مقبل الشيخ محمدًا ومؤلفاته بقوله: (المتقن في تحقيقاته وتآليفه وكلامه على الحديث في غاية الإتقان[١]).

θ **حرصه على تطبيق السنة والدعوة إليها بالقول والعمل:**

إن الشيخ محمدًا رحمه الله تعالى يعتبر من المحافظين على تطبيق السنة في حياته كلها، في مأكله

ومشربه وزواجه ودعوته وصلاته وصومه ... وسائر عباداته.

ففي مسجده (مسجد السنة) الأذان على السنة، لا تمطيط ولا بدع فيه، والصلاة على السنة

- لولا تدخل بعض المسؤولين الذين ألزموه ببناء محراب فيه -، وهكذا في المحاضرات يحث على السنة، كما سمعناه في محاضرة له يقول: «السنة أن يكون المهر (٥٠٠ درهم)، بما يعادل كذا وكذا يمني، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وأهل السنة يكونون إن شاء الله تعالى في المقدمة، وأنا - والحمد لله - قد طبقت هذا في بناتي، أقول له هذا هو المهر ... نطبق السنة، ونحرص أن نكون سنيين بالقول وبالعمل، وهذا يعتبر دعوة عملية إلى السنة، التطبيق العملي دعوة إلى الخير وبركة والله». (من شريط أحكام الزواج).

وقال: «فنحن عباد الله مطالبون أن نعمل بالإسلام، وأن نطبقه قولًا واعتقادًا، إذا أردنا أن نسعد وأن نفلح وأن نفوز في الدنيا والآخرة ». (المرجع السابق).

وقال الشيخ مقبل الوادعي : تعالى واصفًا الشيخ محمدًا:

«شدة محبته للسنة. إذا ظهر له الحق عض عليه بالنواجذ، ولا يبالي بمن خالفه وهكذا ينبغي أن يكون أهل العلم.

---

(١) ترجمته في كتاب الترجمة للشيخ رحمه الله تعالى.

محبته الشديدة لأهل السنة، وكراهيته للمبتدعة.

اهتمامه بالعقيدة.

البغض الشديد للحزبية المقيتة التي فرقت شمل المسلمين.

التواضع والرفق والحلم والأناة؛ فقد وفق لذلك حتى أحبه طلبة العلم والعامة».

(مقدمة القول المفيد) والشاهد: ذكر السنة وتمسكه بها.

θ موقفه من المبتدعة:

لقد عُرف الشيخ ﷺ تعالى ببغضه للبدع وأهلها، وشهد له بذلك العلماء الكبار.

يقول الشيخ مقبل ﷺ تعالى: «الشيخ محمد هو الداعي إلى جمع كلمة المسلمين، المحذر من الحزبية المساخة، ويبغض المبتدعة كل بقدر بدعته». (مقدمة إيضاح الدلالة).

وقال في (مقدمة تنوير الظلمات، للشيخ محمد الإمام): «ومن علماء السنة المعاصرين الواقفين في وجه أصحاب الباطل: الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى، والشيخ / عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، والشيخ / ربيع بن هادي، وآخرون، وفي اليمن الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب الوصابي - فبدأ به -، ... والشيخ / عبد العزيز البرعي، والشيخ/ عبد الله بن عثمان الذماري، والشيخ / عثمان بن عبد الله السالمي، والشيخ / أحمد بن سعيد الحُجَري، والشيخ / عبد الرقيب الإبّي، ومن بين هؤلاء، الشيخ الداعية محمد بن عبد الله الإمام، وهو حفظه الله جامع بين العلم والعمل والدعوة...». اهالمراد.

وقال في (مقدمة فتح الوهاب): «وفي زمننا هذا علماء أجلاء واقفون في وجوه هذه البدع منهم الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز، ... وفي اليمن مجموعة مباركة منهم الشيخ عبدالعزيز البرعي، والشيخ محمد بن عبدالوهاب الوصابي، والشيخ محمد الامام، والشيخ عبدالمصور،...». اه المراد.

θ زهده وورعه :

مما لاشك فيه أن الشيخ رجل زاهد، ورع، صبور على الفقر والشدائد، وقد سمعناه ﷺ يقول: «كنا ندرس يعني في معهد الحرم النبوي ويعطونا ريالًا واحدًا مصروف اليوم كله، ونصبر من أجل العلم، وما أستدين، إن عندي مال اشتريت ما يسر الله تعالى به، وإن لم يكن عندي مال صبرت ولا أستدين، وهكذا كان أبي ﷺ تعالى، ولا أزال على هذا والحمد لله تعالى ..» اهـ.

وقد وصفه الشيخ مقبل ﷺ تعالى بقوله: « الزاهد الورع الصبور على الفقر والشدائد».

ومع هذا الزهد العجيب قرين حبيب وهو العفاف الشديد، ومن أقواله ﷺ تعالى الدالة على شدة عفته: «معاذ الله تعالى أن نبيع ديننا بدنيانا للجمعيات أو لغيرهم، كما فعل أبو الحسن».

وقال: «أهل السنة دعوتهم ما فيها البدع ولا الحزبيات ولا الجمعيات ولا تجميع الأموال، كما قال الله تعالى ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [سورة محمد:٣٦]، أهل السنة ما يجمعون الناس من أجل المال». (كما في شريط أحكام الزواج).

θ مشايخه :

هم كثير، أخذ عنهم بين مقلٍّ ومكثر، ومنهم: الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ مقبل، والشيخ صالح بن حميد ﷺ جميعًا، وغيرهم.

θ طلابه :

هم كثير أيضًا، أخذوا عنه بين مقلٍّ ومكثر، ومنهم: الشيخ عثمان السالمي، والشيخ جميل الصلوي، ويحي الحجوري!!، وكثير من كبار الطلاب بدماج درسوا عنده عند بقائه في دماج، وله طلبة كثير في دار الحديث بالحديدة، منهم: الشيخ محمد المحمدي، والشيخ على القليصي، والشيخ صادق البيضاني، والشيخ محمد با موسى، والشيخ أحمد بن سالم الزبيدي، والشيخ فاضل الوصابي، وغيرهم

وأنا درست عنده قليلًا بالحديدة، وفي دماج أثناء زياراته، وسمعت له الكثير من المحاضرات.

θ ثناء العلماء عليه:

قال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله تعالى في (مقدمة إيضاح الدلالة): «الشيخ / محمد بن عبد الوهاب شيخ التوحيد والحديث والفقه والأخلاق الفاضلة، والزهد الورع، وهو المربي الرحيم، وهو الداعي إلى جمع كلمة المسلمين، المحذر من الحزبية المساخة، وهو الصبور على الفقر والشدائد، وهو الحكيم في الدعوة، يحب سلف الأمة، ويبغض المبتدعة، كل بقدر بدعته، نسأل الله أن يثبتنا وإياه على الحق، وأن يختم لنا وله بالحسنى إنه سميع الدعاء».

وقال في (الترجمة ص:١٦٥): «الداعي إلى الله الزاهد الصابر المتقن في تحقيقاته وتآليفه، كلامه على الحديث في غاية من الإتقان، وهو قائم بمركز علمي في الحديدة بمسجد السنة». اهـ.

وقال في بعض دروسه: «لو أنصفوا لجعلوا الشيخ محمدًا مفتي اليمن».

وقال أيضًا: «إذا متُّ فعليكم بالشيخ محمد بن عبد الوهاب».

وقال الشيخ عبيد الجابري حفظه الله تعالى: «الشيخ محمد الوصابي سني عاقل». (شريط أسئلة حضرموت).

وأثنى عليه الشيخ ربيع في أكثر من مجلس، وشهد له بأنه من العلماء الكبار.

وقال العلامة أحمد سلامة رحمه الله تعالى: «إن الأخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الوصابي أهدى إلي رسالة أسماها القول المفيد..». اهالمراد (مقدمته للقول المفيد).

وقال الشيخ أحمد النجمي رحمه الله تعالى: «العالم الجليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي». (مقدمته للقول المفيد).

وقال يحي الحجوري هداه الله تعالى: «الشيخ الجليل الثبت الزاهد الصبور والعالم الوقور أبو إبراهيم محمد بن عبدالوهاب الوصابي العبدلي، من رؤوس حماة عرين السنة بلا مدافعة، منحه الله السكينة ومحبة السنة وأهلها، مواعظه أغلى من الدرر، له تآليف مطبوعة من أروعها وأنفعها "القول المفيد في أدلة التوحيد" ... وله مركز علمي مبارك بالحديدة يقيم فيه دروسًا نافعة[1]».

وقال الشيخ محمد الإمام وفقه الله تعالى: «والدنا العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي عرفته شيخًا يدعو إلى الله تعالى قبل أن أطلب العلم، فله في الدعوة عمر ودهر، وهو أكبر منا سنًّا وعلمًا، والشيخ محمد عنده ثبات عظيم، وصبر كبير، واستمرارية في الخير، وسير سديد، وتمسك قويم، وقد نفع الله تعالى به نفعًا عظيمًا، ولا يزال مستمرًّا على هذا الخير؛ تعليمًا ودعوة وتأليفًا وتحقيقًا...».

(من شريط: دعوة أهل السنة في اليمن)، بتصرف.

وقال الشيخ عبد الله بن عثمان حفظه الله تعالى: «الشيخ العلامة الإمام محمد بن عبد الوهاب الوصابي». (مقدمة إحدى المحاضرات بمعبر).

(١) من كتاب الطبقات ، ثم تنكر الحجوري لشيخه الشيخ محمد الوصابي، والله تعالى الموعد.

θ خاتمة:

هذه نبذة يسيرة من ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى، والمراد هو التعريف المختصر به و بجهوده، واستيعاب سيرته كاملة يطول، والله المستعان.

[وقد توفي في ١٠ رجب ١٤٣٦هـ؛ رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى، ودُفن بالرياض بالمملكة السعودية]. انتهى.

تمت ولله الحمد والمنة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

معبر / ربيع الثاني / ١٤٢٦هـ

والتعديل فيها عام ١٤٤١ هـ.

****

مقدمة المؤلف

القول المفيد في أدلة التوحيد [١]

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: إن الحمد لله [٢]، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

---

[١] القول: اللفظ الدال على معنى.

المفيد: ما تتم به الفائدة، ويصح الاكتفاء به.

في: حرف جر.

أدلة: جمع دليل، وهو في اللغة: المرشد، والمراد به هنا: نصوص الكتاب والسنة.

التوحيد: مصدر من وحد يوحد توحيدًا؛ أي: اعتقد الشيء واحدًا.

وشرعًا هو: إفراد الله ﷻ بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته(١).

[٢] الحمد لله: الثناء على الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله، مع المحبة والتعظيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه(٢)».

قوله: «نستعينه»؛ أي: نطلب العون منه ﷻ.

قوله: «ونستغفره»؛ أي: نطلب مغفرته.

قوله: «ونعوذ بالله»؛ أي: نلجأ إلى الله ﷻ ليعصمنا.

---

(١) فتاوى ابن عثيمين (٢ / ٧)، لوامع الأنوار (١ / ٦٥)، مجموعة التوحيد (١ / ٩٣).

(٢) البدائع (٢ / ٩٣).

=«من يهده الله» بفضله ورحمته، والهداية يراد بها: الإلهام والتوفيق للعبد، وهذا لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وأما الهداية بمعنى الدلالة والإرشاد فهذا عام في الأنبياء وأتباعهم.

«ومن يضلل» بعدله وحكمته.

«وأشهد» الشهادة: لغة الإقرار.

وشرعًا: الإقرار بالقلب واللسان، والإيمان الجازم أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

«عبده ورسوله»: وصفه بالعبودية لأنها أشرف مقام للمخلوق، ووصفه بالعبودية ردًّا على الغلاة المؤلهة، ووصفه بالرسالة ردًّا على المكذبين والملاحدة، «عبد فلا يعبد، ورسول فلا يُكذب».

«أما بعد»: كلمة يؤتى بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [سورة الأحزاب:٧٠].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[١].

و بعد:

فهذه رسالة مختصرة في أدلة التوحيد سميتها: «القول المفيد في أدلة التوحيد».

جمعت أدلتها من القرآن الكريم ومما ثبت في السنة النبوية، وقد طبعت الطبعة الأولى في الحديدة عام (١٤٠٥هـ).

وهأنا أقدم للقراء الكرام الطبعة الثانية، وفيها زيادات وتحقيقات.

أسأل الله العظيم أن ينفع بها، وأن يجعلها وكل أعمالي خالصة لوجهه الكريم؛ إنه على كل شيء قدير[٢].

---

[١] هذه خطبة الحاجة، وقد اشتملت على الأمر بالتوحيد والتقوى، والتحذير من الشرك والبدع.

[٢] من دلائل الخير في العبد أن يعمل، ثم يدعو الله تعالى بالقبول.

وصلى الله [١] وسلم وبارك [٢] على عبده ورسوله [٣] محمد وعلى آله [٤] وصحبه [٥] وسلم تسليمًا [٦] كثيرًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

صنعاء في ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ

أبو إبراهيم محمد بن عبد الوهاب بن علي الوصابي العبدلي

---

[١] الصلاة من الله تعالى على نبيه: الثناء عليه في الملأ الأعلى، زيادة في إكرامه ورحمته.

[٢] بارك: جعل فيه البركة، والبركة هي: ثبات الخير ودوامه ونموه.

[٣] عبد فلا يعبد، ورسول فلا يُكَذَّب.

[٤] «وآله»: آل محمد ﷺ هم: من تحرم عليهم الصدقة، وأزواجه، وقد تطلق ويراد بها الأتباع.

[٥] «وصحبه»: جمع صحابي، وهو: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك.

[٦] «وسلم»: دعاء بالسلامة من الآفات في الدين والدنيا.

معنى لا إله إلا الله [١]

أي: لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عبد فبباطل [٢].

---

[١] «لا إله إلا الله» كلمة الإسلام والتوحيد والتقوى، وهي أول ما يطلب قولها والإقرار بها ممن يريد الدخول في الإسلام، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان(١)».

كما في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وغيرهما: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ...» الحديث(٢)، وقد وردت في فضائلها آيات وأحاديث كثيرة، سيأتي بعضها في شروط «لا إله إلا الله».

[٢] قال الشيخ صالح الفوزان: «وهذا هو التفسيرُ الصحيح لهذه الكلمة عند السلف والمحققين(٣)».

وهذا التعريف جامع مانع، حيث أثبت عبودية الخلق لله عَزَّ وَجَلَّ، ووصفها بالحق؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الحق، وعبادته حق، وهو المستحق للعبادة وحده، لما له من صفات الكمال والعظمة والربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وقوله «بحق» قيد لازم لما سبق ذكره ومن أجل إخراج عبودية غيره؛ لأنها غير حق بل من أبطل الباطل.

---

(١) درء التعارض (٨ / ١١).

(٢) خ (١٤٠٠ / ٢٥) م (٢٠ / ٢٢).

(٣) عقيدة التوحيد (٤٠).

وزاد هذا المعنى وضوحًا قول المؤلف رحمه الله تعالى: «وغير الله إن عبد فبباطل»، فقد وقعت هذه العبادة لغير الله ﷻ، لكنها عبودية باطلة؛ لأنها آلهة لا تستحق العبادة، ولا تنفع عابدها إلا بخسارة الدنيا والآخرة[1].

****

(١) انظر للمزيد: المجموع الثمين (٢ / ١٩ - ٢٠)، حاشية الطحاوية للإمام ابن باز (ص ١٠٩ - ١١٠)، الجهل المبين (ص ٧ - ١٠).

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج:٦٢] [١].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩] [٢].

---

[١] ذكر المؤلف هذه الآية دليلًا على المعنى الذي ذكره.

قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: «فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما ادعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله تعالى من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات، واتضح بذلك أنه سبحانه هو المعبود بحق وحده». (حاشية الطحاوية).

[٢] ذكر المؤلف هذه الآية دليلًا على وجوب تعلم «لا إله إلا الله»؛ لأن العلم لمعنى هذه الكلمة والعمل به من آكد الواجبات على المسلم والمسلمة، ومن أجل جهل بعض المسلمين بمعناها وقعوا في دعاء غير الله والتمسح بالقبور ...إلى غيرها من الشركيات.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى: «وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في النار، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها[(١)]».

فيجب عليك أيها المسلم العلم بمعناها، والعمل بها؛ فلا تعبد إلا الله ﷻ، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، فلا ترائي، ولا تدعو غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، ولا تذبح لغير الله تعالى، ولا تحلف بغير الله سبحانه، ولا ترتكب أمرًا يخل بتوحيدك وعبادتك لله ﷻ.

---

(١) المجموع المفيد (ص ٥٦٧).

....

فصل

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «تضمنت هذه الشهادة الدلالة على وحدانية الله ﷻ المنافية للشرك، ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة والجماعة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها[١]».

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «وقد فُسّرتْ هذه الكلمةُ بتفسيرات باطلة منها:

أ- أن معناها: لا معبودَ إلا الله، وهذا باطلٌ؛ لأن معناه: أن كل معبود بحقٍّ أو باطل هو الله، وهذا من أبطل الباطل، وهو مذهب أهل وحدة الوجود، وهو مذهب الصوفية الغلاة.

ب- أن معناها: لا خالقَ إلا الله، وهذا تفسير باطل ليس قاصرًا فقط؛ لأن هذا يقر به المشركون؛ فلو كان معناها (لا خالق إلا الله) لصار المشركون موحدين[٢].

ج- أن معناها: لا حاكميّةَ إلا لله، وهذا أيضًا من معناها، وليس هو المقصود؛ لأنه لو أفرد الله تعالى بالحاكمية فقط ودعا غير الله تعالى؛ لم يكن موحدًا، وكل هذه تفاسير باطلة أو ناقصة؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض الكتب المتداولة» اهـ[٣].

وقد بسطت الكلام حول معنى «لا إله إلا الله» عند أهل السنة وعند الفرق الأخرى في رسالة «شرح كلمة التوحيد» ولله تعالى الحمد والمنة.

---

(١) المدارج (٣ / ٤٦٠) بتصرف.

(٢) الأجوبة المفيدة (ص٣٢).

(٣) عقيدة التوحيد (٣٩-٤٠)، والأجوبة المفيدة (ص٣٢).

....

شروط لا إله إلا الله

يجب عليك أيها المسلم العلم بشروط هذا الكلمة العظيمة والعمل بها؛ لأن الإخلال بها خطر على عقيدة المسلم، وسأذكرها باختصار مع ذكر دليل لكل شرط.

١- العلم بمعناها المنافي للجهل: وهو (أن لا معبود بحق إلا الله وأن عبادة غيره عز وجل من أبطل الباطل لا تجوز بحال) والدليل قوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » رواه مسلم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وهذه الكلمة لا تقبل عند الله ﷻ إلا باعتقاد ما تضمنته من النفي والإثبات والنطق بها والعمل بمقتضاها» اهـ.

٢- اليقين المنافي للشك، اليقين بأن الله ﷻ هو المعبود بحق وحده لا شريك له، ودليله ما رواه مسلم (٣١) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « مَن وجدْتَهُ يَشْهَدُ أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ».

وفي رواية (٢٧): «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة».

٣- الإخلاص المنافي للشرك، الإخلاص هو: إفراد الله ﷻ بالعبادة وحده لا شريك له، دليله ما روى البخاري (٩٩) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ ».

....

٤- الصدق المنافي للكذب والنفاق، الصدق أن يعتقدها بقلبه ويقولها بلسانه ويعمل بها، ودليله ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّار» متفق عليه[1].

٥- المحبة لها ولما تقتضيه ودلت عليه، من التوحيد والعبادة ومحبة أهلها وبغض ما ناقض ذلك، ودليله ما في الصحيحين [2] عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

قال الشيخ محمد الوصابي رحمه الله تعالى في الطبعة الكبيرة: «فأهل التوحيد يحبون الله حبًّا خالصًا، وأهل الشرك يحبونه ويحبون غيره معه، وهذا ينافي مقتضى لا إله إلا الله».

٦-الانقياد والاستسلام لما دلت عليه، ظاهرًا وباطنًا المنافي للترك، قال الله تعالى:

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [سورة لقمان:٢٢].

٧-القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه وعمله المنافي للرد والكبر، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الصافات:٣٥].

٨-الكفر بالطواغيت وبعبادة غير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

****

(١) (خ١٢٨) (م٣٢).

(٢) (خ١٦) (م٤٣).

معنى شهادة محمد رسول الله [١]

أي: لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ، وغير رسول الله إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل[٢].

---

[١] محمد رسول الله ﷺ: ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من كنانة، وكنانة من ذرية إسماعيل ﷺ، وفي الحديث: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(١).

قوله: «رسول الله»: الرسول لغة: المرسل برسالة(٢)، وشرعًا: عبد عاقل ذَكَر اصطفاه الله تعالى بالوحي إليه، وفضّله على أهل زمانه بصفات خلقية وخُلقية.

ولكل رسول شرعة ومنهاجًا، إلا أن شريعة رسولنا ﷺ نسخت جميع الشرائع، ولم يبق إلا الإسلام دين محمد ﷺ.

الرسول يبعث إلى قوم كفار غالبًا، والنبي يبعث إلى قوم مؤمنين غالبًا.

[٢] قوله: «لا متبوع بحق» لأن الله ﷻ أمر باتباعه وتوعد من خالفه بالعذاب والنار والهلاك والفتنة ...إلخ.

وقيَّد الاتباع بقوله (بحق) لإخراج المتبوعات بباطل، ثم زاد في ذلك وضوحًا قوله: «وغير رسول الله إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل».

....

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة ﷺ.

(٢) اللسان (١١ / ٢٨٣).

وكيفية الاتباع ومعناه، معناه: التمسك بما كان عليه النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والترك ولزوم ذلك.

وذلك بالعمل بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، والثبات على ذلك حتى الموت.

قوله: «فيما لا دليل عليه»: يريد بذلك أن اتباع العلماء والأخذ بفتاويهم المدعومة بالأدلة لا يعتبر مخالفًا لاتّباع النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:٤٣]، فهو من المأمور به؛ فلذلك قيد الذم بمن اتبع بلا دليل، كما يحصل من أتباع الصوفية والشيعة والروافض والحزبيين وسائر المنحرفين عن التمسك بالسنة.

وأسعد الناس بالاتباع هم أهل السنة والجماعة، ولا يقوم به أحد حق القيام مثلهم، وسائر أهل البدع لا يقومون به.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «كلما كان الرجل أتبع لرسول الله ﷺ كلما كان أكمل توحيدًا(١)»اهـ.

وقوله: (لا متبوع بحق إلا رسول الله...) هذا التعريف جميل، إلا أن الاتباع من لوازم الإيمان به ﷺ، وقد ذكر الشيخ في الطبعة الأخيرة تعريفًا آخر وهو: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر.

ومعنى شهادة (محمدًا رسول الله): أن محمدًا مبعوث من الله ﷺ بالحق إلى الإنس والجن كافة، وأن الإيمان به واجب، لا يتم إسلام أحد إلا بذلك.

---

(١) الفتاوى (٣ / ٣٦).

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:٣] [١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [سورة النساء:٦٥] [٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [سورة الأحزاب:٣٦] [٣].

---

[١] ذكر الآية دليلًا على الاتباع، وهكذا ما بعدها. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «أي اقتفوا آثار النبي ﷺ الذي جاءكم بكتاب أنزل عليكم من ربكم ولا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره (١)».

[٢] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، وأن يعتقد أن ما حكم به هو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرًا وباطنًا» اهـ تفسيره.

[٣] قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «أي: لا ينبغي ولا يليق، بمن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع إلى مرضاة الله تعالى ورسوله، والهرب من سخط الله تعالى ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما...» اهـ تفسيره.

---

(١) تفسيره. الأعراف: (٣).

....

فصل في حكم سب النبي ﷺ

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «كل من سب النبي ﷺ أو تنقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل»[١].

وقد كانت امرأة تسب النبي ﷺ فقتلها زوجها فقال ﷺ: «اشهدوا أن دمها هدر[٢]».

وكان كعب الأشرف يهجو النبي ﷺ فبعث إليه من اغتاله[٣].

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «اعلم وفقنا الله تعالى وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه، أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب يقتل .. وكذلك من لعنه أو دعا عليه، .. أو عيَّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم» اهـ[٤].



(١) الصارم المسلول (١ / ٢١٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في الصحيح المسند (٦٠٥).

(٣) خ (٣٠٣١)، (م ١٨٠) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) الشفا (٢ / ٩٣٢).

أين الله؟ [١]

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥]،...

---

[١] هذا سؤال وجيه حسن، وهو سؤال شرعي ثابت بالسنة، كما سيأتي في حديث معاوية ابن الحكم السلمي ﷺ، وينبغي أن يلقن أولاد المسلمين من صغرهم هذا السؤال حتى تثبت العقيدة الصحيحة في قلوبهم.

ومن أنكر هذا السؤال فهو كما قال عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى:

«ومن أجهل وأسخف عقلًا وأضل سبيلًا ممن يقول: إنه لا يجوز أن يقال: (أين الله؟) بعد تصريح صاحب الشريعة بقول: (أين الله؟)»[١].

والمقصود من هذا الباب: إثبات علو الله ﷻ على خلقه واستوائه على عرشه؛ استواء يليق بجلاله سبحانه، والاستواء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ؛ فلا ينكره إلا مبتدع ضال منكوس العقل، وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى الأدلة الكثيرة على استواء الله ﷻ، ونقل الإجماع غير واحد من السلف.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ﷻ فوق العرش، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات»[٢].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٨٩).

(٢) رواه اللالكائي (٣ / ٥٠٣).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٢].

في ستة مواضع من القرآن وهي:

١- الأعراف آية: ٥٤ ٢- يونس آية: ٣

٣- الرعد آية: ٢ ٤- الفرقان آية: ٥٩

٥- السجدة آية: ٤ ٦- الحديد آية: ٤

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٨].

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل:٥٠].

---

[٢] هذه الآيات فيها استواء الله على العرش، ومعناه: ارتفع وعلا.

قال بشر الزهراني: «الرحمن على العرش استوى»: ارتفع[١].

وهذا هو التفسير الصحيح، ولا يعتد بأهل البدع الذين ينكرون علو الله تعالى واستواءه.

وقال ابن خزيمة رحمه الله تعالى: «من لم يقر بأن الله تعالى على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي في مزبلة لئلا يتأذى بريحه المسلمون»[٢]، يعني: إذا جحد الأدلة، كالجهمية، أما من كان متأولًا فحكمه حكم المتأول.

وبهذا تعلم خطأ من يقول: «الله في كل مكان»، وهذا القول الباطل مردود بالأدلة الكثيرة، ثم إن الله ﷻ غني عن خلقه لا يحتاج إليهم لكماله وغناه.

ثم يقال لهذا الجاهل: أي مكان تريد؟ الأرض وشوارعها وكل مكان فيها؟ ألا تستحي!

---

(١) العلو (١٦٠).

(٢) التوحيد (٢ / ٨).

فكيف ترد الأدلة إلى هذا القول الباطل الذي لا يقر به عاقل يعرف ربه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، فهو الأعلى سبحانه، وهو العلي المتعال، والله تعالى على العرش وهو بكل شيء عليم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «الله على عرشه لا يخلو شيء من علمه».

وهكذا قال أئمة الهدى. وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[1].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ هذه الآية والتي بعدها في إثبات الفوقية لله ﷻ، وعلو القهر وعلو الذات له ﷻ.

(١) انظر العلو للذهبي (١٤٥، ٢١٦، ١٩١) وسنده صحيح.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر:١٠] [١].

والأدلة من السنة كثيرة منها:

١- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي» [٢] أخرجه البخاري رقم(٣٠٢٢) ومسلم رقم (٢٧٢١).

٢-عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال:... كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أُحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي،

---

[١] الشاهد من الآية (يصعد) و (يرفعه).

قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى - ردًا على من يقول: إن الله في كل مكان- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قال: «كيف يصعد إليه شيء معه، ويعرج إليه شيء معه؟»(١). لأن الصعود يكون من أسفل إلى أعلى، وهذا رد عليهم.

[٢] والشاهد من الحديث: «عنده فوق العرش» دليل على أن الله ﷻ فوق العرش وهو غني عن العرش وعن جميع الخلق.

وفي هذا الحديث بيان لسعة رحمة الله تعالى ولطفه بعباده.

---

(١) العلو (٢١٦).

قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» [١] قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة»[٢] أخرجه مسلم (٥٣٧)[٣].

---

[١] أين دعاة الإخوان المفلسين وجماعة التبليغ وسائر أهل البدع كالصوفية والأشاعرة والمعتزلة والشيعة وغيرهم من هدي محمد ﷺ أفلا يستحون من جهلهم وإنكارهم على أهل السنة السؤال: أين الله؟ وتلقين المسلمين الجواب عليه.

[٢] فمن لم يؤمن بأن الله تعالى في السماء، (أي: العلو)، فليس بمؤمن صادق الإيمان وإن صلى وصام وادعى العلم.

[٣] وقد طعن في هذا الحديث بعض المبتدعة بدون حجة ولا برهان وهو حديث صحيح صريح وهؤلاء الطاعنون أين يذهبون بالأدلة من القرآن والسنة والتي تبلغ نحو ألف دليل كما قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية.

وقوله في الحديث: «أُحد» هو جبل أحد المعروف و«الجوانية» موضع قريب منه.

وقوله: «آسف»؛ أي: أغضب.

وقوله: «صككتها»؛ ضربها في وجهها.

....

فصل في الرد على من فسر الاستواء على العرش بالاستيلاء

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى في الرد على من أنكر استواء الله على عرشه:

«ومن الغريب أن الذين فروا منه بالتأويل - أي من إثبات العلو - قد وقعوا فيما هو أشر منه بكثير ويمكن حصر ذلك في أمور:

الأول: التعطيل، وهو إنكار صفة علو الله تعالى على خلقه علوًا حقيقيًّا يليق به تعالى...

الثاني: من قال: [معنى (استوى): (استولى)] فقد نسب الشريك لله تعالى في خلقه؛ فإن الاستيلاء لا يكون إلا بعد المغالبة... [والله تعالى لا مضاد له]...

فتأمل ما صنع الكلام بأهله، لقد زين لهم أن يصفوا الله تعالى بشيء هو من طبيعة المخلوق واختصاصه - وهو الاستيلاء - ولم يرضوا بأن يصفوه بالاستعلاء الذي لا يماثله شيء وقد قال به السلف[1].

****

(١) مقدمة العلو (٣١ - ٣٢) بتصرف.

مراتب الدين ثلاث

وهي:

θ الإسلام. θ والإيمان. θ والإحسان.

وهذا الترتيب أخرجه الإمام مسلم رقم (٨)عن عمر ﷺ [١].

---

[١] عن عمر ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». قال ابن رجب ﷺ تعالى في شرح حديث عمر ﷺ: «وهو حديثٌ عظيمٌ جدًّا، يشتملُ على شرحِ الدِّين كُلِّه، ولهذا قال النَّبي ﷺ في آخره: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» بعد أنْ شرحَ درجةَ الإسلامِ، ودرجةَ الإيمانِ، ودرجة الإحسانِ، فجعل ذلك كُلَّه دينًا...» اهـ جامع العلوم والحكم.

....

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى: «هذا حديث عظيم، سماه بعض أهل العلم (أم السّنة)؛ لأن جميع السنة تعود إلى هذا الحديث؛ فإن الحديث فيه بيان العقيدة، والعقيدة مبنية على أركان الإيمان الستة، وفيه بيان الشريعة، وذلك بذكر أركان الإسلام الخمسة، وفيه ذكر الغيبيات والأمارات ...

وهذا الحديث فيه ذكر الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه أن هذه الثلاثة هي الدين؛ لأنّه في آخرها قال ﷺ: «أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» فإذن الدين الذي هو الإسلام منقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان». اهالمراد[1].

****

(١) من شرح الأربعين (ص ٢٩ - ٣٠).

تعريف الإسلام[١]

الإسلام هو: الاستسلام لله[٢] بالتوحيد[٣]، والانقياد له بالطاعة[٤]، والبراءة[٥] من الشرك وأهله[٦].

---

[١] الإسلام هو دين جميع الرسل والأنبياء كما في آية آل عمران (١٩) فجميع الأنبياء بعثوا بالدعوة إلى توحيد الله ﷻ وطاعته والبراءة من الشرك وأهله، وهذا الإسلام العام، والإسلام الخاص: وهو دين محمد ﷺ الذي نسخ الأديان السابقة فلا يقبل الله ﷻ سواه في الدنيا والآخرة ممن أدركه كما في آية آل عمران (٨٥).

[٢] ظاهرًا وباطنًا ورغبة ورهبة فعلًا وتركًا تعبدًا لله ﷻ.

[٣] التوحيد هو: إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء وصفات.

[٤] الانقياد: بفعل الطاعات وترك المحرمات ابتغاء وجه الله ﷻ وخوفًا من عذابه، فطاعة الله ﷻ تشمل فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه قال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [سورة الحشر:٧].

[٥] المعاداة والبغض للشرك ومعاداة أهله وبغضهم والبعد عنهم والحذر والتحذير من الشرك الأصغر والأكبر ولازم ذلك الدعوة إلى التوحيد والإسلام، قال تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة المجادلة:٢٢].

وقال تعالى عن إبراهيم ﷺ وقومه:﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة:٤].

[٦] وأهله: المشركون قسمان:

١- أصليون؛ ككفار قريش، والمجوس، والبوذية، واليهود والنصارى ... إلخ. =

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [١] [سورة آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [٢] [سورة المائدة:٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [٣] [سورة الزمر:٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:١٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [٤] [سورة آل عمران:١٠٢].

= ٢- مرتدون؛ كمن يذبح للقبر، أو يعتقد أن غير الله تعالى يعلم الغيب، أو يدعو غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو يؤمن بالديموقراطية، أو يحكم بغير بما أنزل الله راضيًا بذلك، وراغبًا عن حكم الله ... إلى آخره، وسيأتي تفصيل ذلك كله.

[١] آية آل عمران: (١٩).

قال السعدي رحمه الله تعالى: «أي: الدين الذي لا دين لله سواه، ولا مقبول غيره، هو الإسلام وهو: الانقياد لله وحده، ظاهرًا وباطنًا بما شرعه على ألسنة رسله». اهـ تفسيره، وهذا الإسلام العام.

[٢] هذه الآية العظيمة المباركة فيها أن الله ﷻ أكمل الدين واختاره لهذه الأمة، ورضيه لهم دينًا كما اختارهم له؛ فوجب عليهم الرضا به ظاهرًا وباطنًا والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه والدفاع عنه ونشره بالبيان والسنان وهو دين محمد ﷺ.

[٣] آية الزمر؛ أي: أنيبوا لله ﷻ بقلوبكم، وأسلموا له بجوارحكم، فشرط على المنيب أن يسلم لله ﷻ وينقاد لأمره؛ فمن حاد عن الإسلام فهو متوعد بالعذاب.

[٤] آية البقرة: (١٣٢) وآل عمران: (١٠٢)، فيهما الأمر بملازمة الإسلام والتوحيد والطاعة حتى الموت، فنسأل الله الكريم الثبات حتى نلقاه.

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [١] [سورة آل عمران:٨٣].

---

[١] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام.

﴿يَبْغُونَ﴾ يريدون ويرغبون فيه لجهلهم بالدين الحق، وعنادهم الباطل.

﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ استسلم وانقاد لأمره وقهره.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهم الملائكة.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ سائر المخلوقات من إنس وجن وحيوانات وغيرها.

﴿طَوْعًا﴾ وهم المؤمنون وسائر الخلق إلا كفار الإنس والجن.

﴿وَكَرْهًا﴾ وهم الكفار؛ فهم مسيرون بأمره وقهره.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ جميعًا فيجازيهم كلًّا بما يستحق.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢]

[سورة آل عمران:٨٥].

---

[٢] آية آل عمران (٨٥). فمن دان بدين غير الإسلام فهو لم يدن لله تعالى حقيقة؛ لأنه لم يسلك الطريق الذي أراده الله ﷻ فلن يقبله الله منه، ويعتبر كافرًا، وهذه الآية دليل على نسخ جميع الديانات بشريعة محمد ﷺ، كما قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بي إلا دخل النار»(١).

فيا عجبًا لمن خلقه الله تعالى مسلمًا موحدًا ثم يبيع الإسلام ويؤمن بكاهن، أو يرضى بمبادئ كفرية، أو يلجأ إلى غير الله تعالى، أو يقطع الصلاة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

****

(١) رواه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة ﷺ.

أركان الإسلام خمسة [١]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ»[٢] أخرجه البخاري رقم (٨) ومسلم رقم (١٦).

---

[١] الركن: جانب الشيء الأقوى المعتمد عليه، وأركان الإسلام هي: دعائمه التي يقوم بها.

[٢] (خ٨) (م١٦).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «المراد من هذا الحديث: أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي الأركان والدعائم لبنيانه، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء، نقص البنيان بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس؛ فإن الإسلام يزول بفقدها جميعا، وكذلك يزول بفقد الشهادتين»(١).

وفي صحة إسلام تارك الصلاة خلاف مشهور، والله المستعان.

وشرح هذه الأركان في كتب الفقه، ولا بأس أن نشرحها هنا باختصار:

سبق شرح الشهادتين.

وأما الصلاة: فهي لغة: الدعاء، وشرعًا: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، مع النية، تؤدى تعبدًا لله تعالى.

ومعنى «إقام الصلاة»: القيام بأركانها وشروطها وأذانها، وفي المكان الذي أمرنا به، وغير ذلك من لوازمها.

والزكاة لغة: النماء والتطهير، وشرعًا: إخراج الحق الواجب من المال الذي تجب في الزكاة

---

(١) جامع العلوم والحكم (٥٢ - ٥٣).

تعبدًا.

ومعنى «إيتاء الزكاة»: إخراجها ودفعها إلى مستحقيها تامة شروطها حسنة أنواعها.

وأما الصيام فهو في اللغة: الإمساك، وشرعًا: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تعبدًا لله تعالى.

وأما الحج فهو في اللغة: القصد، وشرعًا: قصد المشاعر المقدسة لأداء مناسك الحج المشروعة في زمن مخصوص تعبدًا لله تعالى.

[وانظر الكلام على شروط هذه الأركان وفروضها وواجباتها وغير ذلك في رسالتنا «مفتاح علوم الشريعة»، ولله الحمد والمنة].

****

تعريف الإيمان[١]

الإيمان نطق باللسان[٢]، واعتقاد بالجَنان[٣]، وعمل بالجوارح والأركان[٤]

[١] الإيمان لغة: الإقرار[(١)].

وشرعًا: ما ذكره الشيخ، وهو تعريف جامع مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة.

[٢] نطق باللسان: وهو كل طاعة تقال باللسان، كالشهادتين والتسبيح والذكر وقراءة القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، وحديث أبي هريرة وأبي سعيد ﭫ وغيرهما الآتية في باب زيادة الإيمان ... وهذه كلها كما أنه نطق فهي نطق مع اعتقاد القلب، لا ينفك أحدهما عن الآخر.

[٣] اعتقاد القلب: كل طاعة يقوم بها القلب، ومنها: إقراره بالعبودية والتوحيد لله ﻷ والإخلاص له وكره الشرك والبدع والمعاصي...، كل هذه من إيمان القلب وعقيدته، ويدخل أيضًا في ذلك الإيمان بالمغيبات كالملائكة والجنة والنار والإيمان بالقدر.

[٤] الجوارح والأركان: هي الأعضاء: كل طاعة تُعمل بالجوارح وعمل الطاعات داخل في الإيمان، كما في حديث أبي هريرة ﭬ أن النبي ﷺ قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[(٢)].

فسمى إماطة الأذى إيمانًا، وقد استرسل في ذكر ذلك البخاري ﬗ تعالى في صحيحه في كتاب الإيمان. =

(١) الإيمان لابن تيمية (٢٩٢).

(٢) رواه مسلم (٣٥).

ويزيد بالطاعة والعلم، وينقص بالمعصية والجهل[١].

= وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل : قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»(١).

فأعمال القلب واللسان والجوارح متلازمة: «إنما الأعمال بالنيات».

[١] يزيد بالطاعة: وهي فعل ما أمر الله ﷻ وترك ما نهي عنه.

وينقص الإيمان الواجب بفعل المعصية: وهي ارتكاب ما نهى الله ﷻ عن فعله، أو ترك ما نهى الله عن تركه، أو التقصير فيه، كمن يتلاعب بالصلاة ويقصر في أدائها.

والدليل على نقص الإيمان بترك الطاعة حديث أبي سعيد رضي الله عنه وفيه: «أما نقصان دينها فتمكث الأيام لا تصلي، وتفطر في رمضان ..»(٢).

****

---

(١) آخر الواسطية.

(٢) (خ٣٠٤) (م٨٠).

أركان الإيمان ستة [١]

اعلم أخي المسلم - وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه[٢]: أن رسول الله ﷺ لما سأله جبريل[٣] عن الإيمان[٤] قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» فقال له جبريل عليه السلام: «صدقت».

أخرجه البخاري رقم (٥٠) ومسلم رقم (٩، ١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه

وأخرجه مسلم رقم (٨) عن عمر رضي الله عنه وهذا لفظ حديثه.

---

[١] قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وأتباعهم، وهي أصل العقيدة التي تنجي من عذاب الله تعالى»(١).

[٢] دعاء المعلم للطالب فيه فائدتان:

الأولى: الحرص على الخير للطالب وحب النفع له والتودد إليه ليقبل الحق والعلم.

الثانية: أن العلم - والدعوة - مبني على الرحمة بين المعلم والمتعلم والداعي والمدعو.

[٣] واشتهر الحديث بحديث جبريل وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي مسلم عن عمر رضي الله عنه واللفظ له، وقد سبق في باب مراتب الدين.

[٤] في هذا الحديث فسر رسول الله ﷺ الإسلام بالأعمال الظاهرة وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة، وهما بهذا يفترقان في المعنى لكن إذا ذكر الإسلام أو الإيمان بمفرده شمل الآخر.

---

(١) جامع العلوم والحكم.

....

شرح أركان الإيمان:

أ- الإيمان بالله: هو الإقرار والاعتقاد الجازم، بوجود الله ﷻ وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وسيأتي شرح هذه الفقرات في دروس مستقلة.

ب-الإيمان بالملائكة: (مجمل): نؤمن بوجودهم وبما علمنا عنهم في الكتاب والسنة وبما لم نعلم.

(ومفصل): نؤمن بما ورد من صفاتهم وأعمالهم وخلقهم كصفة جبريل وأن له ستمائة جناح، وبميكائيل وإسرافيل ومالك خازن النار، وأن عدد ملائكة النار تسعة عشر، وأن جبريل أمين الوحي، وأن من حملة العرش ملك ما بين أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام... إلى غير ذلك مما صح عن الملائكة.

ج- الإيمان بالكتب: وهو على قسمين أيضًا:

(مجمل): وهو الإيمان بجميع الكتب المنزلة ما علمنا منها وما لم نعلم فمن كفر بواحد منها فقد كفر بالجميع.

(والإيمان المفصل): الإيمان بأنها كلام الله ﷻ غير مخلوق، ونؤمن بأسماء ما ذكر الله ﷻ منها كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وأن القرآن ناسخ لجميع الكتب السابقة وهو أفضلها... إلخ.

د- الإيمان بالرسل: وهو أيضًا على قسمين:

(مجمل): وهو الإيمان بجميع الرسل ما علمنا منهم وما لم نعلم، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع.

(مفصل): الإيمان بمن ذكر الله ﷻ منهم ورسوله ﷺ وبأسمائهم وأخبارهم وبعصمتهم من الكبائر، وأنهم بلغوا ما أرسلوا به، وأن نبينا محمدًا ﷺ خاتمهم وخيرهم... إلخ.

....

هـ- الإيمان باليوم الآخر: ويشمل الإيمان بنعيم القبر وعذابه والبعث والنشور والحساب والميزان والجنة والنار... إلخ، وبما ذكر الله ﷻ ورسوله ﷺ من أخبارها وأحوالها.

و- الإيمان بالقدر خيره وشره: نؤمن بأن الله ﷻ قدر الخير والشر، فلا يقع شيء إلا بتقديره سبحانه وله الحكمة البالغة.

ومراتب القدر أربع:

١- العلم: أن الله ﷻ علم كل شيء أزلًا وأبدًا، وأن الله بكل شيء عليم.

٢- الكتابة: أن الله ﷻ كتب كل ما هو كائن في اللوح المحفوظ.

٣- المشيئة: أن الله ﷻ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يقع شيء إلا بمشيئته.

٥- الخلق: أن الله ﷻ خالق كل شيء خلق الخلق وأعمالهم خيرها وشرها[١].

****

(١) راجع شرح هذه العبارات وأدلتها في شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين : تعالى، وغيره من الشروح.

أدلة زيادة الإيمان [١]

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [٢] [سورة آل عمران:١٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٣] [سورة الأنفال:٢].

---

[١] زيادة الإيمان دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وخالف في ذلك أهل الأهواء كالمرجئة ونحوهم.

والأدلة التي ذكرها المؤلف واضحة ظاهرة في صحة معتقد أهل السنة والجماعة.

[٢] قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: «﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ وهموا باستئصالكم، تخويفًا لهم وترهيبًا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانًا بالله واتكالًا عليه، ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا كل ما أهمنا ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ المفوض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم».

[٣] ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمان، العاملون بشرائع الدين، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: خافت وامتلأت من خشية الله تعالى، ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ لأنه لا بد أن يتبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون في قلوبهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم على ربهم وحده لا شريك له. اهـ

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة التوبة:١٢٤]

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [١] [سورة الأحزاب:٢٢].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾[٢] [سورة الفتح:٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [سورة المدثر:٣١].

---

[١] ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ الذين تحزبوا ضد الإسلام وأهله يوم الخندق، ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ في قلوبهم، ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ في جوارحهم، وانقيادًا لأمر الله. اهـ بتصرف من تفسير السعدي.

[٢] يخبر تعالى عن امتنانه على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، فهذه من نعم الله تعالى التي يزداد بها المسلم إيمانًا ويقينًا.اهـبتصرف.

****

أدلة نقصان الإيمان[١]

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٢].

أخرجه البخاري رقم (٩) ومسلم رقم (٣٥) واللفظ لمسلم.

٢- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٣]

أخرجه مسلم رقم (٤٩).

---

[١] نقصان الإيمان بالمعصية ونحوها دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح والفطرة والواقع، وما كان من شأنه الزيادة جاز فيه النقص.

[٢] حديث أبي هريرة ﷺ: بلفظ: «بضع وستون» وليس فيه: «فأفضلها... إلى قوله: عن الطريق»، بل هذا لفظ رواية لمسلم كما ذكر المؤلف، والشاهد من الحديث: قوله: «فأفضلها» ... «وأدناها»، دل على تفاوت الأعمال وعُمالهما، وذلك لتفاوت إيمانهم، ودل على أن الإيمان يتفاضل.

[٣] حديث أبي سعيد ﷺ : والشاهد فيه: قوله: «وذلك أضعف الإيمان» دل على نقص الإيمان وضعفه.

****

الإحسان ركن واحد [١]

ثم اعلم أن رسول الله ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [٢].

أخرجه البخاري رقم (٥٠) ومسلم رقم (٩،١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم رقم (٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

[١] الإحسان ضد الإساءة، وهو في اللغة: الإتقان، وهو قسمان: إحسان في عبادة الله ﷻ، وهو المراد في الحديث، وإحسان في معاملة الخلق.

فأما في عبادة الله ﷻ فيشمل الإخلاص والمتابعة فلا تكون العبادة حسنة متقنة إلا بهذين الأمرين، وأما الإحسان في معاملة الخلق فيشمل كف الأذى عنهم وبذل المعروف إليهم، وهذا من الإيمان وحسن إسلام المرء.

[٢] قوله: «أن تعبد الله» وفي رواية «تخشى الله»، «كأنك تراه» وهذا كمال الرجاء والخضوع والخوف والمتابعة، «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فيه الإخلاص والذل والمراقبة لله ﷻ في السر والعلن، فإذا أساء العبد في عبادة الله بما دون الشرك والكفر فهذا ناقص الإحسان والإيمان والإسلام، وإن وقع في الشرك الأكبر فهو مسيء منعدم الإسلام والإيمان والإحسان، نسأل الله السلامة والثبات.

****

تعريف التوحيد

اعلم أخي المسلم - وفقني الله وإياك - أن الإنسان لا يكون من أهل التوحيد الخالص إلا إذا أفرد الله بجميع أنواع العبادات[١].

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود ١-٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ [سورة هود:٢٥-٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[٢] [سورة الأحقاف:٢١].

---

[١] وهذا هو توحيد الألوهية، ويقال: توحيد العبادة، والتوحيد أشمل من هذا، فهو كما ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ونقل عنه الشيخ محمد رحمه الله تعالى في الطبعة الكبيرة: (إفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته)، وبهذا يعلم أن الإنسان لا يكون موحدًا إلا إذا أفرد الله ﷻ بجميع أنواع التوحيد، ومن أشرك في واحد منها فقد وقع في الشرك.

وإنما خص الشيخ توحيد الألوهية لكثرة الشرك فيه، ولأنه أعظم ما دعت إليه الرسل عليهم السلام.

[٢] هذه الأدلة التي ساقها الشيخ رحمه الله تعالى فيها دلالة واضحة على أن جميع الرسل جاؤوا بالدعوة إلى توحيد الله ﷻ.

....

وقال الإمام العلامة ربيع المدخلي غفر الله له: «تلك هي دعوة الأنبياء جميعًا وعلى رأسهم أولوا العزم منهم يسيرون في دعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد وهو التوحيد، أعظم القضايا والمبادئ التي حملوها إلى الإنسانيّة جميعاً في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم» اهـ[١].

(١) من "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله" (ص ٤٣ – ٤٤) ط. دار الفرقان.

ولا يكون الإنسان من المتبعين لرسول الله ﷺ اتباعًا صادقًا إلا إذا أفرد رسول الله ﷺ بالمتابعة، فكما أننا لا نعبد إلا الله فكذلك لا نتبع إلا رسول الله ﷺ [١].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] [سورة آل عمران:٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣] [سورة الحشر:٧].

---

[١] إفراد رسول الله ﷺ بالمتابعة من الإيمان والإسلام، ولهذا من لم ير متابعة الرسول ﷺ فليس بمؤمن ولا مسلم، كما هو حال اليهود والنصارى، وأما من كان مؤمنًا بنبينا محمد ﷺ وبوجوب متابعته وطاعته من المسلمين، لكن يجره هواه إلى المخالفة فهذا هو المبتدع؛ لأنه ابتدع طريقًا غير طريق رسول الله ﷺ، والله ﷻ لا يقبل العبادة إلا على الوجه الذي شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ، وبهذا تعلم خطر الاستحسانات والآراء والأفكار المخالفة لهدي محمد ﷺ.

[٢] قال السعدي رحمه الله تعالى: «وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها ... وعلامة الصدق فيها اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله».

[٣] هذا شامل لأصول الدين وفروعه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته ... ثم أمر بتقوى الله تعالى التي بها عمارة القلوب والأرواح والدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ على من ترك التقوى، وآثر اتباع الهوى. اهـ بتصرف من تفسير السعدي.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤] [سورة النساء:٦٥].

---

[٤] هذه الآية فيها دلالة واضحة على وجوب الاتباع له، وأنه لا يتم الإيمان إلا به، وتقدم شرح آية النساء (٦٥) في الباب الثاني.

****

أدلة التوحيد [١]

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة الزمر:٤٥].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [سورة غافر:١٢].

١- عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ...» [٢].

أخرجه البخاري رقم (١٣٣١) واللفظ له ومسلم رقم (١٩).

---

[١] هذه الأدلة التي هي بلفظ: «وحده، يوحدوا، وحّد، يوحّد» ذكرها الشيخ استدلالًا على التوحيد، وأدلة التوحيد كثيرة جدًّا، وفي هذه الأدلة أن أعداء التوحيد الذين ينكرون التوحيد ويحاربونه جهلوا توحيد ربهم، وخسروا دنياهم وآخرتهم، ومن أعداء التوحيد القبورية والمشركون وسائر الكفرة من يهود ونصارى ومجوس وبوذية واشتراكية ، وفي هذه الأدلة وغيرها رد على من يزهد في علم التوحيد نعوذ بالله من الضلال.

[٢] قصة بعث معاذ ﷺ انفرد بها مسلم عن معاذ ﷺ، واتفقا عليها من حديث ابن عباس ﷺ.

وحديث ابن عباس ﷺ ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي: تعالى في كتاب التوحيد، وذكر فيه فوائد كثيرة، فراجعها هناك، وفي هذه الأحاديث دليل صريح على أن التوحيد أساس الدين، ولا صلاح للدنيا والدين والآخرة إلا بالتوحيد.

٢- عن طارق بن أشيم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وحد الله تعالى، وكفر بما يعبد من دونه[١]، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ».

أخرجه مسلم رقم (٢٣).

٣- عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج».

أخرجه البخاري رقم (٨) ومسلم رقم (١٦) واللفظ لمسلم.

قلت: في هذه الأدلة رد على الجهال الذين ينكرون التوحيد.

---

[١] هذه الجملة: «وكفر بما يعبد من دونه» دليل على أن من شروط التوحيد الكفر بالطاغوت من معبودات باطلة، وأفكار إلحادية، ومبادئ وثنية؛ كالسحر، وعبادة القبور، والحلول، والاتحاد الصوفي، وتأليه البشر، وهكذا المذاهب الإلحادية؛ كالشيوعية والعلمانية والرأسمالية والبعثية والاشتراكية والناصرية والنصيرية والمكارمة الباطنية والديموقراطية، فلا بد للموحد أن يبغض هذه الكفريات، ويتبرئ منها ويحاربها قدر المستطاع.

وقال العلامة صالح الفوزان غفر الله له: «الانتماء إلى المذاهب الإلحادية كالشيوعية والعلمانية والرأسمالية وغيرها من مذاهب الكفر ردة عن دين الإسلام ...»(١).

****

(١) راجع عقيدة التوحيد (١٥٣) وما بعدها.

أقسام التوحيد أربعة[١]

اعلم أخي المسلم - ثبتني الله وإياك على الحق - أن التوحيد ينقسم إلى أربعة أقسام وهي:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الألوهية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

٤- توحيد المتابعة.

---

[١] هذا التقسيم استقرائي من أدلة الكتاب والسنة ومما ورد عن سلف الأمة رحمهم الله تعالى، وإنما أنكره بعض أهل الأهواء، ولا عبرة بخلافهم، وستأتي الأدلة الدالة على صحة هذا التقسيم.

****

أقسام التوحيد الأربعة كلها موجودة في سورة الفاتحة [١]

فقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة:١] فيها توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة:٢] فيها توحيد الربوبية.

وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة:٣-٤] فيهما أيضًا توحيد الأسماء والصفات [٢].

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥] فيها توحيد الألوهية[٣].

وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة:٦-٧] فيهما توحيد المتابعة[٤].

راجع (شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٩-٩٠) تحقيق الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، و(الجامع الفريد ص ٢٧٦).

---

[١] قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحت وعليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: ﴿اللَّهِ﴾

ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وتوحيد الأسماء والصفات: وقد دل على ذلك لفظ ﴿الْحَمْدُ﴾ يحمد لأنه كامل الأسماء والصفات، وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ... بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال ...» اهالمراد بتصرف يسير من تفسيره.

[٢] لأن فيها ثلاثة أسماء، والأسماء تتضمن الصفات.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥] فيها توحيد الألوهية[٣].

وقوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

[سورة الفاتحة:٦-٧] فيهما توحيد المتابعة[٤].

راجع (شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٩-٩٠) تحقيق الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، و(الجامع الفريد ص ٢٧٦).

---

[٣] فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ؛ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، لا نشرك بك شيئًا.

[٤] لأن الصراط المستقيم هو الإسلام الذي جاء به الرسل، وهم الذين أنعم الله عليهم، فمن اتبع الرسول ﷺ فقد اهتدى إلى صراط مستقيم.

****

الأول: توحيد الربوبية [١]

توحيد الربوبية هو: توحيد الله في أفعاله، ومعناه: أن الله هو المنفرد بالخلق والأمر، والموجد لهذه الكائنات من العدم إلى الوجود بدون شريك ولا معين.

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في ستة مواضع من القرآن الكريم، وهي كما يلي: ١- الفاتحة: (٢). ٢- الأنعام: (٤٥). ٣-يونس: (١٠). ٤-الصافات: (١٨٢). ٥-الزمر: (٧٥). ٦-غافر: (٦٥).

---

[١] سمي توحيد الربوبية نسبة إلى الرب ﷻ وهذا النوع من التوحيد لم ينكره إلا الملاحدة من الناس كفرعون والنمرود وهكذا الاشتراكية والدهريون ومن على شاكلتهم من الملاحدة والكفرة كالهندوس والبوذية وغيرهما.

وأما سائر المشركون فيقرون به إجمالًا مع الإخلال به في بعض الأمور كالاستسقاء بالنجوم ونسبة الضر والنفع إلى غير الله ﷻ كالجن، وأخل بتوحيد الربوبية طوائف القبورية وعباد الأقطاب والأوتاد من الصوفية الغلاة وغيرهم.

وقد ذكر الله ﷻ الربوبية في كتابه وحاج بها المشركين وأن ذلك مستلزم لإفراده بالعبادة كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١-]. فكما أنه لا خالق ولا مالك ولا مدبر ولا نافع ولا ضار إلا الله وحده فلا يجوز أن يعبد إلا إياه ﷻ فمن أخل بتوحيد الربوبية لم يقبل إسلامه وليس من الموحدين.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [١] [سورة الأعراف:٥٤].

---

[١] يبين تعالى أن الرب المعبود الحق وحده لا شريك هو الذي له خلق السموات والأرض وما فيهن وسخرها بأمره وهذه صفات ربوبية.

وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات، والأمر: المتضمن جميع الشرائع والنبوات، وهذه أيضًا صفات ربوبية.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، وهذه كلها صفات الربوبية، فدلت الآية على الربوبية من وجوه عدة.

****

الثاني: توحيد الألوهية [١]

توحيد الألوهية هو: توحيد الله في أفعال العباد.

ومعناه صرف جميع أنواع العبادات:

من: ذبح، ونذر، ودعاء، وتوكل، وخوف، ورجاء، وإنابة، ورغبة، ورهبة، وخشية، وغير ذلك من أنواع العبادات لله وحده لا شريك له [٢].

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾[٣] [سورة النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣].

---

[١] سمي توحيد الألوهية نسبة إلى الله (الإله) ﷻ وهذا التوحيد هو أجلُّ ما أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب وقام من أجله الجهاد بين المسلمين والمشركين الذين يحاربون توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة.

[٢] فلا يعبد مع الله ﷻ نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا عبد صالح ولا ضريح ولي ولا قبر نبي... إلخ، فمن عبد مع الله تعالى غيرَه وصرف له شيئًا من العبادة سواء كان ذلك تقربًا لله تعالى أو لغيره فقد وقع في الشرك كما قال الله تعالى عن الكفار: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، وهذا هو حال مشركي القبوريين.

[٣] قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: «يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلًّا وإخلاصًا له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة، وينهى عن الشرك به شيئًا لا شركًا أصغر ولا أكبر ...» اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٤] [سورة الذاريات:٥٦].

وهذا هو معنى: أشهد أن لا إله إلا الله.

---

[٤] وأسعد الناس بتوحيد الألوهية: هم دعاة التوحيد أهل التوحيد أهل السنة والجماعة ولا يقوم بهذا التوحيد على وجهه أحد سواهم، وهم الذين جندوا أنفسهم لمحاربة الشرك سالكين بذلك نهج الأنبياء عليهم السلام.

****

الثالث: توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات هو: ألَّا نسمي ربنا إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ولا نصفه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ [٢]، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل [٣].

---

[١] سمي توحيد الأسماء والصفات نسبة إلى أسماء الله ﷻ وصفاته، وتعريفه: إفراد الله في أسمائه وصفاته فلا مثيل له ولا نظير.

[٢] هذا هو المعتقد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة وقد ضل في باب الأسماء والصفات طوائف المعطلة الذين نفوا الأسماء والصفات أو بعض ذلك، والممثلة الذي مثلوا الله ﷻ بالخلق أو العكس - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وسيأتي التوسع في اللمعة والواسطية.

[٣] قوله: «من غير تكييف»: أي لا نجعل لصفات الله ﷻ كيفية معينة نحددها بعقولنا، وليس معناه أننا ننفي الكيفية وإنما لا نحددها بكيفية معينة مع إيماننا أن لصفات الله ﷻ كيفية يعلمها الله وحده سبحانه.

«ولا تمثيل»: لا نمثل الله تعالى بالخلق ولا نمثل الخلق بالله تعالى.

«ولا تحريف»: لا تُغيَّر معاني الأسماء والصفات إلى غير ظاهرها.

«ولا تعطيل»: لا ننفي ولا نجحد الأسماء والصفات أو بعضها بل نثبت كل ما أثبته الله تعالى لنفسه.

كما قال تعالى:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [٤] [سورة الشورى:١١].

وإنما نثبت له كل اسم وصفة وردا في الكتاب أو السنة الثابتة على الوجه الذي يليق بجلال ربنا.

فنؤمن بأنه يسمع ويبصر ويتكلم متى شاء وبما شاء وأنه مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله كما قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [٥] [سورة طه:٥].

---

[٤] فنفى المماثلة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ وأثبت الصفات ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، دل هذا على أن إثبات الصفات لا يلزم منه المماثلة، كما أن قوله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ رد على الممثلة، فلا مثيل له. وقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة والمحرفة؛ لأنه أثبت الصفات.

[٥] صفة الاستواء من أفعال الله تعالى وأهل السنة يثبتون أفعال الله ﷻ كما يثبتون أسماءه وصفاته كما يليق بجلاله، وأما أهل البدع فيحرفون معانيها أو يعطلونها.

****

الرابع: توحيد المتابعة [١]

توحيد المتابعة: هو أن نفرد رسول الله ﷺ في الاتباع، فلا نتبع إلا إياه اتباعًا مطلقًا. أما غيره فيتبع اتباعًا مقيدًا بما يوافق الشرع.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢] [سورة آل عمران:٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣] [سورة الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[٤] [سورة النساء:١١٥].

وهذا هو معنى: أشهد أن محمدًا رسول الله.

---

[١] توحيد المتابعة: سمي توحيدًا لأن الاتباع لا يكون إلا لرجل واحد، وهو رسول الله ﷺ، ولأنه لا يمكن أن يكون المسلم موحدًا تام التوحيد إلا إذا كان متبعًا لرسول الله ﷺ.

[٢] هذه الآيات دليل على أن الاتباع دليل على محبة الله ﷻ ومحبة دينه ورسوله ﷺ وشرعه، وأنه لا تتم طاعة عبد حتى يتم توحيده واتباعه.

[٣] هذه الآية دليل على وجوب كمال التسليم والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق والعمل، والتحاكم إلى ما جاء به من القرآن والسنة والرجوع إليهما عند الاختلاف.

[٤] هذه الآية ردٌّ على من يبتدع في الدين لأنه شاق الرسول ﷺ.

****

أقسام السنة أربعة [١]

١- سنة قولية. ٢- سنة فعلية.
٣- سنة تقريرية. ٤- سنة تركية [٢].

---

[١] السنة لغة: الطريقة، وشرعًا: الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو ترك.

[٢] قوله: «سنة قولية»: وهي الأقوال المشروعة في الكتاب والسنة، كالذكر وقراءة القرآن والشهادتين إلى غير ذلك من الأقوال المشروعة.

و «سنة فعلية»: وهي الأفعال المشروعة في الكتاب والسنة، كالصلاة والحج والصوم والجهاد... إلى غير ذلك من الأفعال المشروعة.

و «سنة تقريرية»: وهي كل ما أقره الرسول ﷺ ولم ينكره مما صدر من بعض الصحابة رضي الله عنهم كالعزل، وصلاة ركعتين عند القتل، وتفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان.

و«سنة تركية»: وهي قسمان:

١- ما أمر النبي ﷺ بتركه كالنياحة ومتابعة الكفار والجلوس على القبر وحمل المصحف إلى بلاد الكفار، إلى غير ذلك من المنهيات الشرعية.

٢- ما تركه تعبدًا كترك الأذان في صلاة العيد وترك التلفظ بالنية... وما أشبه ذلك مما يُظن أن الحاجة داعية إليه ومع هذا لم يفعله رسول الله ﷺ، فمن فعله فقد خالف السنة وجاء ببدعة.

وزاد الشيخ في الطبعة الكبيرة: سنة اعتقادية، وهي شاملة للعقيدة الصحيحة الواردة في الكتاب والسنة.

* فما قاله رسول الله ﷺ قلناه. * وما فعله فعلناه.

* وما أقره أقررناه. * وما تركه تركناه [١].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[سورة آل عمران:٣١-٣٢]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] [سورة الأحزاب:٢١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٣] [سورة الحشر:٧].

---

[١] هذا الذي قاله الشيخ في أقسام السنة حق لكنه عام مخصص بما كان من خصوصيات النبي ﷺ كالوصال والصلاة بعد النوم العميق، وغرس الجريد على القبر إلى غير ذلك مما فعله وحرم على أمته فعله.

[٢] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر ﷻ الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين» اهالمراد.

[٣] تقدم شرح هذه الآية، وقد ذكر الله ﷻ طاعة الرسول ﷺ في نحو أربعين موضعًا من القرآن، فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه أشد من حاجتها إلى الطعام، ولا يتم التمسك بالسنة إلا بالعلم النافع، فعليك بالعلم؛ فإن من مميزات أهل السنة الاهتمام بالعلم الشرعي.

تعريف العبادة: [١]

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[٢].

أقسام العبادة خمسة

١- عبادة اعتقادية [٣]: وذلك أن يعتقد المسلم أن الله ﷻ هو الخالق الرازق المحي المميت، المدبر لشئون عباده المستحق للعبادة وحده لا شريك له، من دعاء وذبح ونذر وغير ذلك وأنه الموصوف بصفات الجلال والكمال والكبرياء والعظمة إلى غير ذلك من أنواع الاعتقاد.

---

[١] هذا التعريف لشيخ الإسلام في العبودية(١).

[٢] وأساس التعبد: الخضوع والتذلل لله ﷻ والإخلاص له وموافقة شرعه، وذلك مجموع في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:١١٠]، فالرجاء والخوف جناحا العبادة، والإخلاص وعدم الشرك أساس العبادة، وصلاح العمل بأن يكون كما شرعه الله ﷻ بعيدًا عن البدع التي هي سبب لبطلان العبادة.

[٣] وهذه العبادة من أعمال القلوب، وذلك بتوحيد الله ﷻ، وإفراده بالعبودية (كما تقدم في باب التوحيد) ويشمل تعظيم الرب سبحانه ومحبته وطاعته وبغض الشرك والبدع وأهلها ... إلخ، فلينظر المسلم ماذا في قلبه.

---

(١) وانظر الفتاوى (١٠ / ١٤٩).

ودليل هذه العبادة: «إنما الأعمال بالنيات» متفق عليه عن عمر ﷺ، وقوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[1].

****

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.

١- عبادة لفظية: [١] وذلك كالتلفظ بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وكتلاوة القرآن والدعاء، والأذكار النبوية إلى غير ذلك من أنواع العبادات اللفظية.

٢- عبادة بدنية: [٢] وذلك كالقيام والركوع والسجود والصلاة، وكالصوم وأعمال الحج والهجرة والجهاد... إلى غير ذلك من العبادات البدنية.

٤- عبادة مالية: [٣] كالزكاة والصدقة وغير ذلك.

---

[١] وهي من أعمال اللسان ويدخل في ذلك إنكار المنكر باللسان والتحذير من البدع والدعوة إلى الله ﷻ وتعليم العلم ... إلخ، وأما من سخر لسانه في الباطل فلم يوفق لهذه العبادة فإنه يأثم بقدر مخالفته.

ودليل هذه العبادة: قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»

متفق عليه عن أبي هريرة ﵁، وغيره من الأدلة الكثيرة.

[٢] وهي الأعمال التعبدية التي يقوم بها البدن الموافقة للشرع.

ودليل هذه العبادة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٢٠]، وما أشبه ذلك من الأدلة الكثيرة.

[٣] وهي صرف المال الحلال في أبواب الخير الواجبة والمستحبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾، فصرفوا أنفسهم وأموالهم في مرضاة الله ﷻ.

٣- عبادة تركية: [١] وذلك أن يترك المسلم جميع المحرمات والشركيات والبدع امتثالًا لشرع الله، فهذه منه عبادة تركية، ويؤجر المسلم على تركه الحرام إذا تركه ابتغاء وجه الله.

---

[١] ودليل هذه العبادة: حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله [١]، ومنهم: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله»، وبوب عليه البخاري رحمه الله: باب فضل من ترك الفواحش، وهكذا حديث أصحاب الغار، ومنهم: رجل ترك امرأة بعد أن قدر عليها، والقصة في الصحيحين- [٢]، وأدلة في الباب كثيرة، وعكس ذلك كله انتهاك المحرمات وتضييع العبادات نسأل الله السلامة.

****

---

(١) (خ٦٨٠٦) (م١٠٣١).

(٢) (خ٥٩٧٤) (م٢٧٤٣).

لا يقبل أي عمل إلا بشرطين

اعلم أخي المسلم - هداني الله وإياك للتمسك بالكتاب والسنة [١]:

أن الله لا يقبل أي عمل من أي مسلم إلا بشرطين اثنين أساسيين، وهما كما يلي:

الأول: أن يكون خالصًا لله، فلا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله،

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[سورة الزمر:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [سورة الزمر:١١].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [سورة الزمر:١٤].

وهذا هو معنى: «أشهد أن لا إله إلا الله» [٢].

والثاني: أن يكون موافقًا لهدي رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

أخرجه البخاري رقم (٢٥٥٠) ومسلم رقم (١٧١٨).

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

---

[١] الدعاء للطالب والقارئ من تلطف المؤلف ورحمته به، وحرصه على حصول الخير له.

[٢] فكما أن معنى: «لا إله إلا الله» إفراد الله تعالى بالعبادة، وهذه هو معنى الإخلاص، إفراد الله ﷻ بالعبادة القلبية والبدنية، فمن أخل بذلك وقع في الشرك الأكبر أو الأصغر. - الأصغر كيسير الرياء والسمعة.

- والأكبر إذا أشرك مع الله تعالى غيره، كمن يذبح لغير الله تعالى، أو يدعو غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، ونحو ذلك ، كما هو حال المشركين والقبوريين.

وهذا هو معنى: «أشهد أن محمدًا رسول الله» [١].

---

[١] معنى: «محمد رسول الله» يلزم معه ألّا يتبع إلا إياه؛ وذلك بأن تكون العبادات موافقة للكتاب والسنة الصحيحة، فالإخلاص ميزان الأعمال الباطنة، والاتباع ميزان الأعمال الظاهرة، فإذا فسد أحدهما أو كلاهما أفسد العمل، وصار وبالًا على عامله، كما هو حال أهل البدع والضلالات والشركيات.

وقوله في الحديث: «رد»: أي: مردود غير مقبول ولا مشروع ولا يجوز التعبد به، وهذا الحديث يبطل جميع البدع والمحدثات.

فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ولا بد في عبادته من أصلين: أحدهما إخلاص الدين له، والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله» اهـ(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «لا يكون العبد متحققا بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة:٥] إلا بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ، والثاني: الإخلاص للمعبود.

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضا إلى أربعة أقسام:

١- أهل الإخلاص والمتابعة. ٢- من لا إخلاص له ولا متابعة.

٣- من له إخلاص في أعماله لكنها غير موافقة للكتاب والسنة.

٤- من أعماله موافقة للكتاب والسنة لكنها لغير الله تعالى ليس مخلصًا» اهبتصرف(٢).

---

(١) (٣/ ١٢٤).

(٢) المدارج (١ / ١٠٥ - ١٠٦) ط. دار الكتاب العربي.

....

والسعداء هم من جمع الله تعالى لهم بين الإخلاص له في كل قول وعمل، وكانت أعمالهم موافقة لكتاب ربهم ﷻ، وسنة نبيهم ﷺ، وأول الناس دخولًا في هذا هم أهل السنة والجماعة.

ولله الحمد والمنة.

****

دين الإسلام مبني على أصلين[١]

اعلم أخي المسلم - وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه :

أن الدين الإسلامي مبني على أصلين أساسيين، وهما كما يلي:

الأول: أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له [٢]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣].

وهذا هو معنى: «أشهد أن لا إله إلا الله».

والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع في كتابه أو في سنة رسوله محمد ﷺ لا بالبدع والأهواء[٣]، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر:٧].

وهذه هو معنى: «أشهد أن محمدًا رسول الله».

---

[١] هذا الباب بمعنى الباب السابق.

[٢] وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل كما تقدم.

[٣] وهذا هو الاتباع الذي دعا إليه نبينا ﷺ.

****

النفاق قسمان[١]

اعلم أخي المسلم - جنبني الله وإياك من النفاق وسوء الأخلاق:

أن النفاق ينقسم إلى قسمين: وهما كما يلي:

١- نفاق اعتقادي.　　　　٢- نفاق عملي.

بيان النفاق الاعتقادي:

فأما النفاق الاعتقادي: فهو أن يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر.

وصاحب هذا النوع مسلم في الظاهر [٢] وكافر في الباطن، وإذا مات عليه فهو في الدرك الأسفل من النار.

---

[١] النفاق لغة: الدخول من مكان والخروج من مكان، ومنه النفق، وقيل: مخالفة الظاهر للباطن، وشرعًا: قسمان كما ذكر المؤلف وعرفهما، والفرق بينهما:

١- أن الأكبر يخرج من الملة.

والنفاق الأصغر كبيرة من الكبائر غير مخرجة من الملة.

٢- الأكبر لا يصدر من مؤمن.　　　　والأصغر قد يقع فيه المسلم.

٣- الأكبر صاحبه مخلد في النار.　　　　والأصغر غير مخلد.

٤- الأكبر إذا صدر من مسلم فهو ردة عن الإسلام.

والأصغر إذا صدر من مسلم فهو فاسق غير مرتد.(١)

[٢] يعني أنها تجري عليه أحكام الإسلام ما دام يظهر الإسلام، فإذا أظهر النفاق صار كافرًا ظاهرًا وباطنًا.

---

(١) راجع: عقيدة التوحيد (١٠٩ - ١١٠).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ [١] وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[٢][سورة النساء:١٤٥-١٤٦].

---

[١] هذه الآية صريحة في قبول توبة المنافق إذا ظهرت عليه أمارات التوبة المذكورة في الآية، والآية رد على من منع ذلك(١).

[٢] النفاق الأكبر ستة أنواع:

١- تكذيب الرسول ﷺ.
٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
٣- بغض الرسول ﷺ.
٤- بغض ما جاء به الرسول ﷺ أو بعضه.
٥- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
٦- الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ(٢).

ومن صفات هؤلاء المنافقين:

الاستهزاء بالدين وأهله، وموالاة الكافرين، والجهل بالدين، والإفساد في الأرض، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وكثرة الحلف، ولمز المؤمنين... إلخ.

****

---

(١) راجع: الفتاوى (٢٨ / ٤٣٤-٤٣٥).

(٢) عقيدة التوحيد (ص١٠٧) مجموعة التوحيد (٩).

٢- بيان النفاق العملي:

وأما النفاق العملي: فمنه ما ذكر في هذين الحديثين من الصفات الخمس المذمومة:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان[١]».

أخرجه البخاري رقم (٣٣) ومسلم رقم (٥٩).

وزاد مسلم: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم».

٢- عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر [٢]، وإذا خاصم فجر».

أخرجه البخاري رقم (٣٤) ومسلم رقم (٥٨).

---

[١] قوله: «آية»؛ أي: علامته وصفته وقوله.

قوله: «إذا حدث كذب»؛ أي: يكثر من الكذب وهذا من فساد القول.

قوله: «وإذا وعد أخلف»؛ أي: تعمدًا، لأنه إن لم يتعمد لم يدخل في الحديث.

قوله: «وإذا أؤتمن خان»؛ في كثير من أحواله.

[٢] قوله: «وإذا عاهد غدر»؛ أي: نكث العهد وغدر بالمعاهد معه.

قوله: (وإذا خاصم فجر) أي: تجاوز وظلم ومال عن الحق واحتال في رده ولم ينصف.

قال الشيخ صالح الفوزان غفر الله له: «فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر»(١).

---

(١) عقيدة التوحيد (ص١٠٨).

قلت: وهذا النوع من النفاق لا يخرج صاحبه عن الإسلام، ولكن تجب التوبة منه[٣].

---

[٣] قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وكثير ما يقع المسلم في شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه». اهـ[١].

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «لا يأمن النفاق إلا منافق ولا يخافه إلا مؤمن». اهـ

ومما يدخل في النفاق العملي أيضًا:

١- التكاسل عن صلاة الجماعة وصلاة الفجر والعشاء.

٢- الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

٣- مجالسة المنافقين.

٣- التكاسل عن الجهاد في سبيل الله تعالى، وغير ذلك.

****

---

(١) الإيمان (ص٢٣٨).

خطر الشرك بالله [١]

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٢] [سورة النساء:٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [٣] [سورة النساء:١١٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [٤] [سورة المائدة:٧٢].

---

[١] الشرك: مأخوذ من الاشتراك والمشاركة، واصطلاحًا هو: جعل ند لله ﷻ في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

والغالب هو الوقوع في شرك الألوهية، وهو عبادة غير الله ﷻ، أو عبادة غيره معه؛ كدعاء غير الله تعالى، والذبح لغير الله تعالى، والصلاة للضريح، أو التمسح بالرفات والعظام... إلخ كما سيأتي.

[٢] هذه الآية دليل صريح على أن الله تعالى لا يغفر للمشرك حتى يتوب من شركه ويوحد الله سبحانه.

[٣] هذه دليل على أن الشرك ضلال بعيد عن الصواب والرشاد، مبعد لصاحبه عن الجنة مخلد له في النار.

[٤] دلت الآية على كفر النصارى وسائر المشركين وأن الجنة حرام عليهم، بل النار مأواهم الأبدي إن ماتوا من غير توبة، وبهذا تعلم ضلال من يدعون إلى وحدة الأديان.

وقال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [١] [سورة الحج:٣١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢] [سورة لقمان:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣] [سورة الأنعام:٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٤] [سورة الزمر:٦٥ - ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤].

---

[١] هذه الآية فيها أن الشرك يهوي بصاحبه في الضلال والنار والجحيم كما يهوي من السماء فيتمزق كل ممزق ويصير إلى هلاك متحقق.

[٢] في هذه الآية أن الشرك أظلم الظلم وأكبر الكبائر وأقبح القبائح، والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فمن أشرك بالله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك ظلم عظيم.

[٣] الشرك الأكبر محبط للعمل إحباطًا كليًّا فإن كان للمشرك حسنات في الدنيا جازاه الله تعالى بها في الدنيا ثم يوم القيامة يجازيه بشركه بسحبه إلى النار وبئس القرار.

[٤] ثمرة الشرك خسارة الدنيا والآخرة، خسارة كلية لا ربح بعدها.

وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١]

[سورة الروم:٣١].

وأما الأحاديث فكثيرة منها:

١- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار». أخرجه مسلم رقم (٩٣).

٢- عنه أيضًا ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار»[٢] أخرجه مسلم رقم (٩٣).

---

[١] احذروا الشرك كل الحذر فلا تقع فيه، فمن وقع فيه فقد استحق غضب الله وسخطه.

[٢] هذه الأحاديث والآيات في حق من وقع في الشرك الأكبر، أما من وقع في الشرك الأصغر فقد وقع في أكبر الكبائر إلا أنه لا يخرج من الملة، وهو متوعد بالعذاب في الدنيا والآخرة لكن مآله إلى الجنة.

والراجح أنه تحت المشيئة، إن شاء غفر الله له، وإن شاء عذبه، ثم مآله إلى الجنة، فالحذر يا عباد الله الحذر من الشرك كله، وأعظم الناس بعدًا وحذرًا وتحذيرًا من الشرك هم دعاة التوحيد أهل السنة والجماعة، ولا يقوم بالتوحيد والتحذير من الشرك على وجهه سواهم.

والله المستعان.

****

أقسام الشرك كثيرة[١]

ذكرت منها (١٤) نوعًا

وهي:

١- شرك في الربوبية [٢]: وذلك كأن يعتقد شخص أن غير الله يخلق أو يرزق أو يحي أو يميت، إلى غير ذلك من صفات الربوبية.

٢- شرك في الألوهية [٣]: وذلك كأن يصرف شخص نوعًا من أنواع العبادات لغير الله كالذبح والنذر والدعاء إلى غير ذلك.

---

[١] وكلها مندرج تحت نوعين: الشرك الأكبر، والشرك الأصغر.

[٢] وشرك الربوبية: أن يعتقد أن غير الله ﷻ يشارك الله سبحانه في أفعاله، كمن يعتقد أن الأولياء يدبرون الكون، أو يرزقون الولد، أو يصرفون البلاء، أو أن النجوم تنزل المطر، أو تسعد أو تشقي، إلى غير ذلك، مِن جَعْل صفات الرب سبحانه لغيره، [والشرك في الربوبية أكبر كله].

[٣] وهذا الذي فشا في الناس كثيرًا، ومن أجله بعث الله الرسل لينهوا الناس عنه، ويرجعوا إلى توحيد الله سبحانه، ومن أعظم من يروج لهذا الشرك في زماننا القبوريون من صوفية وشيعة وروافض ومن تأثر بهم، [والشرك في الألوهية أكبر وأصغر].

٣- شرك في الأسماء والصفات [١]: وذلك كأن يسمي شخص بعض خلق الله باسم لا يسمى به إلا الله أو يصف بعض خلق الله ببعض الصفات الخاصة بالله تعالى كعلم الغيب مثلًا إلى غير ذلك من صفات ربنا سبحانه الخاصة به.

٤- شرك أكبر [٢]: وهو كالذبح لغير الله والنذر لغير الله ودعاء غير الله والسجود لغير الله، وكمن يعتقد أن غير الله ينفع أو يضر من دون الله، وهو مخرج من الملة والعياذ بالله.

---

[١] وهو: أن يجعل لله ندًّا في أسمائه وصفاته أو يعطلها، وهذا داخل تحت شرك الربوبية، وأفرده المؤلف لأهميته وفشوه، وأعظم من يروج لهذا هم المعطلة والممثلة ومن نحا نحوهم، وقد نزه الله ﷻ نفسه عن شركهم؛ فقال سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[سورة الصافات:١٨٠].

[٢] الشرك الأكبر هو: كل قول أو عمل أو اعتقاد أطلق عليه الشرع وصف الشرك، وهو مخرج من الملة. فيشمل: الشرك الاعتقادي، وشرك الربوبية، وشرك الألوهية، وشرك الطاعة، وشرك المحبة، وشرك التشريع، وشرك الخوف والخشية.

٥- شرك أصغر [١]: وهو مثل يسير الرياء، وهو غير مخرج من الملة ولكن تجب التوبة منه.

٦- شرك خفي [٢]: وهو أن يعمل الرجل لمكان الرجل، وهو أصغر وأكبر، ومنه الرياء، والأصغر غير مخرج من الملة، ولكن تجب التوبة منه، والأكبر مخرج من الملة.

٧- شرك اعتقادي[٣]: وهو أن يعتقد إنسان أن غير الله يخلق أو يرزق أو يحي أو يميت أو يعلم الغيب إلى غير ذلك، وهو شرك أكبر وهو مخرج من الملة والعياذ بالله.

والأصغر غير مخرج من الملة وذلك كأن يعتقد إنسان أن تعليق الحروز والتمائم ينفع بإذن الله.

---

[١] وهو: كل وسيلة أو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ومن أحسن ما يُعرّف به الشرك الأصغر هو: كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولا يصل إلى الشرك الأكبر. ويعرف ذلك بالجمع بين الأدلة.

وهو على قسمين:

١- ظاهر؛ كالحلف بغير الله، وقول: «ما شاء الله وشاء فلان»، والحلف بالأمانة.

٢- باطن؛ كالرياء اليسير، والعجب، وحب الشهرة.

[٢] وهو أكبر؛ كالشرك في الربوبية والنفاق الأكبر، وأصغر؛ كيسير الرياء، إلا إذا كان العمل خالصًا لغير الله ﷻ كما هو حال المنافقين؛ فيكون مخرجًا من الملة، ولا يصدر هذا من مسلم، والله أعلم، وقد صح أن النبي ﷺ قال: «الشرك الخفي أن يعمل لمكان الرجل». رواه ابن ماجه، وفي حديث آخر: «الرياء»؛ فسماه شركًا خفيًّا.

....

[٣] الشرك الاعتقادي يشمل شرك الربوبية، والمحبة، والخوف، والخشية، والطاعة، والشرك الأكبر، وبعض شرك الألوهية، إلى غير ذلك مما يقع فيه العبد من الأعمال القـلبيـة كما مثل المؤلف.

٨- شرك عملي [١]: وهو كل عمل حكم عليه الشرع بالشرك، كالذبح لغير الله والنذر لغير الله إلى غير ذلك، وهو أكبر وأصغر.

فمثال الأكبر من علق الحروز معتقدًا النفع فيها من دون الله.

ومثال الأصغر من علق الحروز معتقدًا أنها لا تنفع إلا بإذن الله.

٩- شرك لفظي[٢]: وهو كل لفظ حكم عليه الشرع بالشرك، كالحلف بغير الله، وكقول بعض الناس: «مالي إلا الله وأنت، وتوكلت على الله وعليك، ولولا الله وفلان لكان كذا وكذا» إلى غير ذلك من الألفاظ الشركية وهو أكبر وأصغر.

---

[١] «وهو أكبر وأصغر»: أكبر؛ كالذبح لغير الله تعالى، والنذر لغير الله تعالى، والسجود للصنم أو القبر، وأصغر؛ كتعليق الحروز والتمائم مع اعتقاد أنها سبب للشفاء والنفع والضر، أما إن اعتقد فيها النفع والضر من دون الله تعالى أو مع الله تعالى فهو أكبر.

[٢] «وهو أكبر وأصغر»: أكبر: كمن يحلف بالأصنام أو غيرها مع تعظيمه لها كتعظيم الله ﷻ أو أشد، وكدعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ...إلخ.

وأصغر: كالحلف بغير الله تعالى إذا لم يصحبه تعظيم، وكقول: «لولا الله وفلان» مع الشرط السابق.

١٠- شرك التشريع [١]: وهو أن ينبذ الإنسان الكتاب والسنة أو بعض أحكامهما، ويأخذ بآراء الرجال وقوانين البشر، قال الله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الشورى:٢١].

---

[١] وغالب من يقع في هذا هم الحكام والقضاة ورؤساء القبائل ممن يحكمون بغير ما أنزل الله ﷻ، وهم على قسمين:

الأول: من يرى أن هذه القوانين أو الأعراف مثل حكم الله تعالى أو أحسن منه، أو يرى عدم صلاحية حكم الله تعالى، أو أنه وحشية ورجعية ... إلخ؛ فهو كافر ولا كرامة، يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المائدة:٤٤].

ومن تحاكم إليهم راضيًا؛ فهو ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [سورة النساء:٦٠] وهذا النوع كافر إذا اعتقد ما اعتقد أولئك.

الثاني: من لا يسوّي بحكم الله شيئًا، لكنه يحكم بغير ما أنزل الله تعالى شهوة أو رهبة وجهلًا وجبنًا؛ فهذا لا يكفر، وهو واقع في الشرك الأصغر، وهذا حال كثير من حكام المسلمين، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على هذا(١).

---

(١) كما في: الدر النضيد (ص٣٨).

١١-شرك المحبة [١]: وهو أن يحب الإنسان غير الله كحبه لله أو أشد، قال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾

[سورة البقرة:١٦٥].

١٢- شرك الخوف والخشية [٢]: سيأتي الكلام عليه في أقسام الخوف إن شاء الله.

١٣-شرك القصد والإرادة [٣]: وهو أن يريد الإنسان بعمله غير الله، ويقصد به غير وجه الله، فهذا شرك القصد والإرادة.

---

[١] وأقسام المحبة أربعة كما سيأتي في بابه قريبًا إن شاء الله تعالى.

[٢] أن يخاف من غير الله ﷻ كخوفه من الله أو أشد، كما سيأتي.

[٣] قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته.

والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته»(١).

(١) الجواب الكافي (ص١١٥) عقيدة التوحيد (٩٨).

١٤- شرك الطاعة [١]: وهو أن يطيع العبد شخصًا في تحليل حرام، أو تحريم حلال، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة:٣١].

---

[١] وشرك الطاعة قسمان:

١- أن يطيع غير الله تعالى في معصية الله تعالى تعبدًا أو راضيًا بذلك، يرى أن هذا أنفع له من طاعة الله سبحانه، أو مقدم على طاعة الله تعالى؛ فهذا شرك أكبر.

٢- أن يطيع غير الله تعالى في معصية الله سبحانه لشهوة أو مصلحة دنيوية كما هو حال بعض المسلمين؛ فهذا فاسق لكنه لا يخرج من الإسلام، والله أعلم.

****

أقسام الخوف أربعة

١- خوف عبادة:[١] وهو الخوف من الله وحده لا شريك له، وهذا النوع عبادة قلبية تعبَّدَنا الله بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [٢] [سورة الرحمن:٤٦]، وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣] [سورة النازعات:٤٠-٤١]، وقال تعالى واصفًا عباده الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل:٥٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب:٣٩].

---

[١] وهو: الذي يحمل صاحبه على فعل الطاعة وترك الحرام واجتنابه، كما دلت على ذلك آية النازعات وآية النحل، والخوف من الله ﷻ أحد أركان التعبد، وثانيه المحبة والرجاء.

[٢] من خاف الله ﷻ ووقع في المعصية، فإنه ناقص الخوف من الله تعالى، لكن هذه الآية تشمله كما دل على ذلك حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية، وقال: «وإن زنى وإن سرق»(١).

[٣] الخشية أخص من الخوف وهو أن يكون الخوف مبنيًّا على علم بعظمة الله سبحانه وعذابه وكمال قدرته.

---

(١) رواه أحمد (٨٦٦٨) وهو حسن بشواهده.

٢- شرك الخوف[١]: وهو أن يخاف العبد من غير الله، كجني وميت وغيرهما كخوفه من الله أو أشد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً[٢] وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [سورة النساء:٧٧].

٣- خوف المعصية[٣]: وهو أن يخاف العبد من إنسان أو أناس فيترك واجبًا أو يرتكب محرمًا خوفًا منهم، ولم يصل إلى حد الإكراه فهذا الخوف معصية،

---

[١] ويسمى خوف السر، وهو الخوف من غير الله تعالى تعبدًا وسبب هذا الخوف عدم المعرفة بالله ﷻ ولهذا ترى من وقع في هذا الشرك يخاف من الجن فيذبح لهم ويصنع الحروز والتمائم ونحوها عند الزواج والمرض والسفر... وهكذا يعتقد بعضهم في الرفات والعظام أو السحرة أو بعض البشر، فيسجد لهم خوفًا أو غير ذلك من نتائج الخوف الشركي، ويدخل في ذلك الحكم بغير ما أنزل الله خوفًا من الكفار أو غيرهم.

[٢] ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ إذا كان كالخوف من الله تعالى في النوع والكيفية فهو شرك أكبر، فالنوع: خوف عبادة، والكيفية: كالخوف من الله تعالى أو أشد.

مع التنبيه أن هذه الآية نزلت في خوف المعصية.

[٣] والفرق بين خوف الشرك وخوف المعصية: أن خوف الشرك خوف تعبد أو اعتقاد كأن يعتقد صاحبه أن غير الله تعالى من جن أو إنس يضره بذاته، أو يؤدي إلى فعل شركي، وخوف المعصية: يعتقد صاحبه أن الضرر لا يكون إلا بتقدير الله ﷻ لكن هذا الخوف يجعله يرتكب ما حرم الله تعالى عليه من المعاصي دون الشرك، والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١] [سورة آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [سورة البقرة:١٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة:٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة:٤٤].

٤- الخوف الطبيعي:[٢] وهو كخوف الإنسان من العدو والسبع والحية وغير ذلك، وهذا جائز على ألّا يتعدى الخوف الطبيعي، قال الله تعالى حاكيًا حال عبده ونبيه موسى ﷺ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [سورة القصص:١٨]. وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [سورة القصص:٢١]، وقال موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [سورة الشعراء:١٢، وسورة القصص: ٣٤]، وقال موسى ﷺ أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [سورة القصص:٣٣].

---

[١] دلت الآية على أن من كان مؤمنًا كاملًا لا يخاف خوفًا يؤدي به إلى المعصية؛ لأن ذلك إنما يحصل من ضعف الإيمان وقلة العلم ونقص التوكل غالبًا.

[٢] طبيعي لأنه من طبع البشر جبلوا عليه، كالخوف من الوحش والحذر من العدو ونحو ذلك، فإن أدى إلى معصية فهو خوف معصية، وإن أدى إلى شرك فهو خوف شرك. نسأل الله العافية من كل ما لا يرضاه.

أقسام المحبة أربعة [١]

١- محبة عبادة [٢]: وهي حب الله وحب ما يحبه الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٦٥].

٢- محبة شركية [٣]: وهي حب غير الله كحب الله أو أشد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٦٥].

٣- محبة معصية [٤]: كحب الحرام والبدع، وكحب أصحاب المعاصي والبدع والأهواء، وغير ذلك من المحبة المخالفة للشرع.

٤- محبة طبيعية: كحب الأولاد والأهل والنفس والمال وغير ذلك من المباحات [٥]، لكن ينبغي أن تكون طبيعية، فإذا شغلت الشخص عن طاعة الله فترك بعض الواجبات فهي محبة معصية، فإذا طغت على حياته وقلبه وأحبها كحب الله أو أشد فهي محبة شركية [٦].

---

[١] المحبة محلها القلب فهي من أعمال القلب.

[٢] وتسمى المحبة الخاصة، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم لله تعالى وهذه المحبة داخلة في توحيد الألوهية لأنها عبادة ولا يعبد بحق إلا الله ﷻ وهذه المحبة توجب لصاحبها التذلل والتعظيم وإجلال الله ﷻ وتثمر لصاحبها طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ وترك معصيته، ولا يُحب لذاته إلا الله ﷻ وأما ما سواه فإما أن تكون محبة في الله كمحبة المؤمنين أو محبة من أجل الله تعالى كمحبة المساجد وأزمان العبادة ونحو ذلك.

[٣] لما كانت المحبة عبادة فمن صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك سواء صرفها للجن أو إنس أو حزب أو دنيا أو بدعة أو غير ذلك، وهذا من الشرك الأكبر،

كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى: «أما من اتخذ ندًّا تساوي محبته محبة الله فهو شرك أكبر...» اهـ، كما هو ظاهر الآية، وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: في كيفيته ونوعه، فالنوع: محبة عبادة، والكيفية كمحبة الله أو أشد، وهذا شرك أكبر، (شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين).

[٤] وهذا النوع من المحبة ناتج من ضعف الإيمان وإلا فلا تجتمع محبة الله تعالى ومحبة ما يبغضه في قلب مؤمن كامل الإيمان.

وأما ما في صحيح البخاري (٦٧٨٠) أن رجلًا كان يؤتى به إلى النبي ﷺ في الخمر فقال بعض القوم: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ «لا تلعنوه فوالله إنه يحب الله ورسوله» فهذا دليل على أن من يحب الله تعالى ورسوله ﷺ قد يقع في معصية فأكثر، لكن قد يحبها وقد يكرهها وتغلبه نفسه، والله أعلم.

[٥] ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾، الآية، وهذه المحبة فطرة في قلوب الخلق من إنس وغيرهم، وهذه المحبة تكون خيرًا إذا اقترنت بالاحتساب وأُجر عليها كمن يحب ولده ويرجو أن يربيه ليجاهد في سبيل الله تعالى، وكمن يأكل ليتقوى على الطاعات... والله أعلم[١].

[٦] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرح آية التوبة (٢٤): «دلت الآية على أن محبة هؤلاء إن كانت من غير محبة العبادة إذا فضلت على محبة الله صارت سببًا للعقوبة». اهـ. والشاهد: أنها لا تصل إلى درجة الشرك، لكنها من الكبائر.

(١) راجع هذه الأقسام في شرح الفاتحة للشيخ صالح الفوزان مع أصله للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، فقد تكلم على هذه المسألة وقسم هذا التقسيم.

تحريم دعاء غير الله [١]

قال الله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[سورة النساء:١١٧-١١٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٧].

---

[١] دعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شرك أكبر يخرج صاحبه من الملة سواء كان المدعو حيًّا أو ميتًا، جنيًّا أو إنسيًّا أو غيرهما، أما دعاء الإنسان الحاضر فيما يقدر عليه مع الاعتقاد أنه سبب وأن الأمور كلها بيد الله تعالى، فهذا جائز كما قال تعالى في موسى ﷺ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾[سورة القصص:١٥].

وقد أطال المؤلف في هذا الباب لكثرة انحرافات الناس فيه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة يونس:١٠٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [سورة الرعد:١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة النحل:٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة الحج:٦٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [سورة الحج:٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [سورة الشعراء:٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة القصص:٨٨].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة العنكبوت:٤١-٤٢].

وهذه الآيات التي ذكرها المؤلف فيها بيان حقيقة المدعوين من دون الله ﷻ وهي التالي:

١- أن من المدعوين مَن هو مطرود من رحمة الله تعالى كالشيطان الرجيم، فلا يملك نفعًا لنفسه فضلًا أن ينفع غيره، كما في آية النساء (١١٧-١١٨).

٢- أن من يدعى من دون الله تعالى لا ينفع ولا يضر بل لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، وهم من جملة المخلوقين الضعفاء.

٣- أنهم أموات عاجزون لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابًا فضلًا أن ينفعوا أو يضروا.

٣- أنهم لا يسمعون دعاء من يدعوهم، ولو سمعوا لعجزوا عن الإجابة.

٤- أنهم لا يملكون شيئًا من الأرض ولا من السماء ويوم القيامة يكفرون بمن دعاهم وينكرون عليه.

هذه صفات المدعوين، وأما الذي يدعو غير الله تعالى فصفاته في هذه الآيات:

١- أنه ممن استهوته وأضلته الشياطين.

٢- لا يحصل على نفع ولا دفع ضر ولا نصر ولا غير ذلك.

٣- أنه بدعائه غير الله تعالى ظالم كافر مشرك.

٤- أن دعاءه ضلال وباطل وسفه.

٥- أنه من المعذبين الهالكين.

٦- حصول العداوة بينه وبين الذين دعاهم مما يزيده حسرة وندامة يوم القيامة.

٧- مثله كمثل الذي يعلق آماله بأضعف الأشياء كبيت العنكبوت، ومثله كمن يقف على شرف بئر ويقول: تعال يا ماء.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[١] [سورة فاطر:١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر:٣٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [سورة الأحقاف:٤-٦].

---

[١] هذه الآية صريحة في أن دعاء غير الله شرك.

قال الصنعاني رحمه الله تعالى: «فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهّال الأحياء [والأموات] سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقد إلا في الله ... وهتفوا بهم عند الشدائد». اهـ

وقال: «فيا للعقول أين ذهبت؟! ويا للشرائع كيف جهلت؟! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]»(١).

---

(١) تطهير الاعتقاد (ص٦٤، و٦٩) ط. الشيخ العباد.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:١٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [سورة الجن:٢٠-٢١]، والآيات في هذا الباب كثيرة.

وأما الأحاديث فمنها:

١- عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» [١] ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر:٦٠] [٢].

أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (١٤٧٩) ط المعارف،
وفي صحيح سنن الترمذي رقم (٣٣٧٢) ط المعارف، وفي تعليقه على سنن ابن ماجه رقم (٣٨٩٦) ط المعارف.

---

[١] ودلالة الحديث على أن الدعاء عبادة ظاهرة، فيكون صرفها لغير الله تعالى شركًا.

[٢] وهو في الجامع الصحيح (٦ /٢٩٣)، وهذا الحديث صريح في أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.

٢- عن عبد الله بن عباس ﷺ: أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» [١].

أخرجه والترمذي رقم (٢٥١٦)، وأحمد (٢٧٦٣) (٤/ ٤٨٧).

وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢/ ٦١٠) طبعة المعارف.

---

[١] وهو في الجامع (١/ ٣١)، والشاهد من الحديث: (إذا سألت فاسأل الله) أي: وحده لا شريك له فلا يجوز أن يسأل غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، ثم بعد هذه الأدلة المتكاثرة في القرآن والسنة لا تزال تجد في صفوف المسلمين من يدعو المقبورين أو الجن أو الأولياء أو غيرهم، فذاك يقول: يا خمستاه، وآخر: يا ابن علوان، وآخر: يا ست زينب، وآخر: يا جيلاني، لو رأيت ما تفعله الأمة الحمقاء الرافضة عند قبر الحسين من نداء ودعاء وغير ذلك من الشرك الأكبر؟! ولو رأيت ما تفعله الأمة البلهاء الصوفية عند قبر البدوي بمصر من الشرك الأكبر والكفر الذي لم يكن عند كفار قريش؟! فلا جزى الله تعالى الصوفية والرافضة والشيعة عن المسلمين خيرًا.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

****

النذر عبادة والعبادة لا تكون إلا لله [١]

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة البقرة:٢٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة آل عمران:٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج ٢٩].

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [٢] [سورة الإنسان:٧].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٦].

---

[١] النذر لغة: الإيجاب، وشرعًا: إيجاب العبد على نفسه عبادة لم يوجبها الله تعالى عليه، وعلى هذا لو أن شخصًا نذر أن يعمل واجبًا من الواجبات كالصلوات الخمس كان نذره عبثًا؛ لأنها واجبة ولو لم ينذر.

[٢] هذه الآيات دليل على أن النذر مشروع، وهو على قسمين:

١- مطلق، كأن يقول: لله علي نذر كذا وكذا.

٢- مقيد بمصلحة، كقوله: لله علي نذر إن حصلت على كذا.

فالأول لا كراهة فيه وتركه أولى، والثاني مكروه لما فيه من القيد، وهو المراد بقول النبي ﷺ: «إنما يستخرج به من البخيل»، متفق عليه.

وينقسم النذر من حيث مشروعيته وعدمها إلى ثلاثة أقسام:

١- مشروع، كما تقدم.

٢- معصية، كالنذر في معصية أو بدعة أو نحو ذلك من المخالفات.

٣- نذر شرك، كالنذر للمشاهد والقبور والأولياء والجن، كما دلت على ذلك آية الأنعام، وآية النحل.

قال الصنعاني رحمه الله تعالى: «قد علم كل عاقل أن الأموال غالية عند أهلها، ولن يصرفوها إلا في شيء يعتقدون نفعها أو أنه يدفع الضر، فالناذر للقبر ذلك ما أخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقاد باطل، وهو الذي كان عليه كفار قريش من النذر للأصنام وهم الذين قاتلهم الرسول ﷺ» اهالمراد من تطهير الاعتقاد.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وأما النذر لغير الله تعالى كالنذر للأصنام والشمس والقبور؛ فهو شرك لا يجوز الوفاء به، وتجب التوبة منه، وصاحبه إن مات عليه؛ فهو مشرك» اهالمراد.

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «وبهذا يتضح أن تقديم النذور والقرابين للمزارات شرك أكبر؛ سببه مخالفة هَدْي النبي ﷺ في البناء على القبور ... لأنها لما بني عليها قبة ظن الجهال أن المدفونين فيها ينفعون أو يضرون، وأنهم يُغيثون من استغاث بهم، فقدموا لهم النذور»[١].

(١) عقيدة التوحيد (ص٣٤).

وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[١]

[سورة النحل:٥٦].

عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه». [١] أخرجه البخاري رقم (٦٣١٨) .

قلت: والنذر لغير الله شرك، فلا يجوز الوفاء به.

---

[١] هذه الأدلة دليل على وجوب الوفاء بالنذر إذا كان مشروعًا، أو الكفارة عنه إذا لم يوف، وأما نذر المعصية فلا يجوز فعله ولا الوفاء به ممن وقع عليه وعليه أن يكفر عنه على قول جماعة من أهل العلم.

****

تحريم الذبح لغير الله [١]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

نسكي؛ أي: ذبحي، وعبادتي، وحجي.

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢].

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله».

أخرجه مسلم رقم (١٩٧٨)

---

[١] الذبح لغة: قطع الحلقوم، وشرعًا: إزهاق الروح وإنهار الدم على وجه مخصوص، وقد دلت الآيات المذكورة في الأصل على أن الذبح عبادة مشروعة مأمور العبد أن يخلصها لله ﷻ، فصرفها لغير الله شرك أكبر(١).

الذبح من حيث وقوعه ينقسم إلى:

١- مشروع؛ كالذبح للأضاحي، والهدي، والعقيقة، والضيافة ونحو ذلك.

٢- شرك أكبر، وهو: ما أهل لغير الله وقصد به غيره كالذبح لغير الله تعالى من أصنام وقبور ومشاهد وجن وغير ذلك مما يفعله صاحبه لطلب نفع أو دفع ضر.

٣- الذبح المبتدع والمحرم؛ كالذبح ليلة النصف من شعبان وعند القمار وعند المولد النبوي - زعموا - وما أشبه ذلك.

٤- مباح؛ كالذبح عند الجزارة، وهو في الحقيقة ذبح لله ﷻ ولو كان لغير الله تعالى لحرم أكله.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١ / ١٢٧).

قلت: يؤخذ من هذه الأدلة أن الذبح عبادة والعبادة لا تكون إلا لله، وأن من ذبح لغير الله كجني وقبر وغير ذلك... فهو يستحق اللعن والطرد من رحمة الله إلا أن يتوب إلى الله، فمن تاب تاب الله عليه[١].

---

[١] وقد حذر الشرع من الذبح لغير الله تعالى.
تارة بلعن فاعله: «لعن الله من ذبح لغير الله».
وتارة بتحريم الذبح في مكان عرف بالذبح فيه لغير الله تعالى كما في حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه: أن رجلًا نذر أن ينحر إبلًا ببوانة؛ فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟»؛ أي: إذا كان هذا حاصلًا فلا يجوز الذبح هناك.
وتارة بالإنكار على المشركين الذين يذبحون لغير اللهِ تعَالَى كما تقدم في باب النذر.
وتارة بتحريم الأكل مما أُهلّ لغير الله به، فجميع المذبوحات الغير مشروعة لا يجوز أكلها.
تنبيه: لقد شرح الشيخ هذا الباب شرحًا وافيًا في الطبعة الكبيرة، فليراجع.

****

تحريم الحلِف بغير الله [١]

١- عن عبد الله بن عمر ﭬ أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب ﭬ في ركب، وعمر يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: «ألا إن الله ﻷ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[٢].

أخرجه البخاري رقم (٥٧٥٧) ومسلم رقم (١٦٤٦).

٢- وعنه أيضًا ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله» [٣].

أخرجه مسلم رقم (١٦٤٦)

---

[١] الحلف هو: عقد اليمين بذكر معظّم لتوكيد شيء ما، وقد أجمع العلماء على أن الحلف لا يكون إلا بالله تعالى وأسمائه وصفاته، ولا يجوز بغيره.
وهذه الأدلة التي ذكرها المؤلف واضحة في الدلالة على ذلك، وأما الحلف بغير الله تعالى، فالأصل أنه شرك أصغر لا يخرج من الملة إلا إذا قام بقلب الحالف تعظيم المحلوف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهو شرك أكبر فالعظمة كلها لله وحده، ولأن فيه تسوية غير الله بالله تعالى.

[٢] هذا الحديث محمول على أنه كان قبل النهي ثم جاء النهي فانتهى الصحابة ﭫ حتى قال عمر ﭬ: «والله ما حلفت - يعني بغير الله - لا ذاكرًا ولا آثرًا».

[٣] هذا الحديث صريح في عدم جواز الحلف بغير الله تعالى، ومع أن الحلف بالله تعالى عبادة مشروعة عند الحاجة ونحو ذلك إلا أن العلماء كرهوا كثرة الحلف؛ لأن ذلك مدعاة لقلة الإجلال للحلف بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٤].

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف منكم، فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق»[١]. أخرجه البخاري رقم (٤٥٧٩) ومسلم (١٦٤٧).

٤- عن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»[٢].

أخرجه أبو داود. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٢٥٣) طبعة المعارف.

قلت: ومن هذه الأدلة النبوية الصحيحة يتبين تحريم الحلف بغير الله، كالأمانة، والعيش والملح، والشرف، والأب، والجد، والكعبة، والنبي، والأخوة، والصداقة، والزمالة، والشرف العسكري، والطلاق... وغير ذلك من المخلوقين ، وأن الحلف لا يجوز إلا بالله وحده لا شريك له.

---

[١] دُعي المسلم إن حصل منه سبق لسان كمن هو قريب عهد بإسلام ونحو ذلك أن يبادر بطمس ذلك بإعلان التوحيد لله تعالى ومجاهدة النفس في ترك الخطأ الحاصل منه.

وأما شرح الحديث فمعناه: من حصل منه سبق لسان فحلف باللات والعزى أو غيرها من المخلوقات وذلك كمن هو حديث عهد بإسلام أو حديث عهد باستقامة، فعليه أن يبادر بإعلان البراءة مما قاله من اللفظ الشركي وإظهار التوحيد بقول: (لا إله إلا الله)، ونحو ذلك مما يدل على أنه غير متعمد، والله أعلم.

[٢] الحلف بالأمانة محرم، وما أكثر الوقوع في هذا المحرم لا سيما عند الباعة.

ومعنى الحديث: من حلف بالأمانة فهو مخالف لهدينا، ناقص الإسلام متشبه بغيرنا من أهل الكتاب أو غيرهم من المشركين، ففي الحديث دلالة على تحريم الحلف بالأمانة وأنه من الكبائر. ومن حصل منه سبق لسان بها بادر بالاستغفار والتوبة، والله المستعان.

هل المنجم ساحر؟[١]

عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[١].

أخرجه أحمد رقم(٢٠٠٠) طبعة شعيب وأبو داود وابن ماجه. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٩٠٥) وفي تعليقه على سنن أبن ماجه رقم (٣٧٩٤) طبعة المعارف.

قلت: ومن هذا الحديث يتبين لك أن كل منجم ساحر، وأن الشخص كلما زاد في التنجيم زاد في السحر، نعوذ بالله من المنجمين السحرة.

---

[١] المنجم هو الذي يدعي الغيب ونحو ذلك بالنظر في النجوم وحركاتها.

والتنجيم هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية باعتقاد تأثيرها فيها. وهو من علوم السحرة واليهود والمشركين والفلاسفة، وله صور كثيرة منها: أن يعتقد أن ما يقع في الأرض من مطر وزلزال ورياح وسعادة وشقاء وموت وحياة...بتأثير النجوم بذاتها من دون الله تعالى أو مع الله تعالى فهذا شرك أكبر وقائله مدعٍ لعلم الغيب، ومشرك في الربوبية، وهو كافر لأنه مكذب بالقرآن والسنة فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى، كما ستأتي الأدلة في بابه؛ فإن اعتقد أنها سبب ولم يدّع علم الغيب، وأن الأمر كله لله تعالى فهذا شرك أصغر لأنه ذريعة للصورة الأولى.

تنبيه: لا يدخل في هذا الاهتداء بالنجوم على الجهات أو فصول السنة ونحو ذلك.

[٢] قوله: اقتبس علمًا أي: تعلم علمًا من علم النجوم المحرم فقد وقع في تعلم طريقة وطائفة من علم السحر لاشتراكهما في الشرك ودعوى علم الغيب والدجل ومخاطبة الشياطين أو الكواكب ونحو ذلك. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فقد صرح الرسول ﷺ بأن علم النجوم من السحر». اهـ

هل الساحر كافر؟[١]

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:١٠٢ - ١٠٣].

قلت: ومن هذه الآية الكريمة ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يتبين بوضوح أن الشخص لا يمكن أن يتعلم السحر إلا إذا كفر، فإذا كفر تعلمه، وبناءً على هذه الآية الكريمة فالساحر كافر، نعوذ بالله من الكفر والإلحاد ومن أعمال أهل النار [٢].

---

[١] السحر لغةً: ما لطف وخفي سببه،
واصطلاحًا: عقد ورقى وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين في عمل ما يريد من التأثير على بدن المسحور أو تصوره وغير ذلك.
وهو حقيقة لا ينكره إلا مبتدع ولكن ذلك لا يكون إلا بإذن الله تعالى وله في ذلك حِكَمٌ بالغة، وغالبًا لا يجعل الله لهم تأثيرًا على الصالحين من عباده.
[٢] وكفر الساحر يكون بعبادة الشياطين أو تمزيق المصحف أو الصلاة على جنابة وادعاء علم الغيب وغير ذلك مما تطلبه الشياطين ممن تخدمه من السحرة

....

تنبيه: هناك نوع آخر من السحر وهو باستخدام خفة اليد أو استخدام العقاقير ونحو ذلك

وهذا الفعل حرام وكبيرة من الكبائر دون الكفر إلا أن يجعل فيه قولًا أو فعلًا يقتضي كفره والله أعلم.

حكم الساحر:

الساحر كافر، فإن كان ذميًّا فقد نقض العهد باستخدام السحر، وحل قتله، وإن كان مسلمًا فقد ارتد باستخدام السحر فحل قتله، وهو بهذا يقتل ردة؛ فإن أظهر التوبة قتل حدًّا.

وصح عن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى عماله: «أن قتلوا كل ساحر وساحرة».

وصح أيضًا عن حفصة رضي الله عنها أنها قتلت امرأة سحرتها.

حكم الذهاب إلى الساحر:

الذهاب إليه أقسام:

١- من ذهب لينكر عليه ويحذره من الكفر الذي هو واقع فيه، ونحو ذلك؛ فهذا من النهي عن المنكر.

٢- من ذهب إليه يعتقد أنه يضر أو ينفع أو يعلم الغيب؛ فهذا شرك، لا سيما إذا اقترن بذلك الذبح لغير الله تعالى أو ترك الصلاة ونحو ذلك.

****

تحريم إتيان الكهان والعرَّافين[١]

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا، قال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه كقررة الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة» [٢].

أخرجه البخاري رقم (٥٨٥٩) ومسلم رقم (٢٢٢٨).

٢- عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالًا يأتون الكهان، قال: «فلا تأتوا الكهان» قال: ومنا رجال [٣] يتطيرون، قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم»[٤].

أخرجه مسلم رقم (٥٣٧).

٣- عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» [٥]. أخرجه مسلم رقم (٢٢٣٠).

قلت: الكاهن هو: الذي يخبر الناس عن أشياء غيبية لم تقع بعد، كمهدي أمين الكاهن وغيره، وكذا الذين يخبرون عما في الضمير.

وقد علمت تحريم إتيانهم وأنهم ليسوا على شيء بل هم على باطل.

والعراف: هو الذي يعرّف الناس بمواضع الضالة أو السرقة وغيرهما مما وقع وخفي على الناس أمره، فيأتون إلى هذا العراف فيخبرهم بموضع السحر أو الضالة أو السرقة أو اسم السارق أو الساحر أو غير ذلك من الأمور التي قد وقعت وخفيت عليهم، وقد علمت أيضًا تحريم إتيانهم وأن الله لا يقبل ممن أتاهم وسألهم صلاة أربعين ليلة عقوبة ما اقترفوه من جريمة إتيانهم الكهان أو العرافين، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

[١] الكهانة والتكهن والعرافة والرمل ونحو ذلك كلها من ضروب الشعوذة والدجل، وقد تكون بواسطة الجن وهذا هو الغالب، وقد تكون بواسطة الكذب والمكر، فالأول كافر، وهو من أصناف السحرة عبدة الشياطين ومدعي عليم الغيب، والثاني إذا كان يدعي علم الغيب فهو كافر أيضًا، نسأل الله السلامة والعافية.

[٢] هذا الحديث دليل على أن الكهان أكذب الخلق وأصحاب مكر، ثم من المؤسف أن بعض الناس يتناسى كذبهم ويتمسك بصدقهم الذي هو أقل من واحد في المائة، وهذا ناتج من فراغ القلب من التوكل والتقوى والخوف من الله تعالى ووجود الجهل به سبحانه.

[٣] قوله: «ومنا رجال يتطيرون» التطير هو: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، مثل لو رأى طيرًا فتشاءم لكونه موحشًا، واعلم أن التطير ينافي التوحيد؛ لأن فيه ضعف التوكل على الله تعالى وتعلق بما لا حقيقة له، فهو محرم.

[٤] هذا الحديث فيه تحريم إتيان الكهان فلا يجتمع الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، والإيمان بالكهان وأخبارهم وهو كفر أصغر وقد يصل إلى الأكبر كلٌّ بحسبه.

[٥] قال العلماء: المراد بهذا الحديث: إذا أتى العراف ونحوه وسأله مجرد سؤال مع علمه وإيمانه أنهم لا يعلمون الغيب وأنهم كذابون ولكن أراد السؤال؛ فإن حصل له مراده فذاك وإلا لم يحصل فذاك، فهذا لا يكتب له أجر صلاة أربعين يومًا مع وجوب الصلاة عليه فإن تركها كفر.

....

وأما من صدقهم وظن أنهم يعلمون الغيب أو ينفعون أو يضرون مع الله تعالى أو من دون الله سبحانه. فهذا كافر مكذب بالقرآن لأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وغالب الذاهبين إلى الكهان من الصنف الثاني.

تنبيه: من أتاهم ليكشف كذبهم أو يختبرهم لا يدخل في هذا الوعيد فقد أتى رسول الله ﷺ ابن صياد فاختبره كما في الصحيحين[١].

****

(١) (خ ١٣٥٤) (م ٢٩٣٠).

تحريم تعليق الحروز والتمائم[١]

١- عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: «من علق تميمة فقد أشرك» [٢]. (١)

أخرجه أحمد رقم (١٧٤٢٢) (٢٨/ ٦٣٧) تحقيق شعيب].
وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع رقم (٦٣٩٤).

---

[١] الحروز هي: ما يعلقه المشعوذ على المريض أو الحيوان أو غيرهما لتحرزه، أي: تحميه من العين والجن ونحو ذلك، وقد يكون في هذه الحروز الاستعانة بالجن والشرك الصريح.
والتمائم هي: كالحروز، ومعنى «تميمة» أي: يتم بتعليقها دفع العين أو السحر أو الجن أو تحبيب المرأة إلى زوجها وغير ذلك - كما زعموا -.
[٢] في هذا الحديث: القيام بالتوحيد بين الناس من أول أمرهم، فأين دعاة البدع من هدي رسول الله ﷺ.

وفي الحديث: إن تعليق هذه التمائم وسائر الطلاسم والحروز إذا اعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله تعالى أو مع الله سبحانه من الشرك الأكبر؛ فإن قال: إنما علقتها لتكون سببًا لدفع الضر أو جلب النفع قيل: هذا شرك أصغر؛ لأنك اتخذت سببًا محرمًا موصلًا إلى الشرك الأكبر وفيها ركون إلى غير الله سبحانه، ولو صدقت في إيمانك لنبذتها؛ لأن الله ﷻ حرمها وأمر بالحروز الشرعية وهي الأذكار المشروعة والرقى الشرعية والحفاظ على العبادة، ونحو ذلك.

٢- عن عباد بن تميم أن أبا بشير الأنصاري ﷺ، أخبره أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، قال: فأرسل رسول الله ﷺ رسولًا أن: «لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، إلا قطعت»[١]. أخرجه البخاري رقم (٢٨٤٣)، ومسلم رقم (٢١١٥).

وزاد: قال مالك: «أرى ذلك من العين» [ش].

٣- عن رويفع بن ثابت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا منه بريء »[٢]. (١)

أخرجه أبو داود النسائي. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في سنن أبي داود رقم (٣٦) طبة المعارف. وفي صحيح سنن النسائي رقم (٥٠٨٢) طبعة المعارف.

قلت: يؤخذ من هذه الأحاديث تحريم تعليق الحروز والتمائم، وسواء كان تعليقها في إنسان أو حيوان أو سيارة أو بيت أو دكان أو شجرة أو غير ذلك، وسواء كان هذا المعلَّق عظمًا أو قرنًا أو نعلًا أو شعرًا أو حلتيتًا أو فارعة أو وترًا أو حديدًا أو صفرًا أو تميمة أو غير ذلك،

إذ الكل اعتماد على غير الله، وركون إلى غير الله، واعتقاد في غير الله، والتفات إلى غير الله، ووثوق بغير الله، وهذا شرك بالله، كما في هذا الحديث النبوي الشريف: «من علق تميمة فقد أشرك».

---

[١] قيل في شرحه: أنهم كانوا في الجاهلية يقلدون الإبل أوتار القسي لئلا تصيبها العين بزعمهم، فأمِروا بقطعها إعلامًا بأن الأوتار لا ترد من أمر الله تعالى شيئًا.

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: إذا اعتقد الذي قلدها أنها ترد العين فقد ظن أنها ترد القدر، وذلك لا يجوز اعتقاده.

....

---

[٢] الشاهد «أو تقلد وترًا» كل هذه الطلاسم وجدت في عهد الجاهلية فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك كله، ثم ضعف الناس بعد ذلك بقرون وتفشى هذا الشرك في الناس حتى يسّر الله تعالى بدعاة الحق والسنة، فحاربوا ذلك اقتداءً برسولهم ﷺ، فجزاهم الله خير الجزاء.

قلت: ومن هنا يتبين لك خطر القراءة في الكتب التالية وهي:

١- شمس المعارف. ٢- المندل السليماني.

٣- السبعة العهود. ٤- حرز الجوشن.

٥- أبو معشر الفلكي. ٦- نتيجة فلكي بيت الفقيه.

وغيرها من كتب السحر والضلال والتكهن والخداع [١].

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأل الله السلامة من الغواية.

---

[١] هذا الكلام المتعلق بالكتب أنسب في الباب السابق.

****

لا يعلم الغيب أحد إلا الله [١]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [سورة آل عمران:١٧٩].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٥٠]

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [سورة هود:٣١].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [سورة النمل:٦٥].

---

[١] الغيب لغة: ما غاب عن العيون، وشرعًا: ما غاب عن الخلق من الأمور المستقبلية، والماضية، وعلم الغيب من صفات الله ﷻ التي اختص بها نفسه هو المتفرد به، فمن ادعى مشاركة الله تعالى في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدّق من يدعي ذلك؛ فقد جعل لله تعالى شريكًا فيما هو من خصائصه، وهو مكذب بالقرآن والسنة فكفره من أعظم الكفر وأكبر الشرك.

تنبيه: المراد بعلم الغيب: الغيب المطلق وأما ما يسترقه الجن فإنما يكون بعد إخبار الله تعالى للملائكة فيسترقه الجن ويكذبون ويزيدون.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سورة سبأ:١٤].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [سورة الأنعام:٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [سورة يونس:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة هود:١٢٣].

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [١] [سورة الجن:٢٦].

---

[١] هذه الآية دالة على اختصاص علم الغيب بالله وحده، وقد يُطلع الله ﷻ بعض خلقه على أشياء من علم الغيب لحكمة كالأنبياء والملائكة كما دلت عليه الآية التالية: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [سورة الجن:٢٧].

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «علم الغيب صفة تختص بالله تعالى، وسائر ما كان النبي ﷺ يخبر به من الغيوب بإعلام من الله تعالى إياه لا أنه يستقل بعلم ذلك». اهـ وهكذا الملائكة يطلعهم الله تعالى على ما شاء لحكمة شاءها سبحانه.

قال الشيخ صالح الفوزان أعلى الله درجته: «أي : لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته، فيظهره على ما يشاء سبحانه من الغيب؛ لأنه يُستدل على نبوته بالمعجزات؛ التي منها الإخبار عن الغيب؛ الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ولا يطلع غيرهما لدليل الحصر . فمن ادّعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناه الله من رسله، فهو كاذب كافر؛ سواء ادّعى ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفنجان، أو الكهانة أو السحر أو التنجيم، أو غير ذلك»(١).

---

(١) عقيدة التوحيد (١٢١، ١٢٢).

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [١] [سورة الكهف:٢٦].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما يكون في غد إلا الله، ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدًا، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم أحد متى يجيء المطر إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله».[٢] أخرجه البخاري رقم (٩٩٢).

---

[١] هذه الآيات التي ذكرها المؤلف فيها أن الأنبياء والملائكة والجن لا يعلمون الغيب، والكهان والمنجمون أبعد من أن يعلموا الغيب.

[٢] هذا الحديث العظيم فيه ذكر مفاتح الغيب الخمس، فلا يعلم أحد يقينًا ما سيحصل في الغد سواء عن نفسه أو عن جميع الخلق، وما قد يقال ما هي إلا ظنون وتوقعات.

«ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله» ثم يطلع الله ملك الأرحام على ذلك، وبعد نفخ الروح يسّر الله تعالى للناس معرفة الذكورة والأنوثة ولم ييسر لهم معرفة سائر الكلمات من شقاء وسعادة وعمره وأجله.

«ولا تدري نفس بأي أرض تموت» وإذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بأرض جعل له إليها حاجة.

قلت: ومن هذه الآيات الكريمات والحديث النبوي الشريف يتبين للقارئ اللبيب بطلان ما عليه الكهان والعرافون والمنجمون من الدجل والتضليل، وغيرهم من الكهان، وأنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله وحده لا شريك له.

«ولا يعلم أحد متى يجيء المطر إلا الله» وأما ما يسمى بالطقوس فظنون لعلها تخطئ أكثر مما تصيب، وأما فصول الزراعة كالصيف والخريف فحصول المطر فيها من باب اعتياد الناس على ذلك، وقد لا يقع فيها مطر؛ فالأمر كله لله تعالى وليس لأحد من علم الغيب في الأمطار شيء، ثم لا يعلم على أي منطقة يجيء وعلى أي صفة.

وأما علم الساعة فظاهر أنه من علم الغيب، ولم يخالف إلا الملاحدة والكفار وبعض أصحاب الهوس من المسلمين، كصاحب كتاب (عمر أمة الإسلام).

****

وجوب التوكل على الله وحده [١]

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [٢] [سورة آل عمران:١٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء:٨١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال:٦١].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٥٨]. [٣]

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [٤] [سورة الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النمل:٧٩].

---

[١] التوكل لغة: التفويض، وشرعًا: اعتماد القلب على الله تعالى في دفع المضار وجلب المنافع وتفويض الأمر لله وحده، مع الأخذ بالأسباب المأذون بها شرعًا.

[٢] هذه الآية فيها الجمع بين التوكل والسبب المشروع، وكذلك دلت آية الأنفال وآية المائدة، وهكذا حديث عمر بن الخطاب.

وقال شيخ الإسلام: الاعتماد على السبب شرك، وترك السبب قدح في الشريعة. اهـ والمشروع التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.

[٣] هذه الآية فيها وجوب التوكل على الله تعالى وفيها بيان لضلال المشركين وأتباعهم من القبوريين الذين يعتمدون على الرفات والعظام أو غيرهم من الخلق الذين لا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

[٤] وتوكل على العزيز الذي له العزة الكاملة، الرحيم بك فلن يضيعك.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [١] [سورة يونس:٨٤-٨٦].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة المائدة:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة إبراهيم:١١-١٢].

---

[١] هاتان الآيتان دليل على أن التوكل واجب لا يتم الإيمان إلا به.

قال السعدي رحمه الله تعالى: «بحسب قوة توكل العبد على الله تعالى يقوى إيمانه، ويتم توحيده»اهـ(١).

وقال صاحب فتح المجيد نقلًا عن ابن القيم رحمه الله تعالى: «يجمع الله تعالى بين التوكل والإسلام، وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والعبادة، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والهداية؛ فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان فلا يقوم الإيمان وأعماله إلا على ساق التوكل».

---

(١) انظر القول السديد شرح كتاب التوحيد (باب التوكل).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا» [١]

أخرجه أحمد رقم (٢٠٥) طبعة شعيب، والترمذي وابن ماجة وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي رقم (٢٣٤٤) وفي تعليقه على سنن ابن ماجه رقم (٤٢٣٩).

---

[١] «خماصًا» جياعًا.

«وتروح بطانًا» ترجع في آخر النهار شابعة قد امتلأت بطونها.

ولما كان التوكل عبادة يجب إخلاصها لله ﷻ، فمن توكل على غير الله ﷻ فهو مشرك شركًا أكبر كما هو حال القبوريين وكثير من الصوفية وغلاة الرافضة.

والمشروع إفراد الله ﷻ بالتوكل والاعتماد عليه والأخذ بالسبب سواء كان بواسطة كالاستعانة بالسلطان على دفع عدو أو كان بغير واسطة كالقيام بالتجارة لجلب الرزق.

والله المستعان.

****

تعريف البدعة [١]

البدعة: اعتقاد أو لفظ أو عمل أُحدث بعد موت النبي ﷺ بنية التعبد والتقرب ولم يدل عليه الدليل من الكتاب ولا من السنة، ولا إجماع السلف.

أقسام البدعة خمسة وكلها ضلالة وبعضها أشر من بعض [٢]:

١- بدعة اعتقادية: وهي كل اعتقاد يخالف الكتاب والسنة [٣].

٢- بدعة لفظية: وهي كل لفظ تلفظ به الشخص تعبّدًا وهو مخالف للكتاب والسنة[٤].

٤- بدعة بدنية: وهي كل حركة صدرت من الإنسان تعبّدًا وهي مخالفة للكتاب والسنة[٥].

---

[١] البدعة لغة: ما أحدث على غير مثال سابق، واصطلاحًا: لها عدة تعاريف وما أتى به المؤلف جامع مانع.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: وضابطها: التعبد لله بما لم يشرع. اهـ

وسيأتي تقسيم البدعة إلى مكفرة وغير مكفرة في آخر الكتاب.

[٢] وهذا التعبير دقيق، وفيه رد على محسني البدع وكل بدعة ضلالة.

[٣] وقد يكون اعتقادًا مكفرًا كمن يعتقد جواز عبادة غير الله تعالى أو أن أحدًا يعلم الغيب أو أن شرع الله ﷻ غير صالح للناس، وقد تكون غير مخرجة من الملة كبدعة الخوارج وبدعة المعتزلة وبدعة الحزبية ونحو ذلك.

[٤] ومنها المكفر كالقول بالحلول والاتحاد وبخلق القرآن والقول بأن المقبورين ينفعون ويضرون من دون الله... إلخ، ومنها المفسقة كالتلفظ بالنية وبدع المولد والأذان بـ(حي على خير العمل)... إلخ.

[٥] كالرقص عند الذكر وشد الرحال إلى القبور والاعتكاف الجماعي، وقد تكون

البدعة مكفرة كالذبح لغير الله تعالى والتمرغ في تربة الضريح تقربًا والسجود للصنم.

٤- بدعة مالية: وهي كل مال صرف تعبدًا في شيء مخالف للكتاب والسنة [١].

٥- بدعة تركية: وهي كل من ترك شيئًا من الدين أو المباح تعبدًا، كمن ترك النكاح أو أكل اللحم تعبدًا وتبتلًا [٢].

---

[١] وهي قسمان: مكفرة؛ كالنذر لغير الله تعالى وبذل الذبائح والمال للمقبورين أو الجن ونحو ذلك.
وغير مكفرة؛ كبذل المال لبناء قبة على قبر أو زخرفة مسجد أو لنصر الحزبيات أو الانتخابات... إلخ.

[٢] وهذه البدعة منها ما يكون كفرًا كترك الاحتجاج بالسنة كما هو حال الطائفة القرآنية والرافضة، وكمن ترك الصلاة كغلاة الصوفية؛ لأنه وصل إلى درجة اليقين، وكمن ترك القرآن والسنة لأنه يتلقى عن الله مباشرة كما هو عند الصوفية... إلخ.
ومنها ما لا يصل إلى الشرك والكفر كترك الجماعة والجمعة كما تفعل الخوارج والرافضة، وكترك طلب العلم كما هو حال جماعة التبليغ... إلخ.
تنبيه: للبدع تقاسيم أخرى فصلناها في شرحنا المطول، ولله الحمد والمنة.

****

احذروا البدع[١]

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

أخرجه البخاري رقم (٢٥٥٠) ومسلم رقم (١٧١٨).

وفي رواية لمسلم : «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» [٢].

٢- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، [وكل محدثة بدعة] وكل بدعة ضلالة، [وكل ضلالة في النار]» [٣]. أخرجه مسلم رقم (٨٦٧) والسياق له.

والنسائي في العيدين باب ٢٢ (٣/ ١٨٨-١٨٩) والزيادة له.

تفكر يا أخي المسلم في هذين الحديثين الصحيحين النبويين الشريفين اللذين خرجا من مشكاة النبوة، وأمعن النظر فيهما تجدهما شفاء لك - إن شاء الله - من كل بدعة أُحدثت.

---

[١] أطال المؤلف في هذا الباب مما أغني عن كثرة التعليق.

[٢] هذا الحديث فيه إبطال جميع البدع وبجميع أقسامها، ولهذا عده بعض العلماء نصف الدين.

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم(١): «فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه».

[٣] قوله «وكل ضلالة في النار»؛ أي: فاعلها متوعد بالنار، وهذا الحديث دليل على أن البدع من أكبر الكبائر فاحذروها واحذروا من يدعو إليها.

---

(١) (ص٢٣٣).

فائدة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها، حتى ينسلخ صاحبها من الدين، كما تنسل الشعرة من العجين».

في دين الله، ذلك أن رسول الله ﷺ قد حكم على كل بدعة بأنها ضلالة، ولم يقل بعض وبعض، وإنما قال «كل»، و(كل) - يا أخي المسلم - من ألفاظ العموم.

وكذلك قوله ﷺ «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي: مردود، ولم يقل: على حسب نية صاحبه، بل حكم عليه بأنه رد.

فإذا قال لك قائل: ليس كل بدعة ضلالة، وليس كل عمل أحدث في الدين فهو مردود.

فقل له: من أعلم أنت أم رسول الله ﷺ؟! من أتقى لله أنت أم رسول الله ﷺ؟؟!

فإن قال بصريح هذين الحديثين واعتقدهما وعمل بهما فذاك، وإن كان لا يزال مصرًّا على قوله الأول بأنه ليس كل بدعة ضلالة، ولا كل أمر محدث مردود؛ فقل له: إن الرسول ﷺ في شق يقول: «كل بدعة ضلالة»، ويقول: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، وأنت في الشق الآخر تقول: ليس كل بدعة ضلالة، ولا كل عمل محدث مردود [١]، فقل له: هذه منك مشاقة للرسول ﷺ، وذكره بقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١١٥]. اللَّهُمَّ توفنا على الكتاب والسنة، ونجنا من البدع كلها يا رب العالمين.

---

[١] وهؤلاء المشاقون غالبًا لا ينجع فيهم الوعظ لعنادهم للحق وأهله.

قال الشيخ مقبل رحمه الله تعالى: من كان معاندًا أعرضنا عنه. اهـ كما في آخر (هذه دعوتنا وعقيدتنا). فأهل البدع الحذر منهم ومن مجالستهم واجب على كل مسلم يريد النجاة بعقيدته والسلامة لدينه.

حكم بناء القباب والمشاهد على القبور[١]

١- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه». أخرجه مسلم رقم (٩٧٠).

٢- عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته». أخرجه مسلم رقم (٩٧٩).

قلت: يؤخذ من هذين الحديثين ما يلي:

١- تحريم البناء على القبور [٢].

---

[١] قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وهذه المشاهد الباطلة إنما وضعت مضاهاة لبيوت الله تعالى، وتعظيمًا لما لم يعظمه الله ﷻ، وعكوفًا على أشياء لا تنفع ولا تضر، وصدًّا للخلق عن سبيل الله تعالى».

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله تعالى: «وبهذا يتضح أن تقديم النذور والقرابين للمزارات شرك سببه البناء على القبور وإقامة المساجد عليها؛ لأنها لما بني عليها قبة ظن الجهال أن المدفونين فيها ينفعون أو يضرون، وأنهم يُغيثون من استغاث بهم، فقدموا لهم النذور».

وقال الشيخ مقبل رحمه الله تعالى: «لا يبني قبة على قبر إلا صوفي أو رافضي أو متأثر بهما».

ولقد عمت هذه الفتنة وصارت القباب في كل بلدة بالآلاف والله المستعان.

فيا شباب الإسلام ويا حماة التوحيد بادروا إلى تحذير الناس من هذه الوثنية، واسعوا جادين إلى هدم القباب؛ فإن هدمها من الجهاد في سبيل الله تعالى.

[٢] سواء كان قليلًا أو كثيرًا، وكله حرام بل ضلال وذريعة إلى الشرك والبدع.

٢- تحريم تجصيصها [١]. ٣- تحريم القعود عليها.

٤- تحريم تصوير ذوات الأرواح [٢]. ٥- وجوب طمس صور ذوات الأرواح.

٦- وجوب هدم ما بني على القبور.

---

[١] سواء كان بالجص أو بالأسمنت أو بالبلاط أو نحو ذلك كله حرام.

[٢] سواء كانت تماثيل أو رسومًا أو فوتوغرافية، أو غير ذلك من صور ذوات الأرواح؛ لأن هذه الصور مدعاة إلى الشرك والفساد.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «هذا عام أيضًا لكل صورة أيًّا كانت، رسمًا و نحتًا، أو التقاطًا بالآلة، غاية ما يكون أن صاحب الآلة أسرع عملًا من الذي يرسم، إلا فالنتيجة واحدة، كل من هؤلاء قصده إيجاد صورة، ... لماذا نفرق بينهم والرسول ﷺ قول: «كل مصور في النار»، ما هو الدليل المخصص إلا فلسفة يأتون بها، وأقوالًا يخترعونها يريدون أن يخصصوا كلام الرسول ﷺ برأيهم، والمحذور الذي في الصورة التمثالية أو المرسومة هو المحذور الذي في الصورة الفوتوغرافية، المحذور واحد، وهو أنها وسيلة إلى الشرك، وأنها مضاهاة لخلق الله تعالى، ... فما الذي يخصص صاحب الآلة عن غيره؟، إن لم يكن صاحب الآلة أشد، لأنه يأتي بالصورة أحسن من الذي يرسم، ... فالمعنى واحد، ولا داعي لهذا التكلف أو هذا التمحل ... كل هذا كلام فارغ لا قيمة له عند أهل العلم وعند الأصوليين، القواعد الأصولية تأبى هذا كله، وهم يعرفون هذا، ولكن الهوى والمغالطة أحيانا يذهبان بصاحبهما مذهبًا بعيدًا، يقول الرسول ﷺ: «كل مصور في النار». ويأتي فلان ويقول: «لا، المصور بالفوتوغرافي ليس في النار» ما هو دليلك يا مسكين؟». إعانة المستفيد (٢ / ٣٦٩ - ٣٧٠) ط. الرسالة.

تحريم الصلاة إلى القبور

عن أبي مرثد الغنوي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها».

أخرجه مسلم رقم (٩٧٢).

قلت: النص صريح في تحريم الصلاة إلى القبور [١]، وفي تحريم الجلوس عليها، كما هي القاعدة الأصولية: (الأصل في النهي التحريم إلا لصارف)، ولا صارف له هنا، فليتق الله رجال يخالفون أوامر رسول الله ﷺ، وليتذكروا قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣].

---

[١] لأن ذلك مدعاة إلى الشرك الذي كان عليه مشركو العرب، بل ما وجد من بعض مدعي الإسلام من صوفية ورافضة وشيعة يعتبر أعظم شركًا، فقد جعلوا القبور معابد والفزع إلى دعائها والصلاة عندها عند كل شدة تنزل بهم ونسوا الله سبحانه،
وأما حكم الصلاة: فالبطلان على الصحيح... هذا إذا لم يقصد التقرب إلى صاحب القبر؛ فإن قصد التقرب إلى المقبور أو غيره من الخلق فقد بطل إسلامه وارتد بعد إيمانه، عياذًا بالله تعالى.
ومن البلاء العظيم: وجود مساجد كثيرة تحيط بها المقابر من جميع الجهات أو أكثرها، وربما كان المسجد على المقبرة وفوق القبور، وربما وجد داخل المسجد قبر ولي -زعموا- وهذا ضلال مبين، والصلاة في هذه المساجد محرمة، ويجب هدم المساجد المبنية وسط المقبرة، وأن يسعى الناس إلى بناء مساجد بعيدة عن القبور.
أما إذا وجد داخل المسجد أو صرحه قبر والمسجد بعيد عن المقبرة فينبش القبر ويخرج إلى المقبرة. ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

حكم الزيارات السنوية المحددة لبعض القبور

سؤال: سؤال هل الزيارات السنوية المحددة لبعض القبور والتي يقع فيها الرقص والاختلاط وغير ذلك من أنواع المنكرات هل يقرُّها الشرع؟

والجواب والله الموفق للصواب: إن هذه الزيارات السنوية المحددة لبعض القبور والتي يقع فيها الرقص والاختلاط وغير ذلك من أنواع المنكرات لا يقرها الشرع، بل هي من الأمور المحدثة في الدين، والعادات السيئة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والواجب على المسؤولين - ثبتنا الله وإياهم على الحق - والعلماء - وفقنا الله وإياهم - أن يغيروا مثل هذا المنكر الشنيع الذي يدعو إلى هدم العقيدة الإسلامية من قلوب الرجال والنساء ويدعو إلى تدهور الأخلاق والقيم الإسلامية، وقد سبقت أدلة التحذير من البدع، فراجعه.

وهذه من البدع لكونهم خصوا زمانًا ومكانًا وقبرًا بدون دليل شرعي.

وقد ينضم إليها بعض المنكرات والشركيات [١] - والعياذ بالله .

---

[١] وهذا هو الغالب، بل لو رأيت الملايين من المحسوبين على المسلمين وقد اجتمعوا عند قبر للست زينب أو البدوي أو ابن علوان أو قبر هود عليه السلام أو قبر الحسين بن علي، لو رأيت هذا ونحوه من الاجتماعات السنوية للقبور، لدهاك الرعب وخشيت على الأمة من الهلاك بسبب المعلنين للوثنية والشرك التي فاقوا بها المشركين من قبلهم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. لقد نشرت بعض الهيئات بمصر عام ١٩٩٦م أنه وفد إلى قبر البدوي بطنطا أكثر من ثلاثة ملايين زائر يدعونه من دون الله تعالى، ويذبحون له الذبائح، ويعلنون الشرك الجاهلي من جديد.

ثم اعلموا - وفقني الله وإياكم - أن زيارة القبور تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي كما يلي: ١- زيارة شرعية. ٢- زيارة بدعية. ٣- زيارة شركية.

أ- فأما الزيارة الشرعية: فهي التي شرعها الإسلام بالشرطين التاليين:

١- ألا يشد الرحال إليها؛ فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

أخرجه البخاري رقم (١١٣٩) ومسلم رقم (٨٢٧).

٢- ألا يقول الزائر هُجرًا، وعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها». أخرجه مسلم رقم (٩٧٧) ورواه النسائي في الجنائز باب: ١٠٠ (٤/ ٨٩): بلفظ: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها ولا تقولوا هُجرًا»، وإسناده صحيح.

ب- وأما الزيارة البدعية: فهي التي تفقد شرطًا من هذين الشرطين فضلًا عن أكثر.

ج- وأما الزيارة الشركية: فهي التي وقع صاحبها في نوع من أنواع الشرك بالله، كدعاء غير الله، أو الذبح لهم، أو النذر لهم، أو الاستغاثة بهم أو الاستعانة بهم، أو الاستعاذة بهم إلى غير ذلك [١].

وقوله: «ولا تقولوا هُجرًا»، الهُجر: بضم الهاء هو: الكلام الفاحش.

راجع إن شئت النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٤٥).

قلت: فانظر - رحمك الله - كيف نهانا رسول الله ﷺ عن القول الفاحش الباطل عند زيارة القبور، وأي قول أعظم فحشًا وبطلانًا من أن تدعو الأموات من دون الله، وتستغيث بهم من دون الله، فهذا والله لهو منتهى الفحش والبطلان.

ولكن الأمر كما قال الله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧، ويوسف: ٢١، ٤٠، ٦٨، والنحل: ٣٨، والروم: ٦، ٣٠، وسبأ: ٣٦، وغافر: ٥٧، والجاثية: ٢٦].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف:١٠٦] [١]
ومن ذلك زيارة قبر ماركس، ولينين، للتعظيم ، نعوذ بالله مِن الخذلان[٢].

---

[١] يعترفون بالربوبية من وجه ويشركون من وجه آخر، مع شركهم في الألوهية.
[٢] ماركس ولينين من زعماء الحزب الشيوعي الملحد.

****

حكم من جعل المقابر طرقًا وملاعب ومواقف للسيارات [١]

سؤال: هل يجوز جعل المقابر طرقًا ومواقف للسيارات وبناء الدكاكين عليها، وغير ذلك من أنواع الإهانة؟

والجواب والله الموفق للصواب: إن الاعتداء والظلم حرام سواء كان على الأحياء أو على الأموات، بل إنه على الأموات أشد حرمة، لهذا الحديث النبوي الشريف:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر». أخرجه مسلم رقم (٩٧١).

قلت: وعليه فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤذي أخاه المسلم حيًّا كان أو ميتًا، وعلى الدولة أن تمنع الظلمة الذين يتخذون المقابر طرقًا وأسواقًا ومجالس عليها يتكئون، وعلى العلماء بيان الحق الذي عليهم، والله الموفق.

---

[١] أورد المؤلف هذا الباب في كتاب التوحيد بعد ذكر الشرك الحاصل عند القبور ردًّا على من لا يقيم لمقابر المسلمين حرمة، والحق وسط بين غلو القبوريين وتفريط المفرطين الذين أهدروا حقوق الموتى.

****

تحريم أذية المسلمين [١]

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

أخرجه الإمام الترمذي رقم (٢٠٣٢).

وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٠٣٢).

قلت: في هذا الحديث تحريم أذية المسلمين، وتحريم تعييرهم، وتحريم تتبع عواراتهم.

---

[١] أورد المؤلف هذا الباب في كتاب التوحيد... ماهي المناسبة؟!

قيل: لأن أذية المسلمين تضعف الإيمان والتوحيد، ويقال: لأن التحذير من الشرك والبدع لا سيما وقد سمى المؤلف فرقًا وأشخاصًا كل هذا ليس من أذية المسلمين، بل هو من النصح للمسلمين؛ لأن في ذلك سلامة معتقداتهم وعباداتهم، ويقال: إن هذه الشركيات والبدع المنتشرة أذية للمسلمين ممن أحيوها وضلوا وأضلوا كثيرًا، أو يقال: لأن جعل المقابر طرقًا

أذية للمسلمين كما تقدم، والله أعلم.

****

أقسام الدُّور، وأقسام أهلها

الدور ثلاث:

١- دار الدنيا[١] ٢- دار البرزخ[٢] ٣- دار الآخرة[٣].

والناس ينقسمون في هذه الدور الثلاث إلى ثلاثة أقسام، وكل قسم ينقسم إلى أقسام وهم:

١- مؤمنون، وهم قسمان.

٢- منافقون، وهم قسمان. ٣- كافرون، وهم قسمان.

θ المؤمنون قسمان:

١- سابقون، وهم المقربون ٢- أصحاب اليمين، وهم الأبرار[٤].

---

[١] الدنيا هي حياة الناس بعد ولادتهم، وسميت دنيا لدنو زوالها، أو لدناءة حالها، قال الله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)، وهذه الدنيا دار عمل وتوحيد وعبادة.

[٢] وهي حياة الناس بعد موتهم في قبورهم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾، وهذه الآية في سياق الموت من سورة المؤمنين.

[٣] دار الآخرة لأنها متأخرة عن الدنيا، ولأنها آخر المراحل الثلاث، وقيل غير ذلك، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعلى:١٦-١٧]، وهذه الدار تكون بعد البعث وآخر ما فيها إما الجنة وإما النار، كما قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الشورى:٧].

[٤] قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة الواقعة:١٠-١١]، إلى قوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ [سورة الواقعة:٢٧]. وتقسيم آخر: سابقون، ومقتصدون، وظالم لنفسه، كما دلت عليه آية فاطر: (٣٢).

****

θ

النفاق[١].

النفاق قسمان:

١- اعتقادي. ٢- عملي.

وإن شئت فقل:

١- أكبر. ٢- أصغر.

وإن شئت فقل:

١- مخرج من الملة. ٢- غير مخرج من الملة.

وإن شئت فقل:

١- نفاق الكفر. ٢- نفاق العمل[٢]. انظر السير للذهبي (١١/٣٦٣).

فأما النفاق الاعتقادي: وهو الأكبر، وهو المخرج من الملة، وهو نفاق الكفر؛ فهو: أن يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر.

وأما النفاق العملي: وهو الأصغر، وهو غير المخرج من الملة، فهو أقسام منها:

١- إذا حدث كذب. ٢- إذا وعد أخلف.

٣- إذا اؤتمن خان. ٤- إذا عاهد غدر.

٥- إذا خاصم فجر. ٦- من لم يحدث نفسه بالغزو.

المنافقون قسمان:

١- منافق خالص. ٢- منافق فيه شعبة من النفاق.

المنافقون قسمان:

أ- منافقون اعتقاديون. ب- نفاق عملي.

والاعتقاديون قسمان: أ- دعاة. ب- غير دعاة.

---

[١] تقدم الكلام على النفاق بما فيه الكفاية.

θ الكفر[١]:

الكفر قسمان:

١- أكبر. ٢- أصغر[٢].

وإن شئت فقل:

١- مخرج من الملة. ٢- غير مخرج من الملة.

فأما الكفر الأكبر: وهو المخرج من الملة؛ فأقسام هي:

١- كفر التكذيب. ٢- كفر الجحود.

٣- كفر الإنكار. ٤- كفر الاستهزاء والسخرية.

٥- كفر الإباء والاستكبار. ٦- كفر العناد.

٧- كفر الإلحاد. ٨- كفر الشرك.

٩- كفر الشك. ١٠- كفر الإعراض.

١١- كفر النفاق. ١٢- كفر الزندقة(١).

---

[١] الكفر لغة: التغطية، واصطلاحًا: الكفر ضد الإيمان، وقد يصحبه تكذيب ومعاداة، وهذا هو الغالب وقد لا يصحبه ذلك ككفر الإعراض ونحو ذلك.

[٢] الكفر الأكبر منافٍ لأصل الإيمان ومخرج من الملة، والكفر الأصغر منافٍ لكمال الإيمان الواجب وغير مخرج من الملة.

---

(١) شرح الطحاوية (ص٣٤٢).

١٣- كفر الموالاة لأعداء الإسلام. ١٤- كفر الردة.

١٥- كفر المنجمين والسحرة. ١٦- كفر من يصدّق المنجمين والكهان.

١٧- كفر الاستحلال [١].

---

[١] ١- كفر التكذيب: هو اعتقاد كذب الرسل، ويكون بالقلب، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت:٦٨].

٢- كفر الجحود: هو أن يعرف الحق بقلبه، ويجحده بلسانه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل:١٤]، فيكون باللسان دون القلب.

٣- كفر الإنكار: وهو ألّا يعرف الله تعالى بقلبه ولا بلسانه، ولا يعترف به، ككفر الدهرية، وهو داخل في كفر التكذيب.

٤- كفر الاستهزاء والسخرية: أن يسخر أو يستهزئ بالله تعالى أو برسله أو بدينه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ [سورة التوبة:٦٥-٦٦]، وهو كفر نفاق وزندقة.

٥- كفر الإباء والاستكبار: لا يجحد الحق بل يتكبر عن قبوله مع علمه أنه الحق، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة:٣٤].

٦- كفر العناد: وهو كفر الاستكبار - والله أعلم - وهو أن يكفر عنادًا للحق مع علمه أنه حق.

٧- كفر الإلحاد: وهو أن يميل عن قبول الدين الحق إلى الأديان الباطلة، وقد يميل إلى إنكار وجود الله ﷻ كفرعون والدهرية والاشتراكية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

٨- كفر الشرك: أن يجعل لله تعالى شريكًا فيما اختص به، وقد تقدم الكلام على الشرك.

٩- كفر الشك: وهو التردد والارتياب في صدق الرسول ﷺ أو ما جاء به، أو في قدرة الله تعالى ونحو ذلك، قال تعالى في صاحب الجنة الذي قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [سورة الكهف:٣٦] فقال له صاحبه:﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [سورة الكهف:٣٧].

١٠- كفر الإعراض: قال ابن القيم: كفر الإعراض أن يعرض بسمعه وقلبه عن الله تعالى ورسوله ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يعاديه ولا يقبل ما جاء به، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأحقاف:٣].

١١- كفر النفاق: أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، كما تقدم.

١٢-كفر الزندقة، وهو ككفر النفاق، إلا إن الزندقة تكون بعد الإسلام غالبًا، والنفاق كذلك، و يكون أحيانًا من أول الأمر نفاق ويدعي الإسلام دعوى فقط.

١٣- كفر الموالاة لأعداء الإسلام: ويكون بالرضا عنهم وتفضيلهم على المسلمين أو القيام معهم ضد المسلمين رغبة في نصرة دينهم.

....

١٤- كفر الردة: وهو الرجوع من الإسلام إلى الكفر الصريح، وأما الزندقة فلا يُصرح بكفره، وهذا الفرق بينهما، وكلاهما ردة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ الآية. [سورة البقرة:٢١٧].

١٥- كفر المنجمين والسحرة: وقد تقدم.

١٦- كفر من يصدقهم: وقد تقدم.

١٧- كفر الاستحلال: وهو أن يستحل شيئًا ثبت تحريمه في الكتاب والسنة تحريمًا قطعيًّا بعد علمه بثبوته، وهذا كفر بالإجماع.

وأما الكفر الأصغر: وهو غير المخرج من الملة؛

فأقسام منها: ١- كفر النعمة [١]. ٢- كفر الأخوة [٢].

٣- كفر العشرة [٣]. ٤- كفر الطعن في الأنساب.

٥- كفر النياحة على الميت [٤]. ٦- كفر الرغبة عن الأب [٥].

٧- كفر الحكم بغير ما أنزل الله إذا لم يستحل [٦].

---

[١] قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم:٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل:١١٢].

[٢] لحديث: «سباب المسلم، فسوق وقتاله كفر» متفق عليه(١).

[٣] ودليله حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنه ﷺ قال للنساء: «تكفرن العشير، وتكثرن اللعن،»(٢).

[٤] ودليله حديث: «ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»(٣).

---

(١) (خ٤٨) (م٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) (خ٣٠٤) (م٨٠).

(٣) رواه مسلم (٦٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٥] ودليله حديث: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر».
متفق عليه[(١)].

[٦] واعلم أن هناك أنواعًا كثيرة كترك الصلاة، وإباقة العبد، وترك الزكاة، وتكفير المسلم.

(١) (خ٦٧٦٨) (م٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تنبيه: الكفر العملي قسمان:

أكبر: كالسجود والركوع والذبح لغير الله. وأصغر : كالحكم بغير ما أنزل الله إذا لم يستحل.

الكفار قسمان:

١- كفار أصليون . ٢- كفار مرتدون.

الكفار قسمان:

١- كفار دعاة إلى الكفر. ٢- كفار لا يدعون إلى كفرهم[1].

تنبيه: الأدلة على ما ذكرته في أقسام الدور وأقسام أهلها كثيرة معلومة.

تقدم

(١) تقدم نحو هذا، وهذه مما زاده الشيخ رحمه الله تعالى في الطبعة العاشرة.

الشرك [١]

الشرك قسمان:

١- أكبر. ٢- أصغر.

وإن شئت فقل:

١- مخرج من الملة. ٢- غير مخرج من الملة.

فأما الشرك الأكبر: وهو المخرج من الملة، وهو شرك الكفر؛ فهو أقسام منها:

١- شرك في الربوبية. ٢- شرك في الألوهية. ٣- شرك في الأسماء والصفات.

وأما الشرك الأصغر؛ فهو غير مخرج من الملة، وهو أقسام أيضًا منها:

١- يسير الرياء. ٢- الحلف بغير الله من غير تعظيم.

٣- تعليق التمائم بغير اعتقاد النفع بها.

٤- قول: أنا واثق في الله وفيك، من غير اعتقاد في المقول له.

تنبيه: الشرك الاعتقادي(١) والشرك العملي والشرك الخفي والشرك اللفظي قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر.

---

[١] تقدم الكلام على الشرك.

واعلم أن من أعظم أسباب انتشار الشرك لهو الجهل بتوحيد الله تعالى، وكثرة أهل البدع والأهواء لا سيما القرامطة الملاحدة، والرافضة، والصوفية، فيا مَنْ عندكم غيرة على توحيد الله تعالى احرصوا على العلم والتعليم والدعوة إلى الله تعالى، والتحذير من الشرك والبدع، وستزول هذه الخرافات بإذن الله رب العالمين.

****

---

(١) سبق في أنواع الشرك أن الشرك الاعتقادي كله أكبر.

البدعة [١]

البدعة قسمان:

١- كبرى. ٢- صغرى.

وإن شئت فقل:

١- مكفرة [٢]. ٢- ومفسقة [٣]. انظر هدي الساري لابن حجر (ص٣٨٥).

وإن شئت فقل:

١- مخرجة من الملة. ٢- غير مخرجة من الملة [٤].

فأما البدعة الكبرى: وهي المكفرة، وهي المخرجة من الملة؛ فهي التي تصل بصاحبها إلى حد الكفر.

---

[١] تقدم الكلام على البدعة والتحذير من البدع.

[٢] كبدعة القرامطة، وبدعة الحلول والاتحاد عند الصوفية، وبدعة قرآن فاطمة، وتكفير الصحابة عند الرافضة.

[٣] كبدعة المولد، والحزبية، وبدعة: (حي على خير العمل) في الأذان، وبدعة التصوف، والتشيع، والتبليغ، وغير ذلك.

[٤] قال الشيخ إبراهيم الرحيلي: «إن أهل البدع ليسوا على درجة واحدة؛ فمنهم من هو مقطوع بكفره؛ كمن أتى بقول أو فعل مكفر وتمت في حقه شروط التكفير وانتفت موانعه، ومنهم من لا يحكم بكفره لانتفاء ذلك في حقه، وهذا قول عامة أئمة أهل السنة»(١).

(١) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء (١ / ١٦٣ - ١٦٤).

وأما البدعة الصغرى: وهي المفسقة، وهي غير المخرجة من الملة؛ فهي التي لا تصل بصاحبها

إلى حد الكفر.

المبتدعون قسمان:

١- دعاة إلى بدعتهم. ٢- غير دعاة إليها[١].

انظر هدي الساري لابن حجر العسقلاني (ص٣٨٥).

---

[١] أحب أن أضيف هنا كيفية التعامل مع أهل البدع:

أما المبتدع الذي لا يدعو إلى بدعته - وهم قليل - فالنصيحة لهم ودعوتهم إلى الحق برفق ولين أو شدة عند الحاجة، مع عدم مجالستهم، ومن جالسهم نصح بتركهم حتى يرتدعوا.

وأما المبتدعة الدعاة إلى بدعهم فمنهج السلف البعد عنهم وعن مجالستهم وجدالهم إلا لنصحهم لمن كان أهلًا لذلك من ذوي العلم والبصيرة، فمن تاب وقَبِل النصيحة وإلا فالتحذير منهم ومن بدعهم وهدم شبههم بأدلة الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

وروى أحمد في مسنده بسند حسن (٢٧٤٨٥) عن أبي الدرداء ﵁ - وهو مروي عن جمع من الصحابة ﵃ قال: قال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».

وقال أبو قلابة ﵀ تعالى: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»(١).

---

(١) رواه اللالكائي (٢٤٤) وسنده صحيح.

....

ذكر بعض فرق الضلال:

اعلم أخي المسلم - جنبنا الله وإياك البدع وأهلها - أن فرق الضلال كثيرة، وسأذكر لك مجموعة منها، ممن اشتهر في عصرنا هذا من الفرق السابقة والحديثة:

١- الرافضة: أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، الذين عرفوا بالضلال المبين، والمكر بالإسلام والمسلمين، وتكفير الصحابة، والغلو في آل البيت، وإحياء البدع والشركيات، وموالاة الكفار.

ومن أحسن ما كتب في الرد عليهم: كتب الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى، وقبله منهاج السنة لشيخ الإسلام.

٢- الصوفية: وهي فرقة ضالة عن الدين، وتتبع أفكارًا يونانية، ووساوس شيطانية، وعرفوا بالحلول والاتحاد، وعمارة المشاهد والقباب، وإحياء الشرك والبدع والموالد، والاستغناء عن الشريعة، إلى غير ذلك.

ومن أحسن الكتب في الرد عليهم: كتب شيخ الإسلام ، وكتاب: (عقيدة الصوفية وحدة الوجود) و(مظاهر الانحراف العقدية عند الصوفية).

٣- الإخوان المسلمون: أتباع حسن البنا، وهو صوفي، وهذه الجماعة تحمل فكر الخوارج وزيادة بلايا كثيرة، فهم متلونون ديمقراطيون، ومستعدون لموالاة أعداء الإسلام أو انتهاك أي محرم من أجل الوصول إلى الى الكراسي، وعندهم ضلالات كالرمل.

ومن أحسن ما كتب فيهم: الجماعة الأم - الإخوان المسلمون في الميزان - المورد العذب الزلال للشيخ النجمي - النقل الأمين لبيان عقيدة الولاء والبراء عند الإخوان المسلمين.

٣- جماعة التبليغ: وهم أتباع محمد إلياس الصوفي، وهي جماعة صوفية خرافية، وما

يقال في الصوفية يقال فيهم.

ومن أحسن الكتب في الرد عليهم: القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للتويجري.

ومن فرق الضلال: الخوارج، والشيعة، والزيدية، والأشاعرة، والمعتزلة، والسرورية، وحزب التحرير.

ومن فرق الضلال والكفر: الشيوعية، والاشتراكية، والعلمانية، والحداثة، والرأسمالية، والبعثية، والناصرية، والمكارمة، والقرامطة، والديمقراطية، والقاديانية، والنصيرية وغيرهم.

والله المستعان وعليه التكلان.

اللّٰهُمَّ اعصمنا من الشرك والكفر والنفاق والبدع.

****

الخاتمة

بهذا القدر أكتفي، والله أسأل أن يجعل عملي هذا وكل أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأن يجمع المسلمين على الكتاب والسنة، وأن ينصر الحق وأهله، وأن يخذل الباطل وأهله، وأن يبصِّر المسلمين بأمر دينهم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وسبحان الله وبحمده، سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

صنعاء في ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ

كتبه

أبو إبراهيم

محمد بن عبد الوهاب بن علي الوصابي العبدلي

---

[١] وبهذا القدر من الشرح المتواضع المختصر أكتفي، وأسأل الله ﷻ الإخلاص والثبات وحسن الخاتمة، وأسأله أن يجعل له قبولًا حسنًا نافعًا، والله المستعان.

دار الحديث بمعبر / شعبان / ١٤٢٦هـ

وكانت مراجعته في ربيع ثاني من عام ١٤٢٩هـ

المراجعة النهائية ١٤٤١ هـ.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.



الفهرس

****